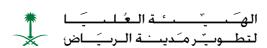


الرباض تاریخ، تراث، ورؤیة



(ح) الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، ١٤٣٧هـ فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض

كتاب الرياض / الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض - الرياض،

۱۳۷هـ

۲۳۱ ص؛ ۲۲ x ۳۰ سم

ردمك: ۱-۱-۹۰۸۲۹-۳۰۳-۹۷۸

۱ - الرياض - تاريخ ۲ - الرياض - التنمية ۱. العنوان

دیوی ۹۱۳۱ ۹۱۳۰ ۹۱۳۰

رقم الإيداع: ٩١٤٠ / ١٤٣٧

الرباض

الرياض تاريخ، تراث، ورؤية

بيتر هاريقان ترجمة: عبود طلعت عطية

© الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض

الناشر: مدينا للنشر medinapublishing.com

تصميم: كيتي كاروثرز، جو مايدلي، ومارتن لوبيكوفسكي أبحاث الصور: كلارا سيمبل الخرائط: © مارتن لوبيكوفسكي، م. ل. ديزاين

قام بمراجعة الكتاب: دارة الملك عبدالعزيز



مقدمة

شكلّ موقع مدينة الرياض نقطة محورية في وسط الجزيرة العربية على مر العصور، منذ أن كانت «قرى اليمامة» الواحة الأبرز في المنطقة، والمعبر الرئيسي لطرق الهجرة والتجارة ومن ثم الحج والعمرة، وشكلّت إحدى قواعد نشر الدين الإسلامي الحنيف في مختلف أرجاء الجزيرة العربية والعالم الإسلامي.

وتعززت مكانة المنطقة ودورها التاريخي بعد إعلان «ميثاق الدرعية» بين الإمام محمد بن سعود، والإمام محمد بن عبدالوهاب، رحمهما الله، في عام ١١٥٧هـ والذي تأسست بموجبه الدولة السعودية الأولى وعاصمتها الدرعية، فيما تواصل علو المنطقة وازدهارها بعد اختيار «مدينة الرياض» من قبل الإمام تركي بن عبدالله، رحمه الله عاصمة للدولة السعودية الثانية عام ١٣٤٠هـ.

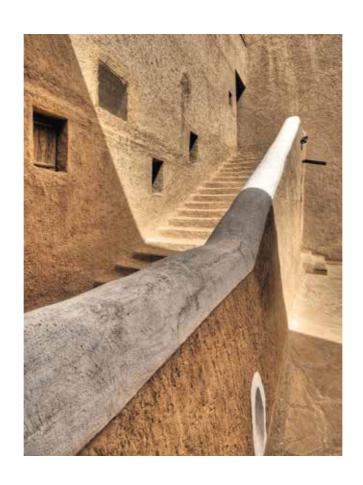
غير أن الانطلاقة الأكبر لمدينة الرياض، والبداية الفعلية لمسيرة نهضتها وتطورها، كانت بعد أن استعادها الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله، في الخامس من شهر شوال ١٣١٩هـ، لتصبح قاعدة لتوحيد المملكة العربية السعودية لتشهد المدينة سلسلة من التغيرات والتحولات، التي قفزت بها من قرية ريفية صغيرة، إلى إحدى حواضر العالم البارزة.

عاشت المدينة تجربة فريدة في الريادة والتطوير، قادها على مدى أكثر من ستة عقود، قائد مسيرة التنمية ومهندسها الأول خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، عندما كان أميراً لمنطقة الرياض، حيث أدار بمهارة واقتدار دمِّة قيادتها وفق أحدث أسس التطوير الشامل في تطوير المدن الكبرى، وأصبحت المدينة بمجملها إنجازاً متميزاً بكل المقاييس.

ويوجز هذا الكتاب، الذي أصدرته الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، وحررّه الكاتب/ بيتر هاريقان، جوانب من خصائص مدينة الرياض وتاريخها ومراحل نشأتها وتطورها، ودورها القيادي على الصعيدين المحلي والدولي. كما يقدّم تعريفاً بأبرز منجزات المدينة ومعالمها ومشاريعها التي حصدت عدداً من أرقى الجوائز العالمية المتخصّصة، ويصف مستوى جودة الحياة في المدينة وما تتميز به من فرص ومقومات حضارية حديثة جعلتها، بحمد الله، واحة إنسانية وعمرانية معاصرة، وموطناً لتحقيق الطموحات والعيش الرغيد.

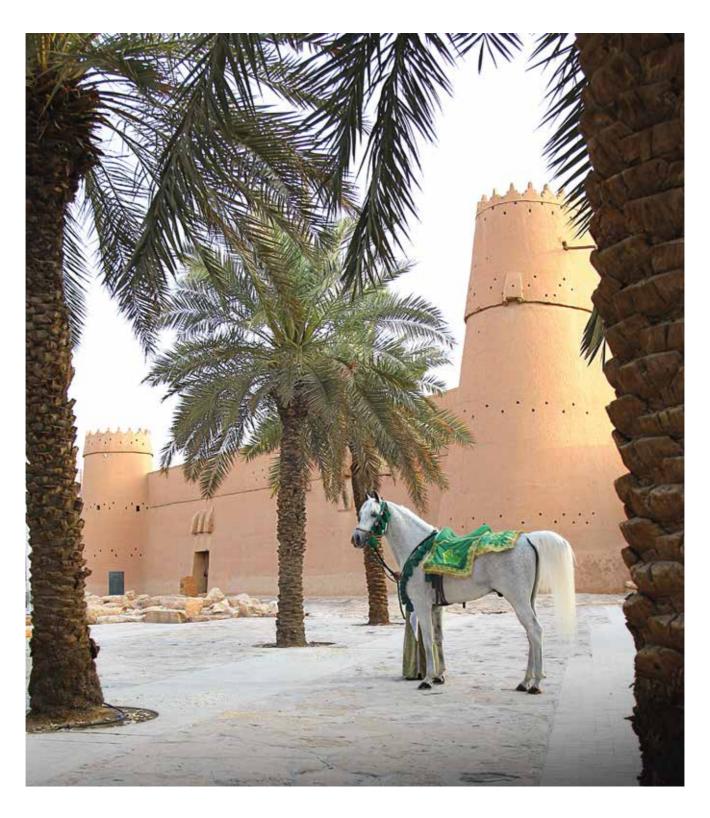
الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض



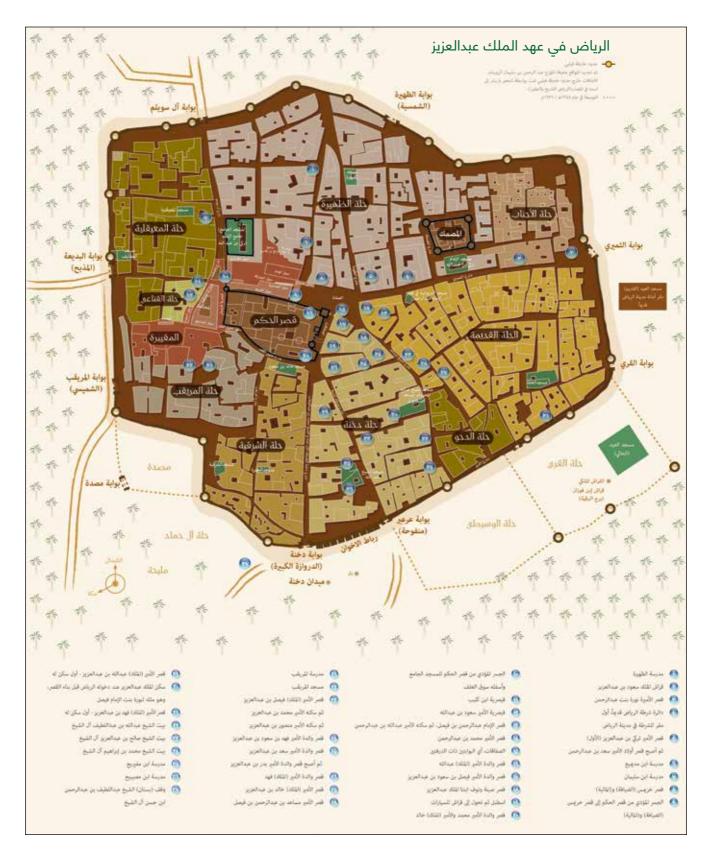


المحتويات

۱ - مدخل	۱۳	۱۲ - قلب جديد للعاصمة	110
٢ - منذ ما قبل التاريخ وحتى الإسلام	۲۱	١٣ - رؤية الرياض للقرن الحادي والعشرين	۱۳۹
٣ - انتشار الدِسلام	۳۱	١٤ - الماء	180
٤ - الدولة السعودية الأولى	13	١٥ - المدينة الجميلة	10V
0 - الدولة السعودية الثانية	P3	١٦ - المدينة الإنسانية	١٦٧
٦ - الملك عبدالعزيز وتوحيد المملكة	PO	۱۷ - مدينة الدبتكار	IV0
۷ - ۱۹۳۲: أسس الحداثة	VI	۱۸ - مدينة الرخاء	۱۸۳
۸ - الرياض بعد الملك عبدالعزيز	۸٥	١٩ - الواحة العصرية	191"
٩ - تخطيط العاصمة	90	۲۰ - ترميم العاصمة الأولى	۲۰۱
١٠ - العاصمة العالمية	۱۰۳	۲۱ - الرياض تتحرك	۲۰۹
١١ - العاصمة تتوسع	110	۲۲ - العاصمة المستقبلية	۲۱۹



التاج، حصان عربي أصيل من رسن كحيلة أم عرقوب أمام حصن المصمك، وهو من الخيول المستولدة في مركز الملك عبدالعزيز للخيل العربية الأصيلة بديراب. وهذا المركز هو الجهة الرسمية في المملكة لتسجيل الخيول الأصيلة والحفاظ على تراثها. (بإذن من مركز الملك عبدالعزيز للخيل العربية الأصيلة، تصوير جيجي غراسو).

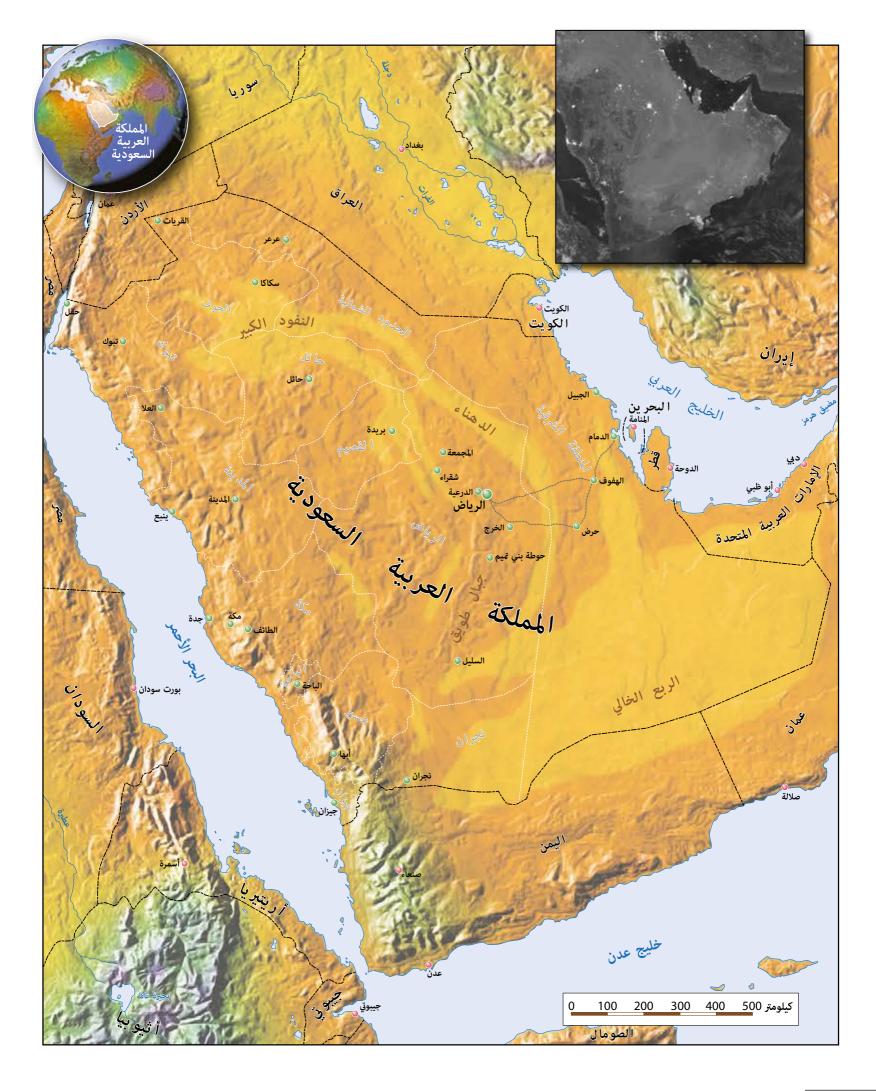


الصفحة التالية

أضواء المدينة ذات الستة ملايين نسمة. والصورة هنا لطريق العروبة التي يندرج تطويرها في إطار مجموعة مشاريع طموحة في العاصمة، وتشمل النقل والاتصالات والبنية التحتية وتغطي مساحة ١٫٥٠٠ كيلومتر مربع.







ا مدخل

قبيل المغرب، تتحول السماء فوق الرياض عن ألوانها الشاحبة إلى لون ذهبي يخالطه شيء من البرتقالي والوردي والأحمر. وعندما تنحدر الشمس خلف جبال طويق، يرتفع من مآذن المناطق الصناعية الشرقية النداء إلى صلاة المغرب، ليغمر لاحقاً ضواحي المدينة بأسرها مروراً بقلبها التاريخي ووصولاً إلى وادي حنيفة، فتتردد في أرجاء العاصمة السعودية أصداء أذان المؤذنين من نحو خمسة آلاف مسجد.

قبل قرن من الزمن، كان كل السكان في المستوطنة المتراصة داخل أسوار من الطين، يسمعون النداء إلى الصلاة من مساجدها الإثني عشر دفعة واحدة. أما اليوم، فقد توسعت المدينة إلى حدّ أن سكان أحيائها الشرقية يفطرون خلال شهر رمضان المبارك قبل دقائق قليلة من إفطار الساكنين في الضواحي الغربية للعاصمة.

بحلول الغسق، يعود لون السماء إلى الزرقة بدرجاتها المختلفة، فيتقلب من الفيروزي إلى النيلي فالكحلي الداكن عندما يخيِّم الطلام، في حين أن بحراً من الأضواء في الطرق السريعة والشوارع والمباني واللوحات يتولى تحديد المنظر العام للمدينة. وهذه الإضاءة الليلية مرئية بوضوح من الفضاء الخارجي حيث تظهر كألمع واحدة من بين كل البقع الضوئية في الجزيرة العربية. فالرياض التي تزيد مساحتها عن ١٥٠٠ كيلومتر مربع هي ثاني أكبر مدينة عربية بعد القاهرة. ويظهر من خلال ما تتكشف عنه الإضاءة الليلية، وتمدّد هذه المدينة الصحراوية الشاسعة، بلوغ عدد سكانها نحو ٦ ملايين نسمة، لتكون بذلك أكبر مدينة في الجزيرة العربية من دون منافس قريب، وواحدة من أكبر المدن العربية.

إن حاضرة الرياض الحالية هي، بشكل شبه كلّي، وليدة القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجري/العشرين والحادي والعشرين الميلادي. إنها مفعمة بالحيوية وصلبة، مرنة، معقدة، ومدهشة إلى أبعد حدود. إنها عاصمة البلاد التي تمتلك أكبر اقتصاد في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وذات ناتج محلي إجمالي يشكل وحده نحو ٠٥٪ من الناتج المحلي في كل دول مجلس التعاون الخليجي الست.. إلى ذلك، فإن التطور العمراني الخيالي والجريء، واحتضان الجيل الشاب بكليته للتقنيات الحديثة، يؤكدان أن هذه المدينة تعانق المستقبل، ويشكلان جزءاً أساسياً من «رؤية المملكة ٢٠٣٠».

ولكن، بمحاذاة هذا الحراك الاقتصادي والتنموي، ما يزال الماضي حاضراً وبقوة في وجدان المدينة. وثمة مشاريع كبرى وعديدة تشهد على ذلك، وتدلّ على تاريخ غني ومثير للاهتمام وحافل بالأحداث.

تحتل الجزيرة العربية موقعاً استراتيجياً على خارطة العالم، لتوسطها القارات الثلاث إفريقيا وآمروبا. وبموقع الرياض في منتصف كتلة اليابسة الضخمة هذه، التي تبلغ مساحتها ٢٫٦ مليون كيلومتر مربع، وتحتل المملكة العربية السعودية نحو٨٠٪ منها، فإنها تشكل النقطة المحورية لشطآن أربعة بحار وكتلة اليابسة الشمالية.

ومنذ ما قبل التاريخ، كان لهذا الموقع مغزاه ودوره، إذ يقول الباحثون اليوم إن الجزيرة العربية، بما فيها مناطقها الداخلية، كانت المعبر الأول إلى طرقات هجرة الإنسان القديم. ولاحقاً، وبتطور طرق التجارة ثم الحج، أصبحت منطقة الرياض موضع تقاطع شبكة الطرقات الواصلة ما بين إفريقيا وآسيا الوسطى والهند.

إن الموقع الاستراتيجي للرياض يضعها اليوم على مسافة ساعتين بالطائرة بالنسبة لكل سكان الجزيرة العربية البالغ عددهم نحو ٧٥ مليون نسمة. وبتوسعة شعاع الدائرة حتى ٦ ساعات طيران، تصبح الرياض سوقاً ممكنة لأكثر من نصف سكان العالم. وهذا ما بات يشكل، بموزاة النمو السكاني الكبير في المملكة نفسها، قوة دافعة للنمو الاقتصادي وللتنويع والتطوير في العاصمة التي أصبحت مع المناطق المحيطة بها، موضعاً جاذباً للاستثمارات المحلية والوطنية والإقليمية والعالمية على نحو غير مسبوق حتى الآن.

وإضافة إلى كونها عاصمة المملكة، فإن المدينة هي المركز الإداري لمنطقة الرياض، ثاني أكبر منطقة بعد المنطقة الشرقية، وتمثّل ١٧٪ من مساحة المملكة، وأطول تماس حدودي لها هو مع المنطقة الشرقية، كما أن حدودهها المشتركة مع مناطق نجران وعسير ومكة والقصيم تزيد على ألف كيلومتر.

تقع العاصمة في شرق هضبة الجزيرة العربية المعروفة باسم نجد، والممتدة من سلسلة جبال السروات في الحجاز وعسير لجهة الغرب والأرض الرسوبية المنخفضة التي تنحدر تدريجاً صـوب الشرق وصولاً إلى المياه الضحلة في الخليج العربي ورمال الربع الخالي.

وعلى مدى قرون طويلة، لعبت التضاريس الجغرافية والجيولوجيا والتقلبات المناخية والأوبئة والصراعات دوراً كبيراً في صياغة أحوال الرياض والتحديات التى واجهتها.

لقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون حول تحديد امتدادات قلب الجزيرة العربية المعروف بنجد، ولكن من المتفق عليه بشكل عام أنه ينقسم إلى قسمين: قسم غربي يمتد حتى الجبال البركانية

الصورة الفضائية على الخريطة

هذه الصورة الملتقطة من على ارتفاع ٨٠٠ كيلومتر في ليلة مقمرة وتحت سماء صافية، تُظهر أن أضواء الرياض تشكل أكبر بقعة مضاءة في شبه الجزيرة العربية.



تشكل جبال طويق التي يبلغ طولها نحو ۸۰۰ كيلومتر أحد أبرز المعالم الطوبوغرافية في الجزيرة العربية، وتسهل وقد قامت المستوطنات القديمة على جانبي هذه الجروف التي يبلغ ارتفاعها وجود نشاط بشري فيها يعود إلى ما قبل التاريخ. ويقع القسم الأوسط من هذه السلسلة الجبلية على بعد ۵۰ كيلومتراً غربي على بعد ۵۰ كيلومتراً غربي

التي تشكل الدرع العربي (عالية نجد)، وقسم يقع شرقي جروف جبال طويق (سافلة نجد).

فإلى الشرق من الخط الفاصل الذي ترسمه جبال السروات الشاهقة، يصل الارتفاع الأقصى للهضبة المائلة إلى نحو ١٠٠٠ متر. ومن هنا تبدأ الصحراء المفتوحة بالانحدار صوب الشرق، وتتخللها سلاسل من الجروف الحادة المواجهة للغرب. وأضخم هذه الجروف هي في جبال طويق، التي يمكن رؤيتها من الفضاء الخارجي بوصفها واحدة من أبرز المعالم الطوبوغرافية للجزيرة العربية.

وفي القرن الثالث عشر الميلادي، ذكر الجغرافي العربي ياقوت الحموي (٩٧٤-١٦٢٦هـ) (١١٧٩ – ١٢٢٩م) هذه السلسلة من الجروف الجبلية التي يبلغ طولها ٨٠٠ كيلومتر، باسم «العارض». ولاحقا، صار هذا الإسم يطلق على القسم المتمدد في منتصف هذه الجبال، بما فيه الجزء الواقع مباشرة غربي الرياض.

وقد تشكلت هذه الجروف من الصخر الرملي ضمن صخور العصر الجوراسي في الجزيرة العربية، وهي تشبه العمود الفقري بارتفاعها من شمالي الزلفي وتقوّسها باتجاه الجنوب حتى اختفائها في كثبان المندفن في الربع الخالي قرب الموقع القديم لقرية الفاو اللـْثرية.

كان الرحالة وليم جيفورد بالغريف في القرن الثالث عشر الهجري/ القرن التاسع عشر الميلادي، من أوائل الغربيين الذين ذكروا هذا المعلم الطوبوغرافي المميّز، وكان ذلك خلال توجهه عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦٢م من الزلفي إلى الرياض سالكاً قمة هذا المرتفع بشكل عام، ولكنه كان يجول أحياناً عند سفوح هذه الجروف الصخرية الشاهقة.

ومن هناك، كتب وصفاً مثيراً لمشاهداته، ضمّنه رؤيته لأهمية بلاد نجد القديمة التي كان يستكشفها قائلا: « على بعد مسافة معينة باتجاه الشرق، ثمة خط طويل يحدد المزيد من مرتفعات طويق، ويحجب عن النظر الأرض المنخفضة في الأحساء وشواطيء الخليج . من بين كل البلدان التي زرتها، وهي كثيرة، نادراً ما عاينت منظراً طبيعياً يعادل هذا بجماله ومعناه التاريخي وغناه أمام العين وللفكر».

تتبعثر في الصخور الرسوبية في جبال طويق رؤؤس مرجانية، يقع بعضها غربي الرياض مباشرة حيث تشكل شعاباً يبلغ قطرها ٥٠ متراً وارتفاعها ١٠ أمتار، وتنتصب شاهدة على تاريخ يمتد إلى ٥٠٠ مليون سنة، حين كانت المنطقة مغمورة بالمياه. وهي الفترة التي شكلت فيها الترسبات الطبقة الحاوية على حقول النفط الغزيرة في المملكة .

شرقي الحواف الرائعة في جبال طويق، قرب الرياض وبموازاة أعالي هذا الجرف، تنتشر عشرات البلدات في ما يشبه عقد اللؤلوء على ضفاف الوديان ومجاري المياه المحفورة في الصخور الرسوبية، مستفيدة مما تمثله هذه الوديان وروافدها المنحدرة باتجاه الشرق.

وأهم هذه الوديان هو وادي حنيفة الذي ينحدر في اتجاه الجنوب الشرقي لمسافة ١٢٠ كيلومترا قبل أن تتلاشى معالمه في الرمال على مشارف الربع الخالى.

وتبلغ مساحة حوض التصريف لهذا المجرى المائي العظيم مع روافده العديدة أكثر من ٤٥٠٠ كيلومتر مربع، بحيث يغطي معظم المنطقة التاريخية المعروفة باسم اليمامة في شرق نجد، وقد أدى تاريخياً إلى نشوء الرياض والمجتمعات المجاورة، وعزز تطورها.

ثمة أدبيات غربية كثيرة حول تاريخ الرياض تشير إلى عزلتها الجغرافية وصعوبة الوصول اليها وغموضها، وتقول إن موقعها الدقيق ظلّ مجهولاً حتى القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي. والخرائط التاريخية لشبه ألجزيرة العربية – سواء أكانت من صنع الجغرافيين العثمانيين أم الأوروبيين - تدعم هذا القول.

والشرق الأوسط بشكل عام. وأكثر من ذلك، وأهم مما تقدم، هو أن سكان نجد عرفوا «العالم الخارجي» وزاروه منذ قرون عديدة. وعلى الرغم من إحاطتها وعزلها ، كانت هذه المنطقة خلال آلاف السنين موقعاً استراتيجياً للهجرة البشرية والتجارة وطرق الحج. فالحفريات الأثرية العالمية الجارية اليوم تحت إشراف الهيئة العامة

ولكن ذلك يبقى مجرد وجهة نظر ذاتية أوروبية ونمطية إلى حد كبير.

فهذا الجزء من نجد، بما فيه من مستوطنات عديدة في وادى حنيفة

وروافده، كان معروفاً منذ زمن طويل عند شعوب الجزيرة العربية

ماتحفريات الاترية العالمية الجارية اليوم تحت إسراف الهيئة العامة للسياحة والتراث العمراني، تغوص عميقاً حتى ما قبل التاريخ، لتكشف عن الكثير من التفاصيل المثيرة التي تتعلق بالهجرات الإنسانية القديمة، وتؤكد وجود قرى قديمة على امتداد جبال طويق وفي بيئات الأودية النهرية كما هو الحال في وادي حنيفة.

تقع الرياض عند حافة المنطقة المدارية على بعد ١٠٠ كيلومتر شمالي مدار السرطان، وهو خط العرض الشمالي الذي تكون فيه أشعة الشمس عمودية تماماًعند الظهر، يوم ٢١ يونيو (تاريخ الانقلاب الشمسي الصيفي). وترتفع عن سطح البحر نحو ٦٠٠ متر، وتبعد ٣٥٠ كيلومتراً عن الخليج العربي، و٨٠٠ كيلومتر عن البحر الأحمر الذي تفصله عنها جبال السروات، و١٠٠٠ كيلومتر عن





تتوافر المتحجرات البحرية بكثرة قرب الرياض، وهي تؤكد أن المنطقة كانت مغمورة ببحر ضحل في عصر جيولوجيي غابر، وهو العصر الذي شهد ترسب الطبقة التي تحتوي اليوم على مخزون المملكة من



عندما التقط عبدالله فيلبي هذه الصورة في ۸ رجب ۱۳۳۱هـ / ۱۹ أبريل ۱۹۱۸ من جبل أبو مخروق، كانت هذه التلة ذات الشكل القمعي تقع في الصحراء شمالي المدينة القديمة. أما اليوم فقد أصبحت حديقة ومتنزهاً، يحيط بها حي الملز

بحر العرب عبر الربع الخالي والمرتفعات اليمنية. وهذه العوامل تمنح المدينة مناخأً قارياً يقارب مناخات الصحارى المرتفعة، ويتصف بالفروقات الحرارية القصوى على المستويين اليومي والموسمى.

يمكن للحرارة القصوى خلال الصيف أن تصل إلى أواخر الأربعينات درجة مئوية خلال شهري يوليو وأغسطس، في حين أن الحرارة الدنيا خلال الشتاء، عادة خلال شهر يناير، قد تنخفض إلى ما دون درجة التجمّد بقليل.

وهذه الفروقات الحرارية القصوى المعهودة في مناخ الصحارى القارية، تجد ما يلطفها خلال الصيف في الارتفاع عن سطح البحر. فمعدل الحرارة خلال شهري يوليو وأغسطس هو ٤٣ درجة مئوية، وينخفض ليلاً إلى ٢٨ درجة. وبالنسبة إلى أبرد شهر في السنة وهو يناير، فإن هذين المعدلين يصبحان ٢١ و٩ درجات على التوالى.

وخلال أشهر الصيف، وبفعل الحرارة العالية والارتفاع عن سطح البحر و قلة الغيوم والمياه السطحية وانعدام الأمطار يكون معدل الرطوبة في الرياض ١٩٪ فقط.

يمكن للتغيرات الحرارية ما بين أقاصيها هذه أن تكون ذات تأثيرات بالغة على المحاصيل الزراعية والمواشي والناس. وإضافة إلى الجفاف، يمكن لبعض الظواهر المناخية – مثل العواصف وسقوط البَرَد والفيضانات- أن تحل أيضاً على المنطقة فتدمر المحاصيل والمواشي وتتسبب باضرار واسعة في البني التحتية.

قبل تأسيس المملكة العربية السعودية عـام١٣٥٢هــ / ١٩٣٢ واكتشاف النفط لاحقاً، كانت الحياة وسط الجزيرة العربية صعبة

وبسيطة وغير مستقرة. فالطبيعة الخاصة بالبيئة الصحراوية ذات الأحوال المناخية القاسية، وتكرار مواسم الجفاف عبر القرون، شكلا قوة دافعة إلى الهجرة من نجد. كما هوالحال، مثلاً، خلال الجفاف الكبير والمجاعة التي نجمت عنه بين عامي ١١٣٥هـ و ١١٣٩ هـ / ١٧٢٢ و ١٢٣٦م (ويعرف باسم سحي) ودمّر المنطقة. فقد استُنفِدت المياه الجوفية، وهُجرت المستوطنات، ورحلت جماعات بأسرها شمالاً إلى البصرة وأماكن أخرى في العراق والكويت والأحساء والزبير.

قبل الري الآلي، كان المطر والمياه الجوفية يتشاركان في جعل الخراعة ممكنة ومـزدهـرة وحتى في وجـود وفـر في المحاصيل، إضافة إلى ازدهـار تربية الماشية. واسم «الرياض» الذي تحمله المدينة، هو لغوياً جمع كلمة «روضة» التي تعني بستان أو حديقة، ومرده خصوبة موقعها فوق أرض غرينية، قرب التقاء وادي حنيفة برافده وادي البطحاء الذي تأسست المستوطنة على امتداده.

يبلغ معدل الامطار السنوي في الرياض نحو ١٣٧ ملليمتر. وهذا ما يشكل نحو نصف الحد الأدنى اللازم للزراعة المعتمدة على المطر. ولهذا السبب، فإن المياه الجوفية تعتبر أساسية في استقرار جماعات السكان.

إن الظروف الطبيعية في الوديان والمساحات الكبيرة من الأراضي الطمية المجاورة والأراضي المنخفضة، تسمح بنشوء المراعي وبالزرع. ففي سنة «رطبة» نسبياً يمكن لمعدل الأمطار أن يصل إلى ١٦٠ ملليمتر، ولكن هذا المعدل قد ينخفض في سنوات الجفاف إلى ١٦ ملليمتر فقط. وغالباً ما يكون المطر الغزير مضرّاً مثل الجفاف نفسه.

ففي بعض السنوات، يمكن لعاصفة واحـدة أن تمطر نحو نصف المعدل السنوى دفعة واحدة، متسببة بفيضانات تخرّب

الصفحة المقابلة

تبلغ مساحة حوض تصريف وادي حنيفة وروافده نحو ٤,٥٠٠ كيلومتر مربع. وهو يقع في منطقة تاريخية تُعرف باسم العارض وتخترق جبال طويق. وقد عملت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض على إعادة تأهيل بعض المجاري المائية المهمة في هذا الوادي.





الصفحة المقابلة

لعب مجرى وادي حنيفة

والبلدات المجاورة، من

خلال ما كان يوفره من

دوراً تاريخياً في نمو الرياض

مياه سطحية لدزمة للزراعة. ففي سنة ماطرة بشكل

جيّد نسبياً، يمكن للرياض

أن تتلقَّى ٢٥٠ ملليمتراً من

المطر. والصورة هنا لوادي

حنیفة فی فترة جریانه.

المحاصيل وتغرق المواشي وتدمر القرى من خلال السيول العارمة التي تندفع فجأة من الوديان.

وقد أدت الجيولوجيا دوراً مساعداً على نشوء الرياض ومستوطنات أخرى في بيئة مجرى وادي حنيفة. إذ أن الطبقة الرسوبية المسامية في سافلة نجد شرقي جبال طويق، وهي حديثة العهد نسبياً بالمقاييس الجيولوجية، وفرت الظروف الملائمة لنشوء واحات وقرى قابلة لأن تنمو وتزدهر على أرض خصبة نسبياً، وبالاعتماد على المياه الأرضية السطحية.

فبمرور الزمـن، كانت الطبقة الرسوبية الأطـرى في الهضبة المرتفعة والمائلة صـوب الخليج تتآكل شيئاً فشيئاً. وراحـت السيول تحفر فيها أودية عميقة ومتغصنة، وتحمل الرسابة المفتتة والمواد العضوية، لتشكل بها طبقة غرينية على امتداد ضفاف الوديان والمسطحات المنخفضة المحاطة بحواجز رملية وصخرية. وكانت هذه الطبقة تحتبس في باطنها المياه، التي كان اكتشافها في أواسط القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلدى داعماً لنمو الرياض السريع وتوسع رقعتها.

إن وادي حنيفة هو الأكبر من نوعه في القسمين الأوسط والشمالي من جبال طويق، وكان يعرف سابقاً بوادي العرض، والمنطقة التي يخترقها كانت تعرف باليمامة.

وينساب مجراه الرئيسي من قمة قوس جبال طويق باتجاه الشرق، ومن ثم ينعطف جنوباً بشكل مفاجيء، مع ٣٠٠ رافد ينضم اليه

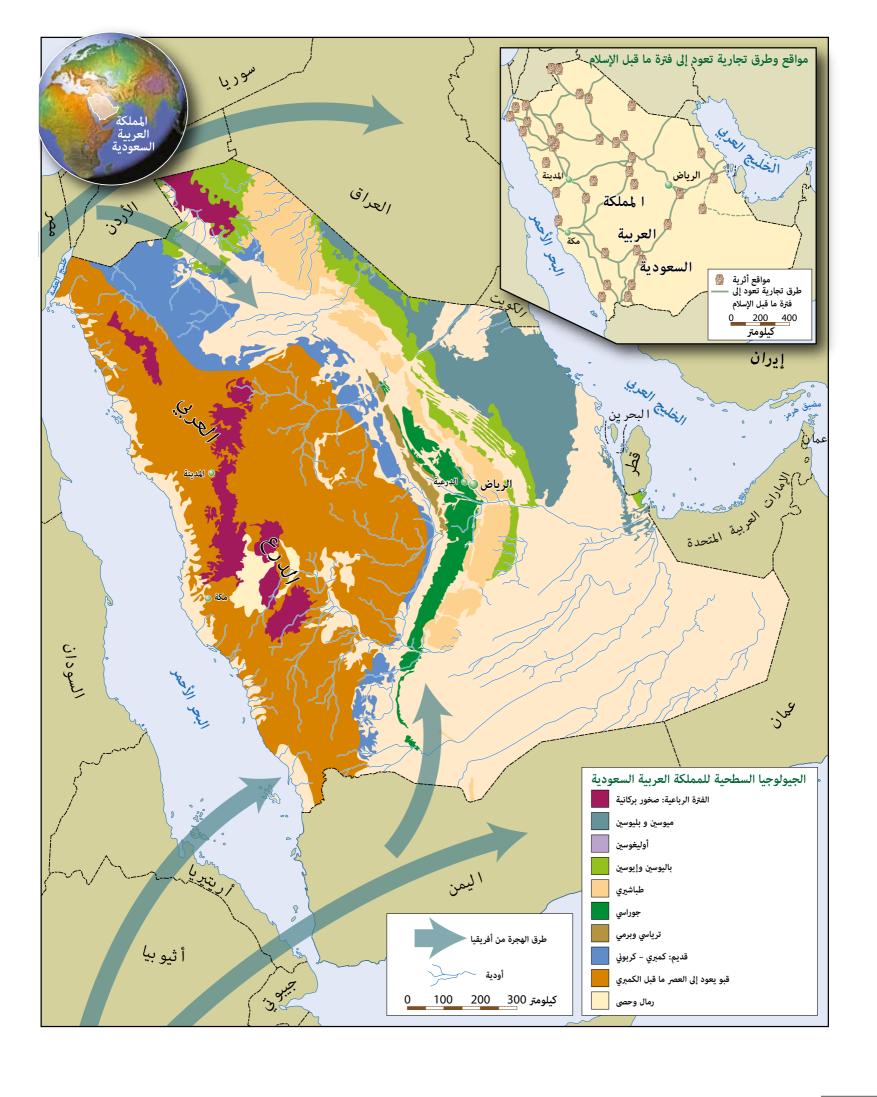
في مساره. وعلى جنبات هذا الوادي العظيم قامت أولى القرى في المنطقة، ومن بينها كانت هناك أسماء ترددت أصداؤها في المنطقة وعلى نطاق أوسع: العيينة، الدرعية، الخرج، وحجر، وهذا الأخير هو الإسم الذي استبدل للحقاً بالإسم المكاني «الرياض».

لقد أدت بلدات وادي حنيفة دوراً مؤثراً في التاريخ الإسلامي، ومهدت الطريق لنشر الإسلام في مناطق أخرى من الجزيرة العربية. وفي أواسـط الـقـرن الثاني عشر للهجرة، شهدت المنطقة ظهور دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية، وإعلان «ميثاق الدرعية التاريخي» بين الإمام محمد بن سعود والإمام محمد بن عبدالوهاب، رحمهما الله، في عام ١١٥٧هـ/ ١٤٧٥م والـذي تأسست بموجبه الـدولـة السعودية الأولـى وعاصمتها الدرعية.

بعد ذلك بقرنين، اصبحت الرياض المجاورة عاصمة المملكة العربية السعودية حاضنة أقدس الأماكن في الإسلام في مكة المكرمة والمدينة المنوّرة. وخلال سنوات قليلة بعد تأسيس المملكة الحديثة، أدت الاستطلاعات والاستكشافات في المكامن الكربونية العائدة إلى العصر الجوراسي، بما فيها تلك المجاورة للرياض ووادي حنيفة وجروف طويق، إلى اكتشاف أكبر حقول النفط في العالم وأغزرها، وساعدت على رسم مسار تطور المملكة الحديثة وعاصمتها. وأدى تطوّر الاقتصاد والبنى التحتية لاحقاً إلى استلهام رؤية جديدة للرياض باتت تندرج في إطار «رؤية المملكة ٣٠٠٠» بمجتمعها الحيوي واقتصادها المزدهر وطموحها الوطني.

في عام ١١٥٧هـ (١٧٤٤م)، أصبحت الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، وراحت تنمو على ضفتي وادي حنيفة. وهذه لقطة تعود إلى مطلع تسعينيات القرن الميلادي الماضي، لحي الطُريف عبر الوادي في اتجاه مدينة الرياض الحديثة.





٢ | منذ ما قبل التاريخ وحتى الإسلام

شكّل الماء والتغير المناخي والموقع الاستراتيجي جملة أسباب ضاغطة للهجرة من وإلى الهضبة الوسطى في الجزيرة العربية والامتداد الفسيح لمجرى وادي حنيفة. فعلى مدى آلاف السنين، شهدت المنطقة المحيطة بالرياض حضور شعوب عديدة، وعرفت سلسلة متكاملة من الأنشطة البشرية: الصيد، الاستئناس، تربية القطعان والرعي، الحصادون الأوائل في الثورة الزراعية، الرعاة البدو الأوائل، التجار العرب الرحّل عبر الصحراء والاستقرار المبكر في الواحات.

وللحقاً، ظهرت المدن الإسلامية المخططة جيداً، وحمل عصر الآلـة المضخات والكهرباء ووسائل النقل الحديثة، ومؤخراً، المخططين والمهندسين والمعماريين وروّاد الأعمال الذين أدّوا دورهـم في صياغة العاصمة السعودية وتحويلها إلى حاضرة متطوّرة في القرن الخامس عشر الهجري/ الحادي والعشرين الميلادي، تتوثب لعصر الابتكار والمعلوماتية.

إن رصد وتلمس بدايات هذه المنطقة التي تتوسع باستمرار وتحتضن الآن عاصمة المملكة العربية السعودية، هو أمر مدهش ومحيّر ومثير للتحدي. فبالعودة إلى المراحل الموغلة في القدم ما قبل التاريخ لتفحص النشاط البشري وتفسيره، ثمة اعتراف يتنامى اليوم بأن شبه الجزيرة العربية بموقعها المركزي الذي يشكل حلقة وصل بين إفريقيا وآسيا، هي أهمّ مما كان بعتقد سابقاً.

وفي الواقع، عندما تؤخذ أحوال المناخات القديمة و الموغلة في القدم بالحسبان، يصبح جلياً أن الجزيرة العربية لعبت دوراً حاسماً في ما يتعلق بتاريخ البشرية المشترك وبدايات انتشار الإنسان في العالم.

فكما تصف الأدبيات النمطية الهضبة المحيطة بالرياض على أنها كانت تاريخياً معزولة وهامشية وقاحلة دائماً، ظلت شبه الجزيرة العربية حتى وقت قريب تعتبر كحيّز فارغ، أو في أحسن الأحوال هامشي، في قصة الانتشار البشري الحديث.

ولكن علم الآثـار المتطور وتقنيات الاستقصاء، والـدراسـات المعقدة والأبحاث المتعلقة بالمراحل المناخية قديماً، تظهر أن البشر والحيوانات هاجرت قديماً إلى قلب شبه الجزيرة العربية أو عبرها. فوفق تغيّر الظروف، ظهرت أقوام ونمت وازدهرت. وفي بعض الفترات المرتبطة عادة بتغير المناخ، انكمشت، ولربما اختفت بالكامل.

في عام ١٤٣٢هـ / ٢٠١٢م، أطلقت الهيئة العامة للسياحة والتراث العمراني وبالتعاون مع عدد من الجامعات والمعاهد البارزة، «مشروع الصحاري القديمة». ويهدف هذا المشروع الذي تبلغ مدته خمس سنوات إلى دراسة تأثيرات التغيرات المناخية على الجزيرة العربية خلال المليوني سنة الماضية.

وتتركز الجهود المشتركة بين الباحثين العلميين وعلماء الآثار العالميين والبحّاثة السعوديين على تحديد كيفية تأثير التغيرات المناخية على المدى الطويل على البشر والحيوانات قديماً، واشكال استجاباتهم التي حسمت أمر بقائهم.

وباستخدام أحدث التقنيات العلمية، فإن هذه الدراسات الجارية للبيئة العربية القديمة، وأثر التغير المناخي على أقوام ما قبل التاريخ، وطبيعة توطن الناس وتشتتهم، تؤتي باكتشافات مدهشة. إذ أنها تشير إلى أن شبه الجزيرة العربية كانت صلة وصل للتطور في تاريخنا الانساني المشترك، وتعترف بأهمية قلب شبه الجزيرة بالنسبة إلى مرحلة ما قبل التاريخ، وأيضا خلال مراحل تاريخية أحدث من ذلك.

نعرف أنه كانت هناك مراحل رطبة في ماضي شبه الجزيرة العربية، تعود إلى العصرين البلاستوسيني والأحـدث منه الهولوسيني. وباستخدام أحدث التقنيات في حدودالمعرفة، تسعى الأبحاث الجارية إلى تحديد التواريخ بدقة في هذين العصرين من الدهر الجيولوجي الرابع. فالعصر البلاستوسيني يمتد من ١١٧٠٠ سنة وحتى ٢,٥ مليون سنة سابقة، ومحاولات البحث عميقاً في هذا العصر لتمثيل المناخات القديمة ورسم الخطوط البيانية لتقلباتها وآثارها على البيئات المحلية، تشكل تحديات هائلة.

ولكن الأبحاث في الطبقة الأرضية التي شكّلت قيعان بحيرات وأنهار قديمة في وسط المملكة العربية السعودية وتقنيات التمثيل المعقّدة، بدأت توفر دلائل مؤكدة حول أحوال المناخات قديماً وتداعياتها، بحءاً من مئات السنين الماضية وعودة إلى الحراء حتى أحدث فترة رطبة قبل نحو ١٢ ألف سنة من عصرنا الجيولوجي هذا المعروف باسم «الهولوسيني».

وإضافة إلى ما تكشفت عنه هذه الدراسات حول الدور الذي أدته شبه الجزيرة العربية في التاريخ المبكر للجنس البشري، فإنها تساعدنا على أن نفهم بشكل أفضل أثر التغير المناخي على البيئة والإنسان والحيوان.

الصفحة التالية

درب مرصوف بالحجارة يتعرَّج صعوداً في جبال طويق غربي الرياض، وهو واحد من الدروب التقليدية التي كانت تسلكها قوافل الجمال لنقل الحجّاج والسلع، حتى ظهور وسائل النقل الحديثة وتطوير الطرق.





كشفت الأبحاث التي أجرتها الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني حول الفترات المناخية العربية أن قلب شبه الجزيرة العربية كان ممراً أو مقراً للإنسان القديم في هجراته الأولى. ومنذ آلاف السنين، ووادي حنيفة كان مأهولاً، كما تدل على ذلك اللَّقى الأثرية العائدة إلى العصر الحجري القديم.



فكما هو حال الترسبات في قيعان البحيرات القديمة، تكشف الجيولوجيا السطحية في منطقة الرياض عن وجود مجاري مائية قديمة وترسبات طينية وحصوية، ساعدت على الزراعة الدائمة حول المدن والقرى في حوض وادي حنيفة.

وأدت التقلبات المناخية خلال الفترات الجليدية وما بين الفترة والأخرى، إلى تعاقب أزمنة الجفاف وعودة الأنهار القديمة إلى الجريان وتحسن الظروف. وقد أسفرت الأبحاث الأثرية في مصطبات وادي حنيفة، عن إثبات وجود استيطان بشري فيها خلال العصر الحجري الوسيط، تدل عليه قيعان بحيرات قديمة في شرق الرياض، تكشف عن ترسبات «صوّانية» هي من بقايا صناعة الأدوات الحجرية.

كما أظهر المسح الزلزالي للمنطقة الشاسعة المحيطة بمطار الملك خالد الدولي، عن وجود ترسبات مجرى نهري قديم على عمق ٥٠ متراً تحت الأرض. وقد حفّز تعاقب الفترات الرطبة على الاستيطان، بدليل المكتشفات الأثرية التي عثر عليها في العاصمة وحولها، وتشمل فؤوساً حجرية ومطارق وسكاكين وأدوات قطع وبعض مستلزمات صناعة الأدوات لدى الإنسان القديم الذي كان مقيماً في هذا المكان، ويعود إلى أواخر العصر الحجرى قبل نحو مليون سنة.

وكشف بعض هذه المواقع عن احتوائه على الكثير من اللقى التي تختفي فيه، من مشغولات يدوية وبقايا الصناعات والأحجار المتشققة بفعل النار، الأمر الذي يشير إلى وجود استيطان كثيف نسبياً، ونشاط بشري شمل التعامل مع المصادر الصخرية خلال الفترات المناخية الملائمة. أما في ما يتعلق بالعصر الحجري القديم الأعلى، فإن الدلائل على الاستيطان البشري في شبه الجزيرة العربية مدفونة في الطبقات الرسوبية العميقة تحت ضفاف الوديان في «هضبة العرمة» شرقي العاصمة، وعلى امتداد سفوح جروف طويق وسطوحها أيضاً. فهناك، على الأرجح، ترقد الدلائل على الاستيطان البشرى المبكر وتنتظر اكتشافها.

ومن ضفاف الأودية وأحواض البحيرات الصغيرة وقيعانها والكثبان الرملية حول الرياض، تم أيضاً استخراج أدوات حجرية استخدمت في المواقد والمطاحن، الأمر الذي يشير إلى استئناس الحيوان والنبات. كما أن اكتشاف مشغولات من حجر الغرانيت، بما فيها أدوات من حجارة بركانية كالأوليفينات، يفترض ظهور شكل مبكر من التبادل ما بين المجتمعات. في حين تؤكد لقى أخرى تطوّر شكل من الزراعة الأساسية، ولاحقا المشغولات المعدنية وانتاج الخزف في المنطقة.

إن الهياكل المبنية بالحجر – والـتي تتضمن منشآت خاصة بطقوس الموت ومنازل ودوائر حجرية غامضة ومعدّات وتوابع

أدوات وأعمدة منتصبة لا يمكن ادراك حقيقتها، ولاحقاً الرسوم والنقوش الجدارية - تكشف وجـود نشاط بشري أكثر تطوّراً وتعقيداً في المنطقة.

وتكثر هذه الملامح في حوض وادي حنيفة، وعلى امتداد الجزء الأعلى من جرف طويق غربي الرياض، وإلى الشرق على جنبات جبل العرمة وحول الموقع الحالي لمطار الملك خالد الدولي وفي منطقة الثمامة.

قبل ١٤ ألف سنة، وبعد عدة موجات هجرة سابقة بدأت أولى تحركات الإنسان خارج إفريقيا، بعد أن حلّت آخر فترات الدفء الكبرى. وأتت هذه بأمطار موسمية غزيرة، إخضرّ بفعلها قلب شبه الجزيرة العربية، وحفّرت النمو السكاني، مما أدى بدوره إلى ثورة في النشاط البشري الذي كان قائماً على الصيد، فظهرت آنذاك المؤشرات الأولى على استئناس الحيوان والنبات في المنطقة، وقيام مجتمع زراعي فيها.

وبحلول العام ٨٠٠٠ ق. م. كان الناس قد بدأوا بالاستقرار وزرعوا النخيل والذرة والشعير، كما بدأوا بتربية قطعان الماعز والغنم والنوق للاستفادة من الحليب واللحم والجلود والصوف. وقد عثر علماء الآثار قرب الثمامة على ما يؤكد وجود مستوطنة تعود إلى ٨٠٠٠ سنة خلت، من خلال اللقى التي تضمنت أدوات حجرية، وحجارة مطاحن، وبقايا هياكل حجرية.

وأدى استئناس الجمل العربي والحصان بوصفهما وسائل نقل، إلى تأسيس الطرق التجارية في العام ٣٥٠٠ ق. م. ففي ذلك الوقت، كان الحصان العربي، وهو أقدم سلالات الخيول المعروفة، يستخدم مطية للتنقل. وشكّل كل من الحصان والجمل جزءاً اساسياً من نسيج الحياة العربية وثقافتها، وعززا تطوّر التجارة الطويلة المدى، ولاحقاً انتشار الإسلام.

وبنمو المستوطنات، ظهرت الدلائل الأولى على أناس ناطقين بالعربية قبل نحو ٣٠٠٠ سنة. وبفعل تجارة التوابل والذهب



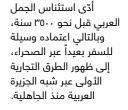
المكتشفات الأثرية مثل الأدوات الحجرية العديدة من رؤوس السهام وحِراب وشفرات مصقولة بشكل جيد، تؤكد وجود مجتمعات مستقرة في جوار الرياض منذ العصر الحجري الحديث قبل نحو ٧٠٠٠ سنة. وتدريجاً، تحولت جماعات الصيادين – الجامعين إلى مجتمعات مستقرة تعتمد على استئناس الحيوانات والزراعة.

والمنتجات النباتية الغريبة ما بين جنوب شبه الجزيرة العربية وجنوب غربها والهند عبر ساحل الخليج العربي وعمان من جهة، وبلاد ما بين النهرين والشام من جهة أخرى، تحول قلب شبه الجزيرة العربية إلى موقع استراتيجي لمراقبة الطرق التجارية الناشئة وللاستفادة منها. فتطورت طرق القوافل المارّة عبر نجران، مثل: قرية الفاو، والسليل، وواحات الأحساء، ويبرين، والأفلاج إلى الخرج ووادي حنيفة، وشمالاً باتجاه بلاد الشام، وغرباً باتجاه الحجاز.

تعاظمت أهمية وادي حنيفة والخرج باستمرار في تاريخ شبه الجزيرة العربية، وشكلا قبل الإسلام بنحو ١٢٠٠ سنة مركزين لإثنتين من أولى الدويلات العربية، واحتنضتا قبيلتي طسم وجديس البائدتين والذائعتي الصيت.كان هؤلاء مزارعين عرفوا، مثل النبطيين، استغلال مصادر المياه في الأودية والواحات.

كما كانوا بنّائين مهرة عرفوا كيف يشيّدون القلاع وأبراج المراقبة الشاهقة بالحجارة الجيرية. وكانت مستوطنة قبيلة جديس الرئيسية في جوار الموقع الحالي للخرج. أما قبيلة طسم فقد استقرت قرب رافد لـوادي حنيفة يتجه جنوباً كان يعرف باسم العارض. وأقاموا بلدتهم الرئيسية المسماة «حجر» فوق أرض غرينية على الجانب الغربي لوادي الوتر (الذي سُمّي للحقاً البطحاء)، فتوسعت ونمت وسط مزارع النخيل والبساتين. وهذا ما يشكل أقدم دليل على مستوطنة قامت فوق الموقع الحالي للعاصمة السعودية الرياض، وكانت على اتصال مع غيرها من المستوطنات المنتشرة على امتداد وادي حنيفة وروافده.

قبل ظهور الإسلام بنحو قرنين أو ثلاثة، كانت طرق تجارية عديدة ومحمية جيداً قد تأسست في المنطقة، ولكن دولتي طسم وجديس التوأمين اختفتا بشكل غامض. ويعتقد بعض المؤرخين







أن سبب زوال هاتين الدولتين يعود إلى الغزوات الحميرية التي كانت تنطلق من اليمن. في حين يـرى آخــرون أن الجفاف أو الأوبئة هي التي أدت إلى اندثارهما، أو ذوبانهما في صفوف غزاة المنطقة عشية ظهور الإسلام.

بعض المصادر الإسلامية وما قبلها صارت حينذاك تتحدث عن منطقة اليمامة. وعلى الرغم من أن هذه المنطقة غير محددّة بدقة لا من قبل علم الآثار ولا المدوّنات العربية ولا الشعر القديم، فإن هذا الاسم الشهير صار يطلق على الهضبة الواقعة شرقي القسم الشمالي المتمدد من جبال طويق وأيضاً على السهول المفتوحة إلى الغرب.

ويبقى اسم اليمامة مستخدماً اليوم في العاصمة وجوارها من باب الحنين إلى الماضي. فقد أطلق هذا الاسم على القصر الذي يحتضن الـديـوان الملكى في مدينة الـريـاض، وعلى أول مجلة

صـدرت في الرياض، وعلى جامعة خاصة ومستشفى وفنادق وشركات تجارية وبرنامج استثمار سعودي عالمي.

في تلك الفترة، ظهر بنو حنيفة في الجزء السفلي من نجد، واستقروا مع بعض البدو في الأراضي الزراعية والغيضات التابعة لقرى وبلدات طسم وجديس المهجورة، بما فيها الحدائق المسوّرة في حجر.

ومنذ ذلك الزمن وحتى اليوم صار وادي العرض يعرف باسم وادي حنيفة نسبة إلى مستوطنيه ومزارعيه وتجاره الجدد. وعند ظهور الإسلام، كانت الزراعة والتجارة مزدهرتان في منطقة وادي حنيفة التي عرفت بجودة تمورها وغلالها من الحبوب. وبانتشار الإسلام اشتهر وادي حنيفة بفعل المعركة الملحمية التي أدّت ليس فقط إلى اعتناق بني حنيفة للإسلام، بل أيضاً إلى تدوين القرآن الكريم كتابةً.

كان نخيل التمر من أول النباتات التي زرعها سكان شبه الجزيرة العربية على طريق تحولهم من الدعتماد على الصيد والجمع إلى الدعتماد على الزراعة.

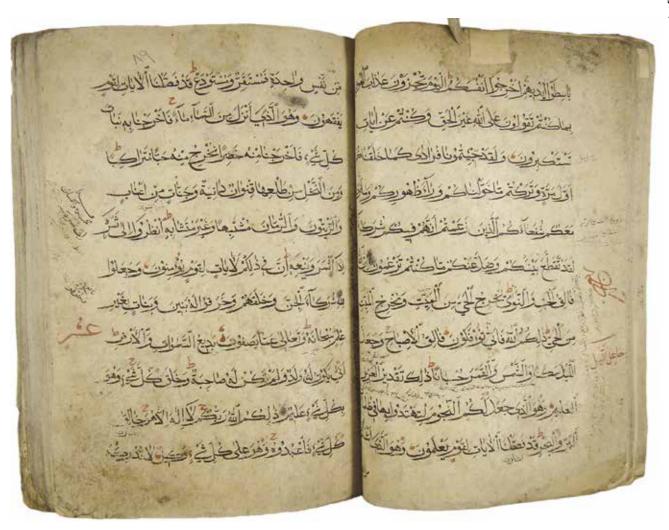
الصفحة التالية

يحتوي موقع الثمامة الشاسع على آثار مدافن تعود إلى العصر الحجري الحديث، كما لا تزال فيه بقايا بعض الهياكل الحجرية والأدوات المختلفة.





صفحة من نسخة نادرة من القرآن الكريم بخط الثلث، وعليها الآية ٩٩ من سورة الثنعام (الجزء السادس)، تعود إلى القرن التاسع للهجرة (الخامس عشر الميلادي)، من مجموعة مخطوطات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.



«وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالرَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهِ انظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَأَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»

٣| انتشار الإسلام

عند ظهور الإسلام، كانت مجتمعات وادي حنيفة في اليمامة مستقلة سياسياً وقوية ومزدهرة. وكانت على علاقات تجارية قوية مع واحات الأحساء والخرج إلى الشرق، ومع المدينة المنورة ومكة المكرمة والطائف الأبعد منهما إلى الغرب، وأيضاً مع الإمبراطورية الفارسية ومصادر البخور في جنوب الجزيرة العربية.

وكانت مدينة حجر القائمة فوق الموقع الذي سيسمى للحقاً الرياض، عاصمة منطقة اليمامة ومركزاً مهماً في نجد السفلى الذي يضم وادي حنيفة. وكانت هذه المستوطنات التي تحتل موقعاً استراتيجياً تسيطر على الطرق التجارية، وتصدّر الخيول والمواشي والحبوب والتمور، وتتصدى بشراسة لكل الضغوط الخارجية التى قد تهدد مصالحها اللقتصادية.

بعيد نزول القرآن الكريم خلال العقدين الأخيرين من حياة النبي محمد صلّى الله عليه وسلّم، اتحّدت قبائل عربية عديدة واعتنقت الإسلام، ما شكل نواة الأمة وقاعدة لانتشار الإسلام لاحقا في العالم. وعلى الرغم من أن بعض المقيمين والبدو في اليمامة قد زاروا مكة المكرمة والمدينة المنوّرة، وأن الحج بدأ يجذب الكثيرين من نجد، بقيت هناك مقاومة مبكرة لانتشار الدين الجديد.

عندما توفي حاكم اليمامة هوذة بن علي، في العام ٨هـ/ ٣٠٦م تقريباً، قام خليفته مسيلمة الكذاب بإطلاق مزاعم دينية زائفة. وعندما توفي النبي محمد صلّى الله عليه وسلّم، عام ١١هـ/ ١٣٢ م، ظهرت في اليمامة جماعات وحركات مرتدة ومتمردة. وكان مسيلمة مطلق إحداها في صفوف بني حنيفة الذين لم يعتنقوا البسلام.

ومن باب التمسك بالاستقلال الاقتصادي للمنطقة، وبمكانتها كسلة غذاء تعتمد عليها مكة المكرمة والمدينة المنورة، صارت اليمامة مصدر تهديد لانتشار رسالة الإسلام.

عندما تولّى الخلافة أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، رّكز اهتمامه على محاربة المرتدّين، ونشر الإسلام في شبه الجزيرة العربية. كان أبو بكر قد قاد بعض الحملات العسكرية في عهد الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وها هو الآن يوجّه حملة إلى اليمامة لتبدأ بذلك سلسلة المعارك التي استمرت لنحو سنتين وعرفت باسم حروب الردّة.

فمن باب الخوف على الاستقلال الاقتصادي وبتحريض من مسيلمة أظهرت اليمامة وبنو حنيفة مقاومة شرسة. فهُزم جيش

المسلمين مرتين، وتزعزع ولاء بعض القبائل والمدن. عندها أوكل أبو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه، أمر قيادة الحملة على وسط الجزيرة العربية. وانتهت هذه الحملة بإخضاع المنطقة ومدنها المحصنة إثر معركة اليمامة في عام ١١هـ/ ١٣٤ م، وموت مسيلمة وانتصار جيش المسلمين.

كانت هذه المعركة مفصلية في تاريخ الإسـلام. فخلال فترة قصيرة أعقبتها، كان كل سكان الجزيرة العربية تقريباً قد اعتنقوا الإسلام. وشكّلت لحظة تحوّل في تاريخ نجد بإنهائها النزاعات بين عرب الصحراء، كما كان لها أيضاً أثر آخر بالغ الأهمية على مستوى التاريخ الإسلامي.

ففي الحملة على نجد، وخلال معارك اليمامة التي شكّلت ذروتها، استشهد عدد كبير من المسلمين، وكان من بينهم عدد كبير من الصحابة من حفظة القرآن الكريم. ويقدر عدد الحفّاظ الذين استشهدوا خلال الحملة بنحو ٧٠٠ حافظاً. وقد حفّزت هذه الخسارة مسار البدء بجمع المصحف وتدوينه كتابياً.

أتى فتح اليمامة وإخضاع أهلها إلى قيام سلطة مركزية قوية في حجر أكبر مدنها المتبقية. وخلال عصر الخلفاء الراشدين ولاحقاً في العصر الأمـوي، هاجر عدد كبير من بني حنيفة وقبائل وسط شبه الجزيرة إلى البلدان التي كان المسلمون قد فتحوها حديثاً، وتحولت اليمامة وعاصمتها حجر إلى واحدة من مقاطعات الدولة المتوسعة. وظهرت آنذاك في نجد الملامح الأولى للعمارة الإسلامية. فبتزايد أعداد الجماعات التي كانت تعتنق الإسلام، بدأ بناء المساجد يحاول اللحاق بهذا النمو. وبنيت المساجد العديدة في المستوطنات مثل حجر وغيرها من المدن النجدية باللبن، وتميّزت بمآذنها القصيرة ذوات القواعد المربعة، والتي يمكن الصعود إليها على درج خارجي ينحدر على جانبها .

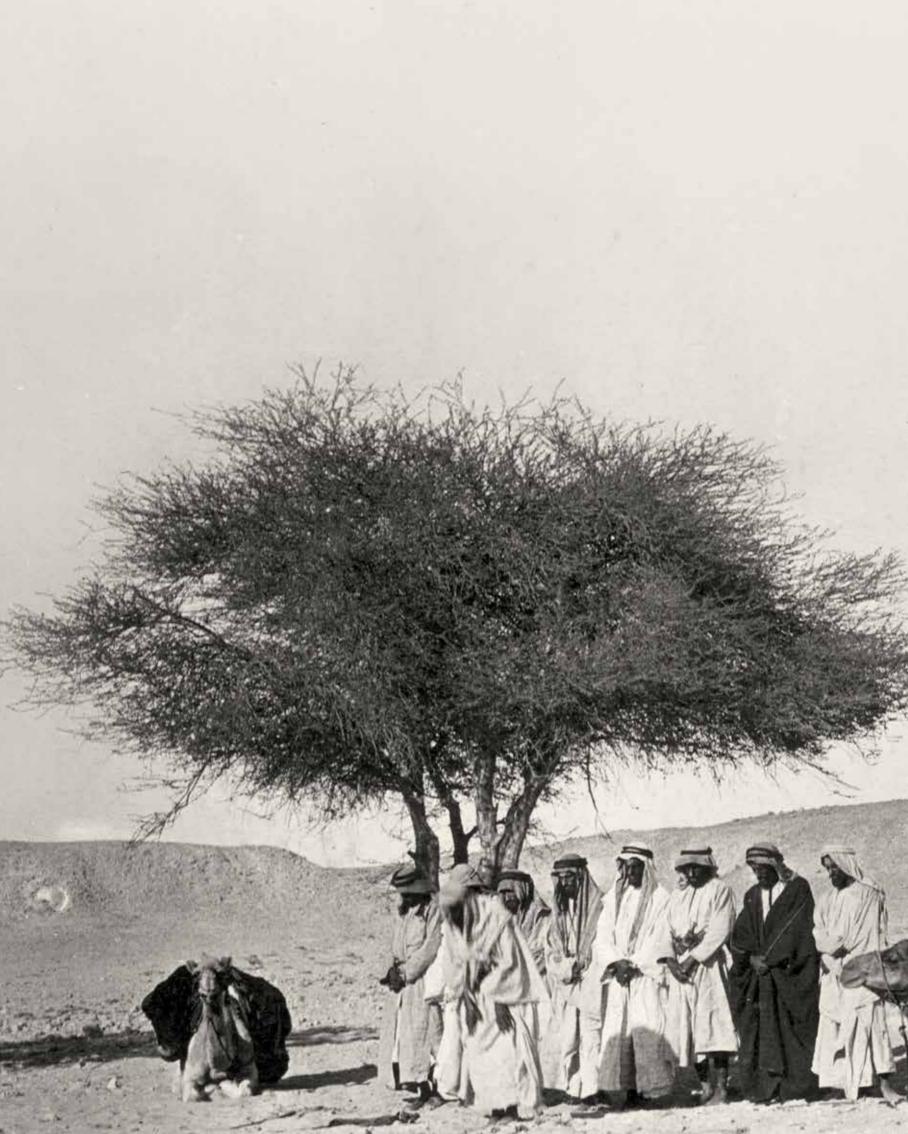
إن موقع مدينة حجر يبقى غير محدّد بدقة، ولكن يعتقد أنها كانت في المكان الذي يشكّل اليوم وسط العاصمة الرياض. واستناداً إلى بعض المراجع، كانت تقع بالضبط خارج السور الشمالي الذي كان يلف العاصمة.

أصبح الحج والعمرة من الأمـور الأساسية في حياة السكان بانطلاق القوافل في رحلاتها السنوية إلى مكّة المكرمة لأداء فريضة الحج، ورحلاتها الأصغر ولكن المتكررة أكثر لأداء العمرة. فـازدهـرت التجارة بفعل الحج والسفر. وكذلك تبـادل اللفكار

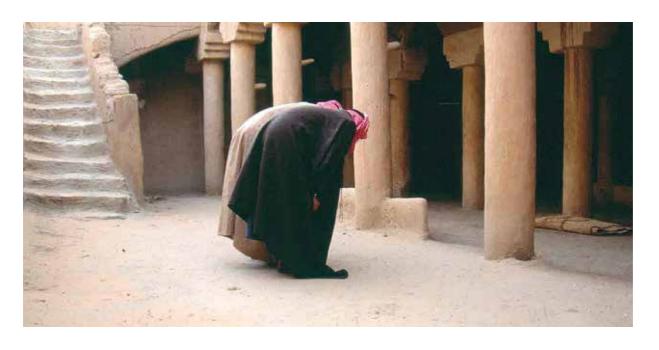
الصفحة التالية

بعد معركة اليمامة في عام ١١هـ (١٣٦م)، اعتنقت قبائل وسط شبه الجزيرة العربية الإسلام، واستمر المسلمون بالتوسع والانتشار عبر أرجاء الجزيرة العربية، وحتى ما وراء حدودها. وفي الصورة، مسافرون يؤدون الصلاة في الصحراء قرب الرياض، بعدسة عبدالله فيلبي، عام ١٩١٧م.





لأن الصلاة هي من أركان الإسلام الخمسة، بدأ بناء المساجد في وادي حنيفة منذ دخول مجتمعاتها في الدين الإسلامي الحنيف.



والاتصال بأرجاء الأمة المتنامية، بعدما تجاوز الإسلام حدود شبه الجزيرة العربية إلى آسيا وبلاد الشام وإفريقيا وما بعدها.

في عـام٢٣٢هـ/ ٨٤٦م تقريباً، أي بعد نحو قرن على قيام الدولة العباسية وعاصمتها بغداد، بدأت علامات الضعف بالظهور على اقتصاد اليمامة واستقلالها. وفي عام٢٥٢هـ / ٨٦٦ م، انفصلت اليمامة عن الدولة العباسية ووقعت تحت حكم بني أخيضر الذين نقلوا عاصمة المنطقة من حجر إلى مدينة الخرج المجاورة.

وفيما كان العصر الذهبي في الإسلام يتجلّى أكثر فأكثر في الشمال، استمرت المنطقة بالتدهور لوقت طويل نسبياً، وزاد الجفاف المتكرر والأوبئة من سوء أحوالها. ولكن بعد ذلك بقرنين، ضعف حكم بني أخيضر، فعاد بنو حنيفة إلى المنطقة للاستقرار فيها بعد أن كانوا قد هجروها سابقاً، وازدهـرت زراعتها مجدداً. واشتهرت المنطقة بغلالها التي صار الكثير منها يصدّر إلى مكة المكرمة.

ثمة لمحات عابرة حول الحياة في الموقع الحالي للرياض خلال القـرون التي أعقبت انتشار الإســلام، وقبل أن يتولى تدوين تفاصيلها المؤرخون والبحّاثة والرحّالة. ففي العام ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م، عبر هذه المنطقة الرحّالة والحاج الفارسي ناصر خسرو، وترك وصفاً مختصراً للــُحوالها. والمؤكد أنه زار الخرج، ولكن للـ تأكيد على

أنه مرّ بحجر أو غيرها من البلدات في وادي حنيفة. وتضمن ما كتبه وصفاً للمساجد وأنظمة الري السطحية والجوفية المستخدمة على نطاق واسع في المنطقة.

وفي عام ٣٣٧هـ/ ١٣٣١م، مرّ الرحالة المسلم الشهير ابن بطوطة بـوادي حنيفة خلال رحلته الثالثة إلى الحج، وزار مدينة حجر، ووصف زيارته بتفصيل مثير. فعند وصوله إلى ساحل الخليج العربي، انضم إلى قافلة حجاج اتجهت إلى الأحساء، ومن ثم غرباً إلى وادي حنيفة، حيث أكد أن حجر كانت ما تزال مركز اليمامة، وأن أمير المدينة كان طفيل ابن غانم، وأن بني حنيفة لا يزالون موجودين في المنطقة. وضمّن ابن بطوطة مشاهداته وصفاً لشبكة قنوات جرّ المياه وبساتين النخيل الشاسعة.

قرابة عام ٤٤٤هـ/ ١٤٠٠م، قامت دولة الجبريين في شرق الجزيرة العربية، وتمددت حتى وصلت إلى اليمامة. وأولى الحكام الجبريون، وهـم ذوو أصـول نجدية، احتراماً كبيرا للمدارس الفقهية والدينية التي كانت قائمة في اليمامة، وشجعوا التجارة والحج، وحموا طرقه من الخليج العربي عبر وسط شبه الجزيرة. وبنمو حركة الحجاج والتجارة الموسمية عبر المحيط الهندي والخليج العربي، صارت قوافل ضخمة تمرّ بحجر وغيرها من مدن اليمامة، حاملة معها خيرات وجدت من يقبل عليها في هذه المجتمعات.



بتطور تحديد خطوط الطول الجغرافية في القرن التاسع عشر، أصبح رسم الخرائط أدق من السابق. وتُظهر وليم دارتون طريق الحج إلى مكّة المكرمة عبر وسط شبه الجزيرة العربية وبعض الأماكن مثل الدرعية والرياض تحت اسمها القديم مقرن.

بدءاً من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، راحت حجر تتدهور، وتضافرت عوامل عديدة على ذلك، منها الجفاف والصراعات مع بعض جيرانها مثل: منفوحة والدرعية، واضطراب المنطقة ككل بشكل عام، على أفول نجم السلف القوي القديم لمدينة الرياض. وخلال تلك الفترة، كانت بلدات أخرى تزداد قوة في وادي حنيفة وفي جـواره مثل الدرعية، العيينة، منفوحة، وضرما، التي رسخّت مكانتها مع أشيقر الأبعد منها إلى الغرب، بوصفها مراكز للعلوم الإسلامية في نجد.

وبمرور الوقت، تفوقت هذه المدن على حجر التي صارت في وقت قريب من القرن السادس عشر الميلادي تعرف باسم

معكال. وبعد ذلك بقرن، عرفت البلدة المتضائلة باسم مقرن. فبموقعهما على المنبسط الغريني غربي وادي حنيفة على امتداد وادي الوتر (الذي سمّي لاحقاً وادي البطحاء)، فإن إسمي معكال ومقرن يشيران بالتأكيد إلى مناطق داخل مدينة حجر عاصمة اليمامة قديماً. وقد برزت مقرن بوصفها منطقة ناجية من تكتل القرى الزراعية التي شكّلت مجتمعة في وقت سابق مدينة حجر.

بعد عام ١٠٣٠هـ/ ١٦٢٠م، عرفت المنطقة ٥٠ سنة من الجفاف الشديد. وإن تمكن المزارعون وبساتينهم وحدائقهم من النجاة، فقد تضاءلوا حجماً وأهمية، في حين أن مجتمعات أخرى في وادى حنيفة كانت تزداد ازدهاراً وقوة.



وخلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر ميلادي، صار اسم الرياض يظهر بشكل متزايد للإشارة إلى المستوطنات القائمة فوق حجر القديمة. وعلى بعد كيلومترات قليلة منها جنوباً كانت تقوم مدينة منفوحة المسوّرة، التي يحكمها دوّاس بن عبدالله بن شعلان .

في العام ١١٥١هـ/ ١٧٣٧م، استولى دهام بن دوّاس على الرياض، وبدأ العمل على تطوير أحوالها. فثمة دلائل على أنه خلال حكمه بنى سوراً يلف الفياض الواسعة والمباني والمساجد المنتشرة، فنجح في جمعها كمدينة واحدة. كما بنى قصراً استخدمه من أتى بعده من الأمراء اللاحقون حتى تاريخ تدميره على أيدي آل رشيد عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م. أما المواقع الدقيقة لهذه الأماكن التي تأسست عليها الرياض فما زالت موضع تخمين.

يقول وليم فايسي في كتابه «الرياض، المدينة القديمة: منذ نشأتها حتى الخمسينيات»، إنه من الممكن أن يكون وسط

الرياض قد احتل المكان نفسه الذي كان نواة المدينة التي حكمها دهام. ولكن مستوطنته السابقة هذه كانت تغطي مساحة أكبر مما كانت عليه عاصمة الدولة السعودية الثانية. من هنا، لربما كان لمدينة دهام نواة داخلية شغلت مكان المدينة اللاحقة، مع منطقة دفاعية خارجية كانت تضمم بعض المستوطنات الأصغر مثل معكال التي استثنيت للحقاً.

وإذا صحّ ذلك، تكون الرياض قد تشكلت من مستوطنات وحدائق محاطة كلها بسور، بالطريقة نفسها التي كانت الدرعية محاطة فيها بسور خارجي شاسع عندما كانت عاصمة الدولة السعودية الأولى وفي ذروتها.

وفي الرياض، قاوم دهام النفوذ المتعاظم لجاره في وادي حنيفة. فعلى مدى ثلاثة عقود تخللتها مواجهات عديدة، تحدّى سلطة الدرعية والحركة الإصلاحية الناشئة وقيام الدولة السعودية الأولى وتوسّعها، إلى أن استسلم مع الكثيرين من أتباعه وهربوا.



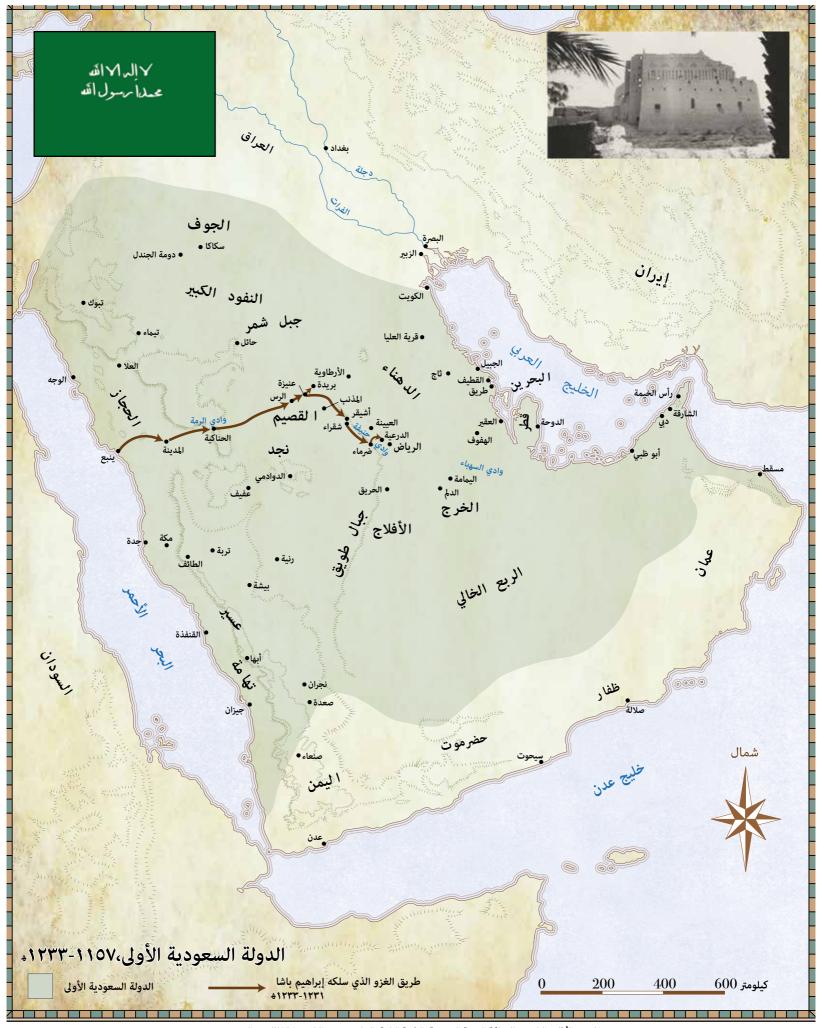
يعتبر مسجد سبالة موضي في الدرعية نموذجاً لفن تصميم المساجد الذي تطور في نجد، والتي كان من أبرز ملامحها المآذن القصيرة ذات القواعد المربعة، والأعمدة المبنية بالحجارة المحلية، واستخدام الطوب المجفف بالشمس.

الصفحة التالية

أصبح للحج والعمرة وقع كبير على حياة سكان الرياض، بانطلاق القوافل منها، أو بعبورها، في رحلة صحراوية تمتد لألف كيلومتر وصولاً إلى مكّة المكرمة. وهذه صورة نادرة لحجّاج تعود إلى عام ١٣٣٠ه(١٩١٢م)، من مجموعة هـ. فـ. ويكلي.







المصدر: الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٢١. الناشر: دارة الملك عبدالعزيز

٤ | الدولة السعودية الأولى

عند منتصف الطريق ما بين الرياض وحريملاء، باتجاه أعالي وادي حنيفة، تقع بلدة العُيينة التي كانت واحدة من أقوى المستوطنات النجدية وأغناها، واشتهرت بكونها مركزاً للعلم والتعليم. ومن بين فقهاء العيينة كان هناك الشيخ عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف التميمي.

وفي عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م، ولد ابنه الثاني محمد الذي نشأ في أسرة كبيرة تحظى باللاحترام في محيطها لما غُرف عنها تعليمها القرآن الكريم واللغة والحديث النبوي الشريف والفقه الحنبلي. وطالما أن البلدة كانت نقطة جذب للبحّاثة وقاصدي العلم من أماكن بعيدة، كان محمد بن عبدالوهاب منذ طفولته محاطاً بالعلماء في شتى فروع العلوم الدينية.

عند بلوغه سن العاشرة، وكان والده قد أصبح قاضياً على العيينة، كان محمد قد حفظ القرآن كاملاً، وظلّ يتعمق أكثر فأكثر في العلوم الدينية كما برع أيضاً في فن الخط. وفي عام ١٣٥٥ه / ١٧٢٣م تقريباً، سافر لأداء الحج، ثم استقر في المدينة المنوّرة حيث تلقىّ الإرشاد من علماء وافدين من أرجاء العام الإسلامي وتأثر بهم. بعد ذلك بسنتين، عاد إلى مسقط رأسه. ولكن إقامته هنا لم تدم طويلاً بسبب المقاومة المحلية التي واجهت دعوته إلى نبذ التفسيرات الضالة والمناقضة للإسلام وبشكل خاص التعلق بالأولياء والعناية بالأضرحة والمقامات.

توجه الشيخ محمد للـحقاً صوب الشرق، فعبر صحراء الدهناء إلى الهفوف، أكبر واحات الأحساء والشهيرة بكونها من أكبر مراكز التعليم الديني في الجزيرة العربية. ومن هناك سافر إلى البصرة، حيث درس على أيدي عدد من ألمع علماء العصر وتأثر بهم.

عند عودته إلى موطنه عام١١٥١هـ/ ١٨٣٨م، أمضى فترة قصيرة في حريملاء حيث كان والده قد استقر منذ عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م، ومنها عاد إلى مسقط رأسه في العيينة التي غادرها عام١١٥٧هـ / ١٩٤٤م إلى واحة الدرعية التي كان يحكمها الأمير محمد بن سعود منذ عام ١٣٣٩هـ/١٧٢٦م.

وهـنـاك، ومـن ناحية صغيرة عند الطـرف الشمالي للمدينة، استمر في نشر دعوته، ولقي ترحيباً من الأمير الذي دعم دعوته الإصلاحية. فانتقل الشيخ محمد مع عائلته وعدد متعاظم من أتباعه إلى الإقامة في منزل قبالة الطريف الذي كان مقر الحاكم،

في البجيري الواقع وسط بساتين النخيل والحدائق بمحاذاة وادي حنيفة.

شهدت الدرعية آنذاك قيام تحالف تاريخي تولّى بموجبه الأمير الشؤون السياسية والإقتصادية والعسكرية، في حين تولى الشيخ محمد بتعاليمه ترسيخ الإيمان بالنصح والإرشاد. وكان فحوى الدعوة الإصلاحية التي عرفت على نطاق واسع بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، العودة الكاملة إلى تعاليم القرآن الكريم بحذافيرها ووحدانية الله، عز وجل، وما ثبتت صحته من الحديث والسنّة. وبهذا التحالف قامت الدولة السعودية الأولى وعاصمتها الدرعية. وما تزال مبادىء الدعوة الإصلاحية حية ومعمول بها في المملكة حتى اليوم.

بصفتها عاصمة الدولة السعودية الأولى، راحت الدرعية تنمو في السنوات اللاحقة. وكانت هذه المدينة المسوّرة تتألف من أحياء متعددة، وكانت أبنيتها مبنية بالطوب اللبن مع قواعد وأعمدة من الحجر الجيري في الكبير منها، كما كان الحال في كل المستوطنات القديمة في وادي حنيفة. وكانت هذه التقنية المعمارية القديمة ملائمة جداً للظروف المناخية وأيضاً لجهة المواد الأولية المتوافرة، وتتطلب الكثير من المهارات والصبر والجهد المصاحب للإبداع الذي تطور عبر ١٠٠٠ سنة عند سكان المنطقة .

وتحدث مؤرخ نجد في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، عثمان بن عبدالله بن بشر (ت ١٢٩٠هـ) عن الدرعية بوصفها مدينة مزدهرة عامرة بالمنازل الكبيرة ومـزارع النخيل والبساتين، وقـال إن شوارعها مكتظة بالوجهاء يرافقهم رجال حواشيهم الذين يتمنطقون أسلحة مزدانة بالذهب والفضة، وخيول عربية أصيلة وجمال سريعة من عمان.

وقد وفّرت غيضات النخيل الشاسعة، التمر والدبس طعاما للناس وعلماً للحيوانات، وأيضاً مواداً للبناء ولصناعة السلال وغير ذلك من الأدوات المنزلية. وبين مزارع النخيل وعلى ضفاف الودي، كانت الحقول المروية تنتج الحبوب مثل القمح والشعير اللذين كانا غذاءً رئيسياً، إضافة إلى العلف للحيونات. كما كانت البساتين تنتج أنواعاً عديدة من الفاكهة والخضروات العشبية، إضافة إلى الأعشاب الطبية.

بدعم من النفوذ السياسي والقوة العسكرية لآل سعود، شكّلت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ما يشبه المحرك على امتداد

الصورة على الخريطة

قصر عمر بن سعود، شقيق الإمام عبدالله، في الدرعية، يُشرف بتحصيناته ومهابته على وادي حنيفة. الصورة بعدسة حسن فتحي.

الصفحة التالية

هذه الصورة لحي الطُريف المأخوذة من مرتفع مقابل، تُظهر اتساع الدرعية، عاصمة الدولة السعودية الأولى. وفي عام ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م، نصب إبراهيم باشا مدفعيته في هذا المكان ليدكّ الطُريف المحصَّن جيداً. التقط هذه الصورة التاريخية فيلبي في ديسمبر من عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م، وقال: «إن الدرعية القديمة هي أنموذج في كل شيء للرياض الحديثة التي بُنيت لتحل محلها».







صفحتان من مخطوط ابن بشر حول تاریخ نجد من أواسط القرن الثامن عشر الميلادي حتى عام ١٨٥٤م، ويأتي على ذكر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الدولة السعودية الأولى. وعلى الرغم من أن ابن بشر لم يكن معاصراً للشيخ، فقد حرص على التقوه. (بإذن من المكتبة والتقوه. (بإذن من المكتبة

وادي حنيفة. فنشأت التحالفات ونشبت العداوات وحصلت مصالحات وخروقات. فانحازت العيينة وحريملاء إلى الدرعية، وفي عام ١١٥٩هـ / ١٧٤٦م، اعترفت منفوحة بسلطة آل سعود عليها. أما الرياض، التي كانت تحت حكم دهام بن دوّاس والذي كان يزعم لنفسه أيضاً السلطة على منفوحة، فقد قاومت الدعوة الاصلاحية التي انطلقت من الدرعية. وخلال السنوات الخمس والعشرين التي تلت التحالف ما بين الإمامين محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود، وقعت عشرات الاشتباكات ما بين العاصمة الدرعية وجارتها الرياض.

في عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م، توفي الأمام محمد بن سعود، رحمه الله، فتولى ابنه الإمام عبدالعزيز السلطة على الدرعية، فيما كانت العداوة مع الرياض تتعاظم. كان عبدالعزيز قد فقد إثنين

من إخوته، وهما سعود وفيصل، في الصراع الطويل الذي كانت الرياض خلاله تتذبذب بين قبول الدعوة إلى الإصـلاح الديني والعودة عنه.

وأخيراً، في عام١١٨٧هـ / ١٧٣٣م، كان الضعف قد دبّ في الرياض بفعل الهجمات المتكررة المنطلقة من الدرعية المتنامية، حتى أن دهام نفسه فقد إثنين من أبنائه وأحد أخوته في هذا الصراع الطويل، فاستسلم وهرب مع بعض المئات من رجاله إلى الخرج.

ويقدر المؤرخون أن الرياض خسرت في ٢٧ سنة نحو ٢٠٠٠ رجل، وهو رقم كبير بالنسبة إلى تعداد السكان في ذلك العصر. وبهروب دهـام أصبحت الرياض الواهنة تحت سلطة العاصمة الدرعية.

وبذلك تكون الدولة السعودية قد صارت تشمل كل وادي حنيفة، وبدأت مرحلة مدّ سلطتها إلى ما أبعد من ذلك.

تعززت اندفاعة الدولة السعودية الأولى بالحماسة لدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية، فتوسعت شرقاً عبر نجد حتى الأحساء وسواحل الخليج العربي وعمان على المحيط الهندي، وشمالاً حتى تخوم مناطق الحكم العثماني في بلاد الشام وما بين النهرين. واتجهت الطموحات صوب الحجاز، إلى مدينتي مكّة المكرمة والمدينة المنوّرة وساحل الحرائية المنوّرة وساحل الحرائية المنوّرة وساحل الحرائية المنوّرة وساحل التحرافية المنوّرة وساحل التحريف المنوّرة وساحل التحريف المنورة والمدينة والمدينة والمدينة المنورة والمدينة المدينة والمدينة المدينة والمدينة وا

في هذه الأثناء، كان توسع رقعة الدولة قد عزّر الأمن في الرياض. وبفعل ذلك، تداعى سورها. وصار أمير المدينة يعيّن من الدرعية، ومهمته حفظ الأمن داخل المدينة والإشراف على جمع الزكاة. ومن الزكاة كانت الدرعية تخصص عائدات لصيانة المساجد والآبار العامة ورعاية المعوزين. أما القضاء والتعليم فكانا يداران من العاصمة المجاورة، والشؤون الدينية من قبل الشيخ محمد بن عبدالوهاب حتى وفاته، رحمه الله، عام ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م، ومن قبل آخرين من أفراد أسرته الكبيرة.

حكم الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ٣٨ سنة، قاد خلالها حملات عديدة عبر الجزيرة العربية وحتى جنوب بلاد ما بين النهرين. وفي رجب ١٢١٨هـ/ نوفمبر ١٨٠٣، وكان عمره ٨٢ سنة، أغتيل فيما كان يصلي العصر في جامع الطريف داخل قلعة عاصمته، فتولى الحكم فوراً خليفته الإمام سعود بن عبدالعزيز.

بحلول عـام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م، كان الإمـام الثالث في الدولة السعودية الأولى قد وسّع حـدود الدولة لتشمل المدينتين المقدستين مكّة المكرمة والمدينة المنوّرة، بما في ذلك الإشـراف على طـرق الحج الرئيسية. وبـذلك، صـارت الدولة تبسط سلطتها على معظم ساحل البحر الأحمر غرباً، وحتى الأحساء وساحل الخليج العربي وعمان شرقاً. فنمت الدرعية تحت حكم الإمام سعود وتحولت إلى عاصمة إسلامية غنية وقوية عسكرياً، تغذيها عائدات الزكاة من نجد وباقي المناطق، وتعج بالتجارة والغنائم.

أدى الانتشار القوي للدعوة الإصلاحية إلى إثارة قلق السلطات العثمانية في إسطنبول والـولاة العثمانيين في العراق وسوريا ومـصـر. فالسيطرة على الحرمين الشريفين في المدينتين المقدستين كانت مسألة مهمّة بالنسبة إلى شرعية الحكم

العثماني. كما ازدادت الضغوطات الـدولية على السلطات العثمانية في كل من إسطنبول والقاهرة لاتخاذ تدابير رادعة توقف تهديد الملاحة البحرية الأوروبية ومصالحها على سواحل الجزيرة العربية.

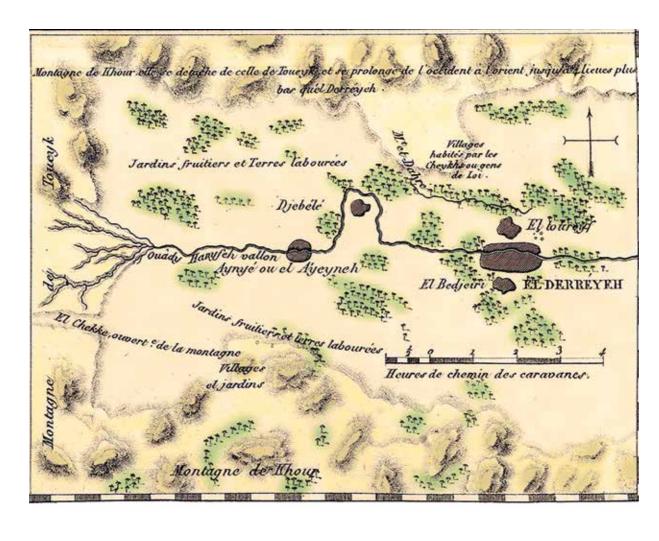
كان التجاوب – الـهـادف إلـى تحجيم توسّع الـدولة السعودية وانتشار دعوة الإصلاح - حملة عسكرية على الجزيرة العربية تتخذ من ميناء ينبع رأس جسر للزحف على المدينة المنورة، ومن هناك إلى نجد. وتولّى تحضيرات هذه الحملة والي مصر العثماني ذو الأصل الألباني محمد علي باشا، الذي موّلها بواسطة الضرائب والقروض، ووضعها تحت إمـرة إبنه أحمد طوسون البالغ من العمر ١٧ سنة. وفي عام ١٣٢٧هـ/ ١٨١٢م، كانت هذه القوة المصرية العثمانية قد استولت على المدينة المنوّرة.

في عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م، انتهى عقد من حكم الإمام سعود بوفاته، فخلفه ابنه الإمـام عبدالله في ظرف اتصف بتزايد المخاطر المحدقة بالدولة السعودية الأولى. وخلال سنة، بدأت القوات الغازية حملتها على وسط نجد. في البدء، كانت هناك مقترحات سلام، يقتصر بموجبها الحكم السعودي على نجد. ولكن تمّ اطلاق حملة جديدة بقيادة إبراهيم الإبـن الأكبر لباشا مصر ومجموعة من الخبراء الأوروبيين لوقف انتشار دعوة الإصلاح نهائياً. وانطلاقاً من المدينة المنورة، عبرت هذه القوات منطقة القصيم، ثم انعطفت يميناً باتجاه شقراء، ومن هناك إلى ضرما التي كانت ذات أهمية كبيرة لاحتوائها على الإسطبلات الرئيسية للإمام عبدالله بن سعود التي تحتوي بدورها على عدة آلاف من الجياد العربية الأصيلة اللازمة للخيّالة.

وبعد مقاومة عنيدة وشجاعة، سقطت ضرما ونُهبت. وفي ربيع ١٣٣٣هـ / ١٨١٨م، انتقلت القوات الغازية عبر جبال طويق لتدخل وادي حنيفة من مكان قرب العيينة، ومن ثم انعطفت جنوباً لتفرض حصارها على العاصمة.

استمر حصار الواحة المسوّرة بجدار طيني 1 أشهر. وشارك في الهجوم عليها ٦٠٠٠ جندي تركي وألباني وشمال إفريقي من المشاة إلى جانب مجموعة من الإنتهازيين الذين انضموا إلى الحملة. وتعزز الهجوم بالخيّالة وقوافل الجمال التي كانت تؤمن التموين، وبالمرتزقة الأوروبيين والمستشارين العسكريين واللوجستيين والمهندسين وخبـراء الألـغام ومجموعة ضخمة من المعدات شملت المدفعية وقوة نارية كبيرة ومتفجرات.





خريطة تعود إلى بدايات القرن التاسع عشرن وتظهر وجود بساتين نخيل واسعة وحقول في المنطقة. هذه الخريطة هي المسافة التي يقطعها الجمل في ساعة، ومنها نعرف أن الرحلة من الدرعية إلى العيينة عبر وادي حنيفة كانت تستغرق خمس

> كما أن عدداً من زعماء القرى والمدن في الوادي، بما فيها الرياض ومنفوحة والخرج إنضمّت إلى القوة الغازية. وبعد قصف مدفعي طويل أضعف قلعة الطريف، استسلم الإمام عبدالله، عارضاً نفسه فديةً عن السكان وممتلكاتهم وثرواتهم، في محاولة منه لتأمين سلامة الناجين من المدافعين.

> كان الهجوم على الدرعية ذروة سبع سنوات من الحملات العسكرية على شبه الجزيرة العربية، وقلب نجد هدفها الأكبر.

فاستشهد ۱۲۰۰ رجل من الدرعية في الهجوم، وكان من بينهم ٢١ فـرداً من آل سعود. وبعد الاستسلام ببضعة أيـام، نقلت القوات المصرية - العثمانية الإمام عبدالله إلى القاهرة، ومنها إلى إسطنبول. وهناك، أمر السلطان محمود الثاني بإعدامه، وتم تنفيذ الحكم عند المدخل الرئيسي لجامع القسطنطينية/ آيا صوفيا في ١٣٣٤هـ/ ١٨١٨م.

الصفحة المقابلة

مسجد سبالة موضي في الدرعية قبل ترميمه، في صورة التقطها عام ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م المهندس المعماري حسن فتحي، المعروف بأنه رائد الهندسة المعمارية المستدامة في الشرق الأوسط.



المصدر: الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٢١. الناشر: دارة الملك عبدالعزيز

0 | الدولة السعودية الثانية

أدّى الحصار التركي - المصري للدرعية في صيف ١٢٦٣هـ/ ١٨١٨ إلى نهاية الدولة السعودية الأولى. وحلّ بالمدينة خراب كبير وإن كان غير شامل، وأُسدل الستار على دورها بوصفها عاصمة. وغداة استسلامها، انصبّ اهتمام العثمانيين على تفكيك القاعدة السياسية والعسكرية السعودية.

يصف المؤرخون النجديون أمثال إبن بشر انتقام إبراهيم باشا على أنه تضمّن: عقوبة جماعية بلا رحمة، تدمير مزارع النخيل والبساتين، مصادرة الممتلكات، النهب، السخرة، ونفي المئات من أسرتي آل سعود وآل الشيخ إلى القاهرة. وفي مدينتي الرياض ومنفوحة المجاورتين، تمّ هدم الأسوار الدفاعية، ونُهبت المحاصيل المحلية من قمح وشعير، وصودرت الخيول والمواشي والأسلحة. فكانت المجاعة وما يلازمها من أمراض النتيجة الحتمية لذلك.

ولأن مصادر الغذاء، التي هي أصلاً غير مستقرة في نجد، أصبحت نادرة، ازدادت معاناة السكان وآلامهم وعظمت نقمتهم. وتزايد إحساس قوات الإحتلال بالخطر، فاختار إبراهيم باشا في عام ١٨١٥هـ/ ١٨١٩م، الانسحاب من نجد على مراحل. وتزامن ذلك مع موجة جديدة من القتل والابتزاز والمزيد من التهجير. وبفعل الدمار الواسع الناجم عن هذه الحملة العقابية وحصار الدرعية لمدة سبعة أشهر ونهبها وتخريب المدن النجدية وانهيار الدولة السعودية الأولى الناجم عنه، تولّد فراغ سيؤدي لاحقاً إلى مزيد من الغزوات عبر البحر الأحمر.

وترافق ذلك مع فترة من التخبط والاضطراب الداخلي، سعى خلالها عدد من زعماء المدن في وادي حنيفة وأماكن أخرى من نجد إلى انتهاز الفرصة وبسط هيمنتهم. وإضافة إلى النفي قسراً، حصلت موجة هجرة جماعية، نجم عنها الشتات النجدي. فهاجر الناس غرباً عبر البحر الأحمر، وشرقاً إلى الخليج العربي وما بعده، وشمالاً إلى العراق، واستقروا وبنوا مجتمعاتهم في تلك الأماكن الدوردة.

أما من تبقى من السكان الذين اعتادوا تحمل فترات الشدائد والعيش برخاء في فترات الوفرة، فقد تمسكوا بعزمهم على إعادة بناء الدولة السعودية. وستتوجه أنظار هؤلاء لاحقاً إلى الرياض كعاصمة جديدة.

كانت هناك محاولة قصيرة العمر لإصلاح حال الدرعية بعد سنة على سقوطها. وكان ذلك على يد محمد بن مشاري بن معمّر المتحدر من أسرة حكمت العيينة طويلاً وكانت من أتباع الشيخ

محمد بن عبدالوهاب ودعوته الإصلاحية. استقر ابن معمّر في الدرعية وزعـم لنفسه الحكم وما يعنيه من سلطة على نجد. فقاومه سكان الرياض والخرج وحريملاء. ولكن سكان منفوحة وبعض المدن الأخرى بما فيها بلدات سدير الواقعة على بعد ١٥٠ كيلومتراً من الرياض أيدته.

في ربيع عام١٣٦٦هـ/ ١٨٢٠م، عاد إلى الوادي عدد من آل سعود، وكان من بين الذين خرجوا من مخابئهم في الصحراء الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، الذي كان مقدراً له أن يؤسس الدولة السعودية الثانية ويتخذ الرياض عاصمة جديدة. وبعد ظهوره على الساحة بوقت قصير، عاد مشاري بن سعود بن عبدالعزيز بعدما تمكن من الإفلات من الأسر في الطريق إلى ينبع حيث كان سينقل على متن سفينة إلى المنفى في مصر. ومشاري هو شقيق عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز آخر إمام حكم الدولة السعودية الأولى، وفور عودته أعلن إقامة حكمه، وأقنع ابن معمّر بالاعتراف بسلطته.

استمر ترميم الدرعية خلال فترة حكم مشاري القصيرة. وكان تركي بن عبدالله قد عيّن حاكماً على الرياض التي رغم ما كان قد أصابها من أضرار، بقيت أفضل حالاً من الدرعية وما يحيط بها من حدائق ومزارع. ثم كان أن انقلب ابن معمّر على مشاري واعتقله، وأزاح تركى عن حكم الرياض ليعين ابنه محله.

وعلى الرغم من تقلب التحالفات المحلية، فإن عودة عناصر من آل سعود وآل الشيخ إلى وادي حنيفة كانت إيذاناً بعودة الدولة السعودية وحركة الإصلاح الديني. فتحرك المصريون لاحتواء هذه الطموحات. وخططوا لإعادة إرسال قواتهم، فيما تأكدت طواعية ابن معمّر لهم كحاكم على الدرعية المتقلصة والمرممة جزئياً.

اتخذ تركي قــراراً فــوريـاً وحاســمـاً، فــأزاح ابــن معمّر وولــده عن قاعدتهما المحصنة في الرياض، واستعد لردة الفعل: وصلت التعزيزات المصرية بسرعة، وسقطت المدينة وفرّ تركي. كانت الحملة التي أرسلها محمد علي تحت السطة العثمانية وقادها المصري حسين باي. وفي عام ١٣٣٧هـ / ١٨٢١م، تم تدمير كل ما كان قد أعيد بناؤه من الدرعية وساد الرعب والقتل الجماعي على طول الوادى ومعظم أرجاء نجد.

أما الدرعية التي حلّ بها الخراب الشامل، فقد مرّت عليها للحقاً ١٥٠ سنة قبل أن تنهض من جديد على الجهة الشرقية من الوادي، وما استتبع ذلك من ترميم لحى الطريف وواحته، الذي أدرجته

الرسم على الخريطة

أول رسم معروف لخريطة الرياض، من عمل و. ج. بيلغريف خلال زيارته عام ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م للمدينة التي كانت قد أصبحت عاصمة الدولة السعودية الثانية.

الصفحة التالية

صورة علوية لجامع الإمام تركي بن عبدالله والسوق المجاور له. وتظهر إلى اليسار المئذنة القصيرة المربعة والجهة الخارجية من المحراب الذي يشير إلى اتجاه القِبلة عند الطرف الجنوبي للجدار الغربي. وتشغل المنطقة المكشوفة في الوسط نحو ربع مساحة الجامع، في حين تقوم المنطقة المسقوفة على صفوف من الأعمدة الحجرية. التقط هذه الصورة تي. إي. والترز من شركة أرامكو في عام ١٣٦٩هـ/١





منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) على قائمة مواقع التراث العالمي.

باتت الرياض مع شقيقتها منفوحة مقرّين لحاميتين من الجيش التركي - المصري. وبعد هذه الإنتكاسة، حسم تركي أمره على استعادة السلطة على المدن التي وقعت بين أيدي حكام انتهازيين مطيعين للسلطات العثمانية. فكانت منفوحة الأولى التي طردت الغزاة بعد أن تحالف أميرها وسكانها مع تركي، وأجبرت الحامية المرابطة فيها على الاستسلام والانسحاب.

أما أمير الرياض فلم يكن متعاوناً إلى هذا الحد، وفي عام١٣٦هـ / ١٨٣٨ حاول تركي عدة مرات أن يحاصر المدينة المحصنة جيداً ويستولي عليها من خلال حشد الدعم المحلي. وبعد قطع الإمدادات عنها، استسلمت القيادة المصرية وفاوضت للحصول على ممر آمن للانسحاب. ولكي يتأكد تركي من عدم عودة الجنود المصريين والأتراك، فقد حرص على اللحاق بهم خارج وادي حنيفة وحتى شقراء خلال انسحابهم باتجاه المدينة ومن هناك إلى القاهرة.

بدءاً من عام ١٣٤٠هـ/ ١٨٢٤م، أصبحت الرياض عاصمة حكم الإمام تركي بن عبدالله. وخلال أشهر انضمّت إليها بلدات الخرج، فأصبح كل وادي حنيفة ومعظم نواحي نجد تحت سلطة الإمام. ومنذ ذاك وحتى اليوم، وباستثناء فترة فاصلة من ١١ سنة عند نهاية القرن، ستبقى الرياض العاصمة السعودية. والإمام تركي بن عبدالله مؤسس الدولة السعودية الثانية والرياض كعاصمة لها، هو حفيد مؤسس الدولة السعودية الأولى.

كما كان مقدّراً له أن يكون الجدّ الأكبر للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود مؤسس وموحّد المملكة العربية السعودية. أصبح لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب مركزاً جديداً. ففي عام ١٨٤٥هـ/ ١٨٢٥م عاد عدد من آل سعود وآل الشيخ، ومعظمهم كانوا منفيين، واستقروا في العاصمة الجديدة. ومن بين هؤلاء كان هناك حفيد الشيخ الإصلاحي، عبدالرحمن بن حسن بن محمد الذي كتب له الإمام تركي يستحثه في القدوم عليه من مصر، فحقق الشيخ رغبته وقدم عليه بعد ولايته بسنة ففرح بمقدمه الإمام تركي وأكرمه غاية الإكرام. وأصبح الشيخ عبدالرحمن قاضياً على الرياض. وظل هذا القاضي العلامة والمدرّس الشهير من الشخصيات النافذة طوال أربعة عقود لاحقة. فقام الشيخ عبدالرحمن مبدالرحمن بمؤازرة الإمام تركي خير قيام، حيث استعان به على عبدالرحمن دولة إسلامية ونشر دعوة سلفية، أصلح الله بها ما

فسد، فأعادت إلى أهل نجد ما فقدوه من الروح الدينية والقوة المعنوية فاستقر الأمن وساد النظام والعدل.

أقـام الإمـام تركي حكمه على أسس الأحكام الإسلامية التي قامت عليها الدولة السعودية الأولى والحركة الإصلاحية التي انبثقت عنها. ولكن حركة التوسع كانت هذه المرة حذرة أكثر من السابق. فبعد أن حصل تركي على ولاء مدن القصيم وجبل شمر في الشمال، بدأت محاولاته لبسط سلطة الدولة شرقاً باتجاه واحة الأحساء وساحل الخليج العربي وعمان.

عمل الإمام تركي على ترميم القدرات الدفاعية للرياض، فأصلح أسوارها وأبـراج المراقبة والـبـوابـات. ووسّـع عــداً من المباني والقصر الرئيسي الحصين، وبنى بمحاذة القصر في وسط المدينة جامعاً كبيراً حمل اسمه للـحقاً. وظلّ هذا الجامع الكبير للأكثر من ١٠٠٠ سنة المعلم الرئسي البارز في أفق المدينة المرسوم بلون الطين.

وشجع الإمام التجارة ووحّد المقاييس والأوزان في منطقة حكمه، حيث كانت المقايضة رائجة على نطاق واسع بمحاذاة استخدام محدود لنقود معدنية واردة من مصادر خارجية، كان «التالر النمساوي ماريا تيريزا» أشهرها وأكثرها استحواذاً على ثقة الناس، بسبب حافته المرخرفة التي لا يمكن حكّها أو اقتطاع جزء منها. وإلى جانب التالر الموثوق به، كانت هناك نقود معدنية أصغر، وكتل المعادن والأصداف التي استعملت كنقد. وإضافة إلى توحيد المقاييس والأوزان، شدّد الإمام تركي على الالتزام إلى توحيد المقاييس والأوزان، شدّد الإمام تركي على الالتزام إلى حدٍ كبير النشاط التجاري. ولكنه ظل قلقاً من احتمال تجدد التهديدات الخارجية، فتلافى التوسع إقليمياً بسرعة. وبتفكير القب وعملي، أسس لعلاقات جديدة مع الدولة العثمانية، وأيضا مع المصالح البريطانية المتنامية في المنطقة. ومثل وأيضا مع المسالت سيتبناها بنجاح حفيده الملك عبدالعزيز في القرن الرابع عشر الهجرى/ العشرين الميلادي .

في ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م، أغتيل الإمام تركي بعد صلاة الجمعة في الجامع الكبير الـذي كان قد بناه قبل عقد من الـزمـن، بفعل مؤامرة حاكها مشاري للاستيلاء على الرياض. كان الإمام فيصل بن تركي خارج الرياض في ذلك اليوم، وهو اليوم الأخير من العام الاجري حين حصل الاغتيال. فكما هو حال الكثيرين من أفراد العائلة، كان فيصل قد أُسر ونفي إلى مصر بعد سقوط الدرعية، ولكنه تمكّن من الهرب وعاد إلى نجد. وبمؤازرة القادة



المحليين زحف على أسوار الرياض المحصنة بشكل كبير ليفرض حصاره على المدينة ويستعيدها، واعتُقل مشاري وقتل بعد أقل من شهرين من اغتيال الإمام تركي. وتلقى فيصل الدعم والاعتراف به إماماً وحاكماً. وسيحكم الرياض لاحقاً مرتين مجموعهما ٢٥ سنة.

كان حكم فيصل في المرة الأولى قصير العهد. ففي عام ١٣٥٤هـ/ ١٨٣٧م، وصلت إلى العاصمة السعودية أنباء عن حملة عسكرية مصرية أخرى، وكان بمعية القادة والسبعة آلاف عسكري خالد

بن سعود (الكبير) بن عبدالعزيز، وهو شقيق آخر أمير على الدولة السعودية الأولى، وكان منفياً في القاهرة لمدة ١٨ سنة إلى أن قبل بالانضمام إلى الحملة. أثار خطر الغزو انقساماً في صفوف سكان الرياض، فاختار فيصل الانسحاب من العاصمة فيما كانت الحملة، بمن فيها خالد بن سعود، تتجه اليها من القصيم لتستولى عليها.

ردّ فيصل على تعيين حاكم جديد بعدة محاولات لمحاصرة الرياض والحامية التي كانت قد تشكلت حديثاً من جنود مصريين وأتراك.

الأعمدة التي تحف بالممر الواصل ما بين القصر الملكي وبيت المال، عام ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م. تصوير دي غوري. ولكن وصول المزيد من التعزيزات أدى إلى أسر فيصل للمرة الثانية ونفيه إلى القاهرة، فيما تواصل تدفق الحاميات العسكرية من المصريين والمغاربة وغيرهم من العرب الذي استولوا على معظم مدن المنطقة وبلداتها.

أصبح خالد حاكماً مصرياً بالوكالة. وفي عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، أُجبر المصريون على تخفيف وجودهم في شبه الجزيرة العربية بفعل صراعات وضغوط خارجية، فلم يبق له من الدعم إلا القليل. وفي العام التالي قرر عبدالله بن ثنيّان وهو من أحفاد شقيق مؤسس الدولة السعودية الأولى، وضع حدٍ للتدخل المصري - التركي في المنطقة، فاستولى على الرياض وخلع خالد ليحل محله، وبدأ العمل لمدة محدودة على تعزيز قاعدة سلطته.

وفي القاهرة استغل فيصل الاضطرابات المتعاظمة هناك ليفّر للمرة الثانية. وعاد إلى نجد عبر جبل شمّر، حيث أقام عند صديقه عبدالله بن رشيد في حائل. وبعث برسائل إلى أمراء البلدان وشيوخ القبائل حتى استعاد السلطة من ابن ثنيّان.

واستمر حكم فيصل للمرة الثانية ٢٢ سنة، وكانت هذه أطول فترة سلام نسبي في قرن من الاضطرابات. أما فترات الحكم العشر اللاحقة فلم تدم أى منها أكثر من سبع سنوات.

كانت قيادة الإمام فيصل صارمة في عملها على تعزيز الوحدة والاستقرار. ولأن اغتيال والـده بعد صلاة الجمعة لم يغب عن

ذهنه، فقد بنى ممراً مسقوفاً من الدور الثاني في الجامع إلى القصر المقابل له، ليتمكن من الذهاب سيراً وبأمان من مسكنه إلى الجامع. وشجع فيصل الزراعة، وكما فعل والده، وحفّز التجارة وحسّن الظروف الدقتصادية والأمن.

وبموازاة المقايضة التقليدية بين التجار والمواطنين، استمرت النقود المعدنية بالاستحواذ على المزيد من القبول في المنطقة. وفيما كان يُنظر إلى «الريال المجيدي» العثماني بعدم القبول، كانت الجنيهات الذهبية البريطانية والروبيات الهندية وغيرها من العملات الشعبية مقبولة. ولكن أفضل نقد لجهة رواجه والثقة به إلى درجة لا يدانيها أي نقد آخر، كان تالر ماريا تيريزا الذي لا يُنافس في أهميته.

وأشرف فيصل أيضاً على إعادة الاهتمام بتربية الخيول العربية الصحراوية الأصيلة. إذ تلقى عددا من الخيول كعربون من بعض المناطق بما فيها حائل، وشهد هذا القطاع نـمواً كبيراً في صادرات الخيول إلى العراق والهند وأوروبـا. وكان فيصل خلال وجوده في منفاه القاهرة للمرة الثانية قد تعرّف عن قرب على الأهمية الكبرى المعلّقة على الخيول العربية التي كان محمد علي وأبناؤه قد صادروها في نجد وأخذوها معهم من الحملات على شبه الجزيرة العربية.

قبيل نهاية حكم الإمام فيصل، وصل إلى الرياض رحّالتان غربيان هما وليم بيلغريف ولويس بلى، والتقيا الإمام، ودوّن الإثنان



السور الشرقي وبوابة الثميري التي تنفتح على الطريق المؤدي إلى الأحساء. ويقع حصن المصمك على بُعد خطوات من هذه البوابة، بجانب الطريق المؤدي إلى الجامع



جانب من الحركة التجارية في أحد أسواق الرياض. فالإمام تركي بن عبدالله مؤسس الدولة السعودية الثانية شجّع التجارة، ووحّد المقاييس والأوزان في المنطقة، كما سنّ قوانين لفرض الدلتزام بالاتفاقيات ومنع الإخلال بها. وكانت المقايضة هي النمط التجاري الرائج، إلى جانب الاستخدام المحدود للنقد المعدني.



بساتين النخيل خارج السور الغربي. في عام ۱۲۸۲هـ / ۱۸٦۵م، وصف الرحّالة ليويس بيللي الرياض بأنها «مكان نظيف، مبني بالطوب المجفف بالشمس، ومن دون أي تبجّح بالجمال. وضواحيه تنبض بالحياة بفعل بضعة بساتين نخيل». مشاهداتهما في العاصمة ولقاءاتهما بالحاكم ووصفا قصر الحكم والحياة في الرياض، إضافة إلى توقفهما أمام خيوله الأصيلة والشهيرة التي كانت في مراعي الخرج وضرما. فقد وصف بلي عند وصوله إلى الرياض عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٥م، منظر المدينة وعلّق على حسن مظهرها بقوله: « قبل ساعة تقريباً من وصولنا إلى الرياض، مرزنا ببيت ريفي ومزارع يملكها الأمير.

وبعد ذلك مباشرة، نزلنا قليلاً فشاهدنا المدينة أمامنا تماماً. إنها مبنية على مرتفع غير بعيد عن وادي حنيفة، ويبدو عليها أنها مكان مهمّ وحسن الترتيب، من دون ادّعاء الأبّهة، إذ أنها مبنية باللبن، وضواحيها مفعمة بالحيوية بفعل مزارع النخيل.

يقال إن كلمة الرياض تعني حدائق وأراضٍ مزروعة بصيغة الجمع. ففي جوارها توجد أراضٍ زراعية مسيّجة تروى فيها المزروعات من آبار يبلغ عمقها نحو ٤٧ قدماً (١٤ متراً). وبشكل عام، تبدو المدينة وضواحيها في حالة جيدة، وأن أمورها تلقى العناية.» وتحدّث بلي أيضاً عن خيول الأمير واصفاً إياها بأنها «أفضل خيول في العالم».

تجمّع للجمال خارج السور

الشمالي وبوابة الشميسية استعداداً لرحلة صحراوية،

في واحدة من أولى الصور

الجزيرة العربية، التقطها ر.

ج. شکسبیر عام

۱۳۳۲هـ/ ۱۹۱۶م.

الفوتوغرافية البانورامية في

بعد وفاة الإمام فيصل عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م، استلم السلطة إبنه الأكبر وولي عهده عبدالله، وبنى خلال سنة قصراً جديداً يضم حصن المصمك الشهير. غير أن السنوات التالية، شهدت زعزعة استقرار الرياض، بفعل عوامل عديدة أهمها تعاظم نفوذ آل رشيد في حائل بدعم من العثمانيين، الأمر الذي أدى في عام

۱٬۸۷۷م، إلى وقوع المدينة رسمياً تحت سلطة هذه الأسرة التي عينت سالم بن سبهان حاكماً عليها، لتنتهي عملياً بذلك الدولة السعودية الثانية.

في أحلك الظروف التي كانت الرياض تعيشها آنـذاك، وعلى الرغم من نفوذ الحاكم سالم بن سبهان ممثل آل رشيد، عُيّن الإمام عبدالرحمن بن فيصل أميراً. وفي عام ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م، قام بمحاولة جريئة لاستخلاص العاصمة من حاكمها بالوكالة، وذلك بمحاصرتها لمدة ٤٠ يوماً. الأمر الذي ردّ عليه آل رشيد بتدمير ١٨٠٠٠ نخلة في المزارع الكبيرة خارج الأسوار وبقطع الامدادات عن الرياض. وتمّ التوصل إلى هدنة بين الطرفين عندما انشغل آل رشيد بمواجهة تهديدات أخرى. ولكن ما أن فرغوا من التعامل معها، حتى عادوا إلى الرياض بقوة أعظم واستولوا على المدينة.

في عام ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م، غادر الإمام عبدالرحمن الرياض إلى المنفى الطوعي، مصطحباً عائلته بمن فيها عبدالعزيز وشقيقته نورة. وبعدما أمضوا فترة عند بني مرّة في صحراء الربع الخالي، انتقلت العائلة إلى قطر ثم البحرين، لتستقر أخيراً في الكويت.

بقي عبدالعزيز طوال هذه الفترة على اتصال مع أنصاره في الرياض، وظلّ يصبو إلى العودة إليها واستعادة حكم عائلته لها. وبدءاً من عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، راح وانصاره يختبرون قدرات آل رشيد من خلال الإغارة على البلدات شمالي الرياض.



كما تمكنوا ذات مرة من الاستيلاء لوقت قصير على العاصمة. بعد ذلك، وعندما استعاد آل رشيد سيطرتهم على المدينة، أزالوا ما كان قد تبقى من الأسوار الدفاعية، في خطوة تنمّ عن قصر نظر، لأن ذلك سيساعد عبدالعزيز في وقت للحق على القيام بهجومه المفاجىء والجرىء على الرياض.

تشرّب عبدالعزيز منذ صغره الطموح إلى استعادة مسقط رأسه ومكانة عائلته في السلطة. وفي الكويت، كان يغادر المدينة إلى تلّة صغيرة في الصحراء، ومن هناك كان يتطلع عبر الصحراء باتجاه مسقط رأسه على بعد ٥٠٠ كيلومتر جنوباً، متأملاً ومفكراً ومخططاً لتحقيق ذلك.

وأتـت الفرصة المناسبة في شتاء عام ١٣١٩هــ/ ١٩٠١ م، فغادر الكويت متوجهاً إلى الرياض مع عدد من أقربائه ومواطنيه الذين راوغوا كشافة آل رشيد، ووصلوا إلى السور.

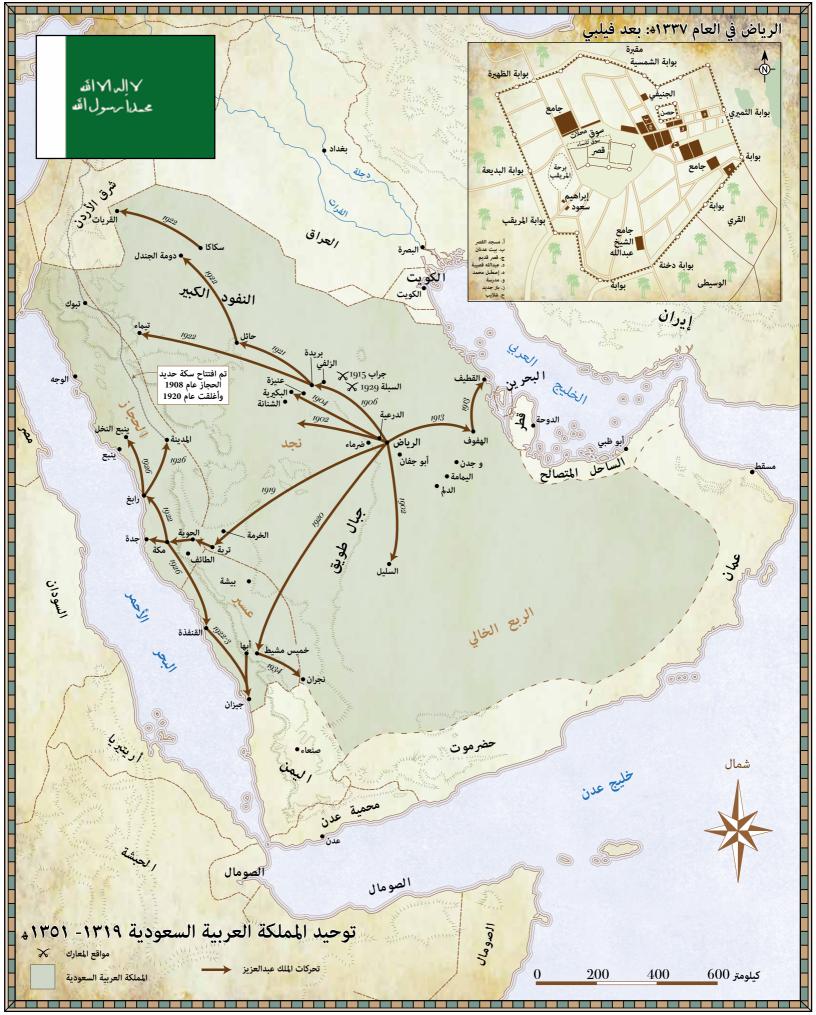
قبيل فجر يوم الخامس من شوال ١٣١٩هـ/ الموافق ١٤ يناير ١٩٠٢م، بدأ عبدالعزيز هجومه الجري، لاستعادة العاصمة. وبتسلق السور الشمالي المهدّم جزئياً قرب بوابة الشمسية، تمكّن مع رجاله من الوصول إلى المصمك والاستيلاء عليه. الأمر الذي شكّل لحظة محورية وتاريخية. إذ باستعادة الإمارة والعاصمة أرسى عبدالعزيز أسس الدولة السعودية الحديثة، لتبدأ بعد ذلك سلسلة الخطوات على طريق توحيد البلاد، التي آلت بعد ٣٠ عاماً إلى إعلان الملك عبدالعزيز قيام المملكة العربية السعودية.

كان عبدالعزيز منذ صغره قد استلهم طموحاته من والده عبدالرحمن بن فيصل. فالإمام الـورع قد عايش وشهد عن كثب النتيجة الكارثية للصراع العائلي على الدولة السعودية الثانية الضعيفة. فشرّب ابنه العزم على استعادة السلطة على العاصمة السعودية، وتحقيق مهمة العمر في استعادة المناطق الضائعة بما فيها المدينتين المقدستين اللتين شكلتا جزءاً من منطقة حكم آجداده مؤسسي الدولة السعودية الأولى.

وخلال وجوده في المنفى مع عائلته، تعلم عبدالعزيز دروس الحياة الصحراوية الصعبة. فقد علّمه المرشدون الصحراويون من بني مرة في الربع الخالي كيفية التعرف على مسالك الصحراء والنجاة من مهالكها. وفي الكويت، اكتسب من الشيخ مبارك الفطنة في التعامل مع تهديدات آل رشيد المدعومة من العثمانيين، وسبل التعامل مع الكثيرين من ممثلي القوى الأجنبية مثل الروس، والفرنسيين والبريطانيين، وأيضا الألمان والأتاك.

ولربما كان الأهم من كل هذا، هو في الأحداث المأساوية التي شهد عليها عبدالرحمن في الرياض، ومكّنته من أن يرسّخ في ذهن إبنه أهمية الصلة بين الاتحاد والأمن الداخلي. وعلى مدى نصف قرن لاحقاً، حرص الملك عبدالعزيز على أن ينقل هذه الدروس الصعبة إلى أبنائه لما فيها من خير للجميع.





المصدر: الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٢١. الناشر: دارة الملك عبدالعزيز

٦ | الملك عبدالعزيز وتوحيد المملكة

كانت استعادة الرياض فاتحة تحوّل في تاريخ المدينة. فقد أرست مسار توحيد الأمة وبنائها الذي سيؤول خلال ثلاثة عقود إلى وضع الأسس لإعلان قيام المملكة العربية السعودية. كان عدد سكان المدينة التي استعادها عبدالعزيز عام ١٣١٩هـ/١٩٠٢م أقل من ١٠ آلاف نسمة، يعيش معظمهم في وسطها الذي لا تزيد مساحته عن نصف كيلومتر مربع. وكانت دفاعات المدينة بما فيها أجزاء من السور مهدّمة، وكذلك حال العديد من المباني العامة مثل قصر الحكم المحصّن والمجاور للجامع الكبير.

عاد آنذاك الإمام عبدالرحمن بن فيصل من المنفى إلى الرياض. وعند وصوله، قاد عبدالعزيز موكباً من ٥٠٠ فارس امتطوا خيولاً عربية أصيلة ذات أسرج ملوّنة للترحيب بوالده لدى اقترابه من مشارف الرياض.

ثم بـدأ العمل على ترميم الدفاعات المتضررة والمهدّمة في المدينة. وأشرف الإمام عبدالرحمن وابنه على تمتين السور حتى

وصل إلى ارتفاع ٩ أمتار في بعض المواضع، إضافة إلى الأبراج القائمة فيه، والبوابات الخشبية المصنوعة من شجر الطرفاء.

وباستكمال هذه الدفاعات بشكل سليم، كان الحراس يغلقون البوابات كل ليلة عند الغسق، وأيضا خلال صلاة الجمعة لمنع أي كان من دخول المدينة. واستمر هذا التقليد في غلق البوابات للحقاً لـ ١٧ عاماً. والتجار الذين كانوا يصلون بخيولهم وجمالهم بعد إغلاق البوابات كانوا ينامون خارج الأسوار، ويدخلون المدينة عند الفحر.

أثبت قرار تعزيز الأسـوار جـدواه. ففي ربيع عام ١٣٠٠هـ/ ١٩٠٣م حاولت قوات آل رشيد عبثاً احتلال المدينة بعدما كان قد تناهى اليها أن عبدالعزيز والكثيرين من أتباعه قد غـادروا إلى الكويت لدعم حكم الشيخ مبارك الذي كان يواجه تهديداً آخر من القوات الشمّرية التابعة لآل رشيد. وكان ذلك التهديد الأخير للرياض بوصفها عاصمة سعودية.



الملك عبدالعزيز جالساً وسط بعض أفراد عائلته وأتباعه خلال الحملة على ثلج، في صورة التقطها من عام ١٩٣١هـ / ١٩١١م. من عام ١٩٣١هـ / ١٩١١م. يظهر واقفاً سعد بن عبدالرحمن (١٣٠٦ - ١٣٣١هـ / ١٨٨١ - ١٩١١م)، وهو الأخ الشقيق الوحيد للملك، الشقوف، وجُرح خلاله عبدالعزيز أيضاً.

الصفحة التالية

بدءاً من عام ١٣١٩هـ / ١٩٠٢م، بدأ الملك عبدالعزيز بقيادة حملات عسكرية تهدف لتوحيد البلاد. وتُظهر هذه الصورة التاريخية التي التقطها الكابتن شكسبير في ٨ محرم ١٣٢٩هـ / ٨ يناير ١٩١١م، جيش الملك في مسيرته بالقرب من شقراء.







بعض كبار الأفراد من آل سعود وأتباعهم قرب بئر في بستان نخيل خارج السور الشمالي للرياض. تصوير شكسبير، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م.

قرابة أواخر عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م، وخلال اجتماع الجمعة في الجامع الكبير، أعلن الإمام عبدالرحمن قراره بالتخلي عن الحكم لصالح ابنه الملك عبدالعزيز، وقلّده السيف الرائع الذي كانت العائلة تتوارثه عن آخر حكام الدولة السعودية الأولى الإمام سعود بن عبدالعزيز. وأعلن عبدالعزيز علناً تمسكه بمبادئ الدعوة الإصلاحية، وأقام في القصر المجدد الذي كان لجدّه الإمام فيصل.

أصبحت الرياض المقر الذي كان الملك عبدالعزيز يوجّه منه حملاته الهادفة إلى توحيد البلاد. وخلال العقود الثلاثة الأولى من حكمه، كبرت الرياض ثلاثة أضعاف بوصول عدد سكانها إلى ٣٠ ألف نسمة.

وثمة عوامل عديدة تقف وراء هذا التوسع في زمن كانت الموارد المالية فيه ضئيلة، ومن بينها قرار الملك عبدالعزيز تشجيع البدو الرحّل على الاستقرار في الرياض وضواحيها إضافة إلى استتباب الأمن خلال حكمه.

وقد انعكس تحسن الظروف إيجاباً على العاصمة والمناطق المجاورة. فالإحساس الجديد بالتفاؤل والاستقرار جعل الرياض موطناً للفرص، والتدفق عليها زاد من عدد السكان.

فبتحقيق الحملات العسكرية والدبلوماسية المزيد من النجاحات، كانت أهمية الرياض تكبر وعدد سكانها يزداد. وخلال السنوات التسع الأولى بعد استعادة الرياض، كان الملك عبدالعزيز يمضى

معظم الوقت خارج الرياض، يقود توسع رقعة أراضيه ويعزز سلطته عليها.

وفي المدد المتكررة التي كان فيها عبدالعزيز بعيداً عن العاصمة، كان والده الإمام عبدالرحمن يتولى مهمات أمير الرياض.

وفي ما عدا ذلك، أمضى عبدالرحمن الذي احتفظ بالإمامة بقية عمره بعيداً عن الشؤون العامة.

بقيت العمارة التقليدية في المدينة كما كانت عليه منذ قرون. والطابع المعماري النجدي هو في أساسه بسيط وتكعيبي. فالجدران الخارجية مصمتة في البيوت التي تلتف حول فناءات داخلية تؤمن الظل. وحيثما كانت هناك فتحات، فإنها كانت مستطيلة أومثلثة وفق الطابع النجدي المميّز. أما الأسطح المنبسطة التي تعلو المباني فكانت تستخدم في أوقات الحر بوصفها مكانا لتجمع العائلة مساءً والنوم في العراء. كانت هذه أسس العمارة العربية التقليدية والقديمة التي تطورت في بيئة حارة وجافة، حيث مادة البناء الرئيسية كانت طينة الأرض نفسها.

وباستثناء تعزيز دفاعات المدينة، بقيت الرياض كما كانت تقريباً خلال الدولة السعودية الثانية، بطرقها الضيقة والترابية وبيوتها الطينية. وكان للبيوت الكبيرة آبارها الخاصة في فناءاتها الداخلية، وفي أماكن أخرى على الطرق الترابية كانت هناك آبار للعامة.

أما مخطط المدينة العام فقد كان بسيطاً: طرق ومسارات تنطلق من محيط القصر في قلب المدينة باتجاه الأسوار والبوابات التسع الرئيسية. وخارج الأسوار كانت هناك مزارع النخيل وحدائق مروية من آبار عديدة، وطرق تقود إلى المدن والبلدات المجاورة وتتصل بطريق الحج وطرق التجارة القديمة التي تصل وادي حنيفة بباقي أرجاء الجزيرة العربية.

كانت «بوابة الثميري» تشكل المدخل الرئيسي إلى الرياض عبر الطريق الآتي من الشرق، الذي كانت تسلكه قوافل التجار والبضائع اضافة إلى الحجاج الآتين من الهفوف وميناء العقير المجاور، وغيره من موانيء الخليج العربي.

وخارج البوابة، وعلى مقربة منها ينساب وادي البطحاء وتنتشر سلسلة من الآبار الحجرية. في عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، هدمت هذه البوابة المهمة، ولكن أعيد بناؤها للـحقاً إضافة إلى برج المراقبة الذي يعلوها وجزء من السور.

وإلى الشمال الشرقي تقع «بوابة آل سويلم» التي سميّت كذلك نسبة إلى عائلة وجيهة عاشت في تلك الناحية.

بحلول عام ١٣٣١هـ/١٩١١م، ظهرت طلائع تطوير عمراني بدأ بتغيير ملمح العاصمة، رغم بقائه ضمن الطابع الدفاعي التقليدي. فقد أعيد إنشاء قصر الحكم القديم الذي كان مبنياً من الطوب في قلب المدينة، ولكن هذه المرة أعلى مما كان عليه ويغطي مساحة أكبر، وأحيط في جهته الشرقية ببرجين مربعي القاعدة أضيفا إلى سوره الخاص ويحيطان بالبوابة المزدوجة الضخمة (الصفّاقات)،

وعندما انتهى بناؤه، شكّل هذا المجمع معلماً بارزاً ومهيباً في أفق المدينة. وأصبح مقراً لحكومة الملك عبدالعزيز، وقبلة الأنظار في الرياض التى اكتسبت أهمية متزايدة حتى ما وراء حدود نجد.

كان مجلس القصر، وهو عبارة عن قاعة استقبال تقليدية مفروشة بالسجاد، مدعّماً بأعمدة حجرية ويتسع لنحو ٣٠٠٠ شخص.

وكان داخله مطلياً بالجص الأبيض ومزداناً بآيات قرآنية كريمة، وزخـارف هندسية متعددة وملوّنة. ولما كان قصر المصمك المجاور قد فقد أهميته كحصن دفاعي داخلي، فقد تحول إلى ترسانة ومستودع عام وسجن في جزء منه، بعدما تعززت دفاعات المدينة وبنيت أبراج جديدة عند النقاط الاستراتيجية وتم تصفيح

البوابات الخشبية بالحديد. وبدأ أيضا آنذاك إنشاء بعض مباني المؤسسات العامة.

خلال السنوات الأولى من حكم الملك عبدالعزيز، استمر نمط الحياة اليومية كما كان منذ قرون. فبإقفال البوابات كان السكان ينامون بعيد صلاة العشاء ويخيّم السكون على الطرق والأزقة. وفي الليالي الحارة، كانت النسوة يطبخن الطعام على السطح، يحجبهن عن الأنظار سور منخفض، وكانت العائلات تبقى على السطح، وتنام عليه بعد صلاة العشاء تحت السماء المتلألئة بالنجوم.لم يكن هناك ضجيج أو تلوث ضوئي، وفي الليالي غير المقمرة كانت المدينة تغرق في ظلام دامس. لم تكن هناك أية اليات أو عربات بمحرك، ولا كهرباء ولا مياه جارية ولا مكيّفات هواء ولا شكل من أشكال الاتصالات الحديثة.

وعند الفجر، كان الرعاة يقودون أغنام السكان وخرفانهم للرعي والشرب خارج السور، ثم يردّون هذه المواشي إلى أصحابها قبل أذان صلاة المغرب.

من بين مظاهر الحياة اليومية التي تطورت بشكل بارز منذ أن استعاد الملك عبدالعزيز الرياض بوصفها عاصمة سعودية، كان تنامي الشعور بالاطمئنان الناجم عن الأمن والاستقرار اللذي ترسّخ حديثاً. وكان ذلك نعمة بعد قرون من الاضطراب الناجم عن الغزوات والصراعات وغياب القانون والاحتلالات والغارات الانتقامية، وأيضاً المجاعة والأوبئة. فبتحقيق الاستقرار والأمن الداخلي وضع الملك عبدالعزيز حجر الأساس للحكم الإسلامي في الدولة السعودية الحديثة.

بعد أن نجح الملك عبدالعزيز في توحيد المنطقة المحيطة بالرياض التي تشكل وسط نجد المعروف تقليدياً باسم العارض، اتجه جنوباً للستعادة المناطق في الخرج والأفــلاج ووادي الدواسر. وفي عام ١٣٣١هـ/ ١٩١١م، وجه اهتمامه شمالاً صوب مدن القصيم، وبعدها صوب الشرق. ففي عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، استخلصت القوات السعودية واحة الأحساء التي كانت محتلة من العثمانيين، بما فيها مدينة الهفوف التي كانت مقر الحامية العسكرية، وميناء العقير المجاور.

وبنهاية الحرب العالمية الأولى تطلع عبدالعزيز إلى المزيد من توسعة أراضيه. ففي ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م، وبعد حصار استمر لشهرين، تمكن من السيطرة على مدينة حائل الحصينة وأنهى بذلك ٨٥ سنة من حكم آل رشيد. وفي العام التالى ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، استمرت القوات



السعودية في المضي قدماً بتوسيع رقعة الأراضي الموحّدة وصولاً إلى الحجاز وعسير. ما أرسى أساس الإعلان في ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١هـ/ ٢٣ سبتمبر ١٩٣٢م عن تأسيس المملكة العربية السعودية.

كان تأمين الماء للرياض والمجتمعات المقيمة في الصحراء على رأس اهتمامات الملك عبدالعزيز. فوضع في عام ١٩١٧هـ / ١٩١٧ م خططاً لاستيراد مضخات تعمل على الزيت إلى الرياض. فقد كان عدد السكان آنذاك نحو ٢٠ ألف نسمة، وكان يتزايد بوتيرة سريعة ومتواصلة بفعل التوافد على الإقامة خارج الأسوار وفي البساتين ومزارع النخيل وما حولهما. وحتى آنذاك، كان الماء يرفع من على أعماق تصل إلى ٣٠ متراً في الآبار الكبيرة بواسطة الدواب والنواعير المعروفة باسم «السواني».

ولهذه الغاية استخدم كثيرون الجمال في حين اعتمد آخرون على الحمير القوية من السلالة الحساوية. وفي الآبار الكبرى كان عدد الحيوانات المستخدمة يصل إلى ثمانية مصطفة جنباً إلى جنب لرفع قِـرب من جلد الماعز مربوطة إلى حبال من القنّب حتى العارضة الخشبية فوق فوهة البئر، حيث يسكب الماء المرفوع في حوض حجري وقنوات الري من تحته.

ولكن، في وقت لاحق، كان على الصوت الـذي ألفه سكان الرياض في حياتهم اليومية أن يتغير. فبالمحاولات المستمرة من الملك عبدالعزيز لتحديث المدينة، حلّ الصوت الرتيب في المضخات العاملة على الديزل محل صرير الخشب في دواليب الأبار المعروف بصوت السواني.

استمرت الرياض في التوسع خارج أسوارها. وكان توسعها الأكبر أولاً باتجاه الجنوب صوب منفوحة الواقعة على بعد كيلومترات قليلة. وخارج سور الرياض الجنوبي الشرقي كان السكان يقطعون مزارع النخيل ليطوروا مكانها حيى الوسيطى والقري السكنيين الجديدين.

وبحلول عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٢٩م، انضم هذان الحيّان إلى المدينة من خلال توسعة الأسوار الأصلية في المدينة وإضافة ٣ أبراج إليها.

أدار الملك عبدالعزيز من مجلسه في قصر الحكم شؤون نجد والمناطق الجديدة في الدولة الفتية. وعندما كان يقيم في العاصمة، كان يرأس المجلس كل صباح ومساء. وكان هناك الحرس الملكي، وقسم يتولى وحدة الهجانة الملكية، وهيئة للبعثات والضيافة تهتم بالضيوف والبعثات من المواطنين الوافدين على الإقامة وأيضاً بعثات البدو الرحّل، وهيئة خاصة باحتياجات قبائل

البدو وقضايا نجد، وأخرى لإدارة الحسابات والهبات، وقبالة الجدار الشرقي لقصر الحكم، كانت تقع إسطبلات تربية الخيول. كما كان يوجد داخل الأسوار ١٨ إسطبلاً أصغر حجماً حيث كان وجهاء المدينة يربّون خيولهم النجدية الأصيلة ويعنون بها.

أولى الملك عبدالعزيز اهتماماً وجهداً كبيرين للشؤون الإسلامية والاحتياجات الدينية للمجتمع عبر أرجاء البلاد. أما أسرة آل الشيخ، فقد أقام بعضهم في حي دخنة جنوب العاصمة، حول مسجد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، الذي كان كبير العلماء في وقته، وتوفي، رحمه الله، في عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢١م.

وفي ما يتعلق بأوجه التنمية،أدرك الملك عبدالعزيز قيمة التقنية في مسعاه إلى تحقيق الوحدة. فبعد إدخال مضخات الماء الآلية، شوهدت السيارات الأولى في الرياض. وفي مراحل مختلفة من رحلتها من جدة، كان على هذه السيارة أن تجرها الجمال فوق مساحات من الرمال الناعمة.

وفي أعلى أحد الأبراج في وسط الرياض، عُلَق مصباح كهربائي مستورد من بومباي. وغيّرت تأثيرات التحديث من طبيعة الحياة والإحساس بها وأصواتها ورائحتها في الرياض وفي ما هو أبعد منها. وتدريجاً، تقدمت هيئة نامية للنقل الآلي على الرعيان ومربّي الخيول والجمال.

وإلى الجنوب الشرقي من المدينة أقيم مرآب السيارات الملكية وورش صيانتها على أرض مزرعة نخيل واسعة. وإلى الشرق عبر وادي البطحاء، نشأت إحدى الضواحي المبكرة لإسكان القادمين الجدد إلى العاصمة من سائقي السيارات والميكانيكيين من البلدان العربية. فكان هؤلاء أوائل الوافدين على الرياض الذين جنبتهم فرص التوظيف المربحة.

رتّب الملك عبدالعزيز الرحلة الأخيرة لوالده إلى الحج باستخدام سيارة فيات سيدان كانت من أولى السيارات التي وصلت إلى الرياض، وتم تعديلها لتنقل والده الإمام الكبير في السن براحة نسبية مقارنة بالسفر القاسى قبل النقل الآلى.

كانت رحلة الإمام عبدالرحمن السابقة إلى الحج عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٦م على قافلة جمال يصحبه فيها ابنه الثاني محمد. ولكن الرحلة كانت من القسوة إلى درجة اضطرته بعد تردد إلى ترك الحجاج في المرحلة الخامسة من الطريق البري الطويل إلى مكّة المكرمة، والعودة إلى الرياض تاركاً ابنه محمد يكمل الحج.

الصفحة المقابلة

خارج أسوار الري^اض، كانت تنتشر بساتين النخيل والحدائق المروية بقنوات لجرّ المياه من الآبار العديدة المجاورة، كما هو الحال هنا قرب الباطن، غربي العاصمة وعلى امتداد وادي حنيفة وعلى الرغم من ذلك، كما يروي فيلبي، كان حج عام ١٣٣٦هـ/١٩١٦ م هذا احتفالياً بشكل ملحوظ «، كان الأول من نوعه تحت رعاية ملك الحجاز الجديد، ويقال إن النجديين الذين ركبوا إلى الحج بلغوا ٧٠٠٠ نسمة من رجال ونساء وأولاد».

وعندما سافر الإمام عبدالرحمن لاحقاً إلى الحج بالسيارة، كان ذلك الحج الأخير لحاكم عاش حياته كلها تقريباً من دون تقنية حديثة، وحقق أيضاً أول رحلة مسجلة بعربة آلية من الرياض إلى مكة المكرمة.

أمضى الإمام عبدالرحمن سنواته الأخيرة بهدوء وسلام في قصره المتواضع قرب قصر المصمك. فقد عاش ليرى ابنه ينجح في تحرير كل المناطق التي تشكل اليوم المملكة العربية السعودية،

ويكسب الاعتراف باكراً من غالبية القوى العظمى في العالم، مثل: روسيا، بريطانيا، فرنسا، وهولندا.

كما شاهد أيضاً إعلان ابنه ملكاً على الحجاز وسلطاناً على نجد وتوابعها. وفي ذي الحجة ١٣٤٦هـ/ يونية ١٩٢٨م، توفي الإمام عبدالرحمن, رحمه الله, في الرياض، وكان الأمر خسارة أحسّ بها الملك عبدالعزيز في الصميم. إذ لطالما أمدّ الإمام ابنه بالإلهام والدعم والنصح الذي لا يقدر بثمن، فيما كان ينجح في توحيد المملكة.

تعتبر وفاة الإمام عبدالرحمن نهاية حقبة كانت خلالها الحياة في قلب الجزيرة العربية بسيطة ومتقشفة وغالباً قاسية. إنها الحقبة التي صيغت فيها الشخصية المرنة والمتماسكة للدولة السعودية الحديثة.

الصفحة التالية

تعتبر الخيول الصحراوية النجدية أفضل الخيول العربية الأصيلة في العالم. وقد كانت هناك إدارة خاصة للعناية بالإسطبلات الكبرى في المدينة التي كان فيها نحو عشرين إسطبلاً صغيراً داخل أسوارها. أما الإسطبلات الكبرى فكانت تقع في الخرج (الصورة)، وفي ضرما.

الصورة على الخريطة

طري النقود الأجنبية متداولة لردح طويل من الزمن، وأكثرها شعبية كان تالر ماريا تيريزا المعروف بـ «التالر النمساوي». وعند بداية حكمه، أمر الملك عبدالعزيز بدمغ هذه النقود باسم «نجد». ولاحقاً، في عشرينيات القرن الميلادي الماضي، أمر الملك بالبدء بسك النقد الوطنى السعودي.

صورة بانورامية لشارع

الثميري كما كان عام

١٣٣٢هـ / ١٩١٤م، التقطها

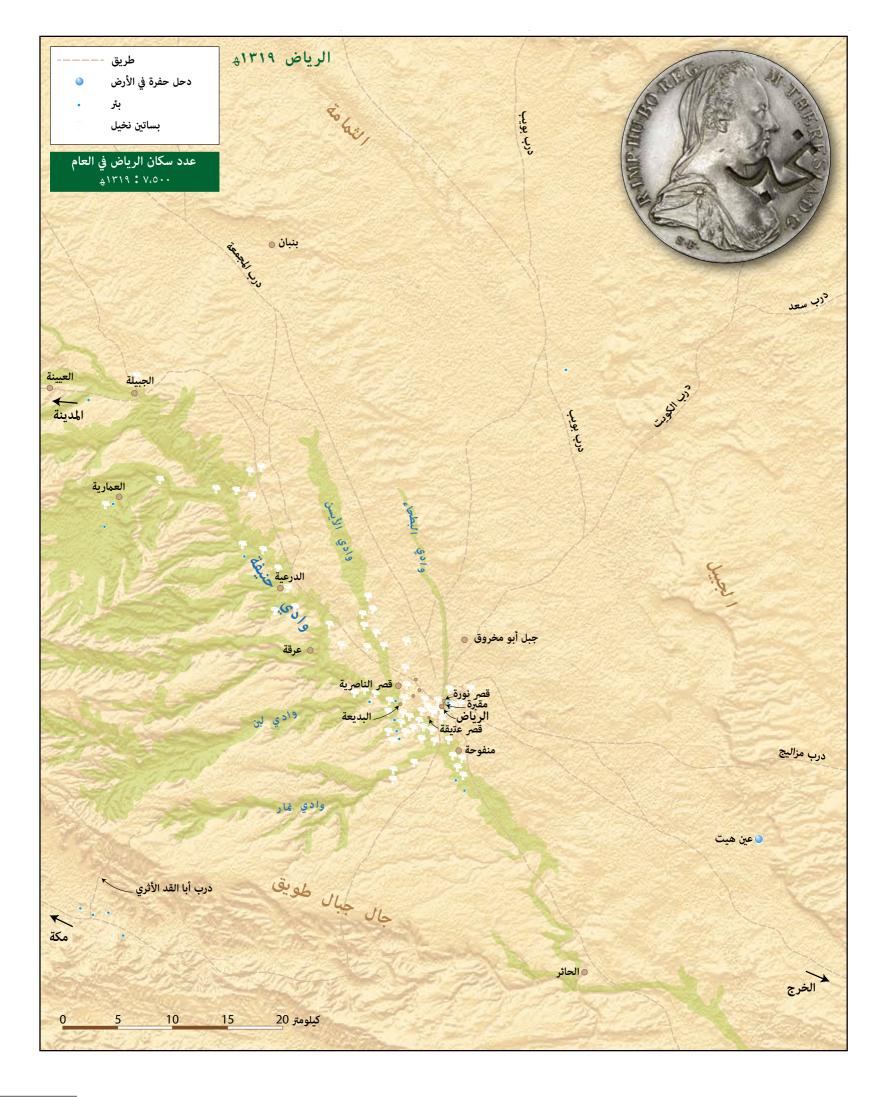
شكسبير، وتظهر فيها الباحة

المركزية للجامع الكبير، وأحد أبراج المصمك إلى يمين

الشارع. وكان فن العمارة

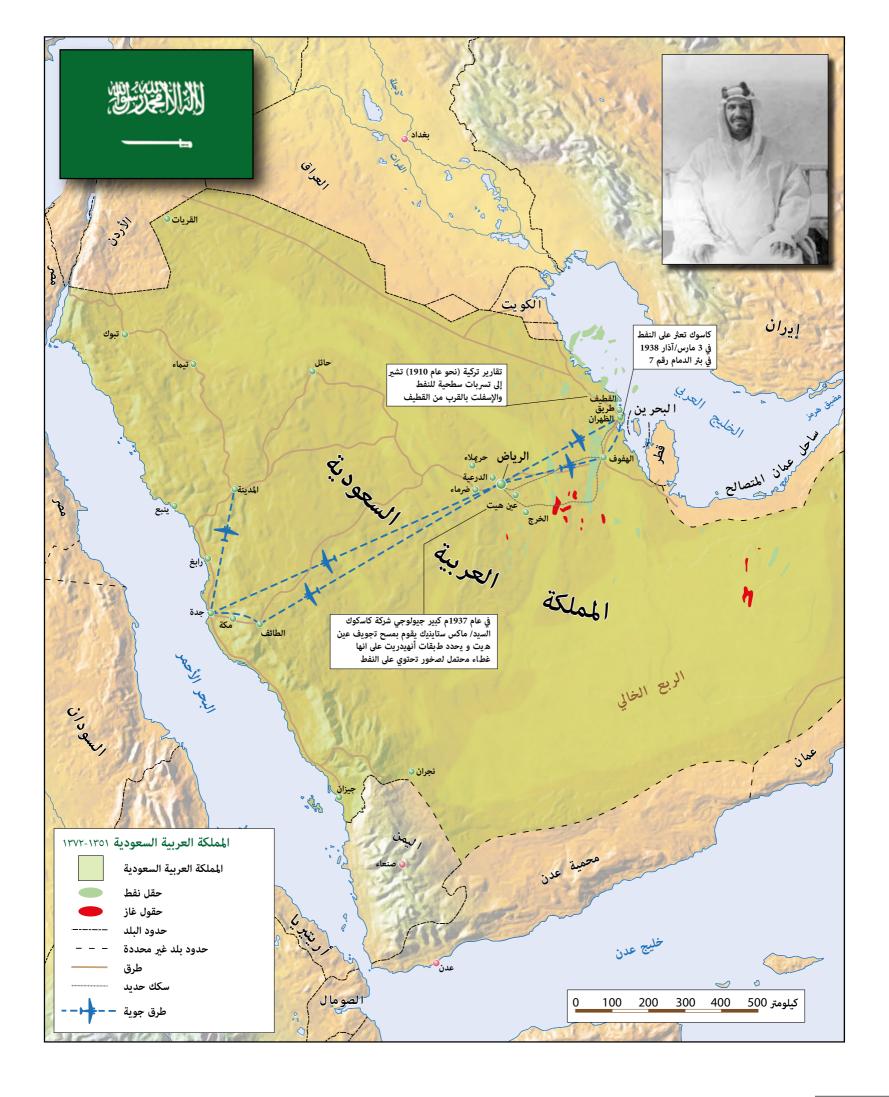
التقليدية في العاصمة ما

زال على ما كان عليه منذ









٧ | ١٣٥١هـ / ١٩٣٢: أسس الحداثة

كان توحيد البلاد وإعلان قيام المملكة العربية السعودية في ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١هـ/٢٣ سبتمبر ١٩٣٢م محركاً للعمل على بناء دولة عصرية وعاصمتها الرياض. ولكن تلك الفترة جاءت حافلة بالتجارب. فقد ضرب الكساد الكبير اقتصادات العالم، واستُنفدت الموارد المالية للمملكة العربية السعودية حتى الحدود القصوى. فقد كان الحج مصدر دخل، ولكنه كان غير قابل للاحتساب سلفاً وتضاءل بشكل حاد خلال الكساد الكبير. فهبط عدد الحجاج من غير السعوديين من ١٠٠ ألف في عام ١٩٣٩هـ / ١٩٣٩م إلى أقل من ٢٠ ألف في عام ١٣٤٩م الذوتصادية والاضطراب الدولى المتنامى عشية الحرب العالمية الثانية.

كما أن صناعة صيد اللؤلؤ في الخليج العربي، التي كانت تدرّ سابقاً عوائد ملحوظة على الرياض، هبطت بسرعة بسبب هبوط الطلب على اللؤلؤ، وظهور صناعة اللؤلؤ الزراعي في اليابان.

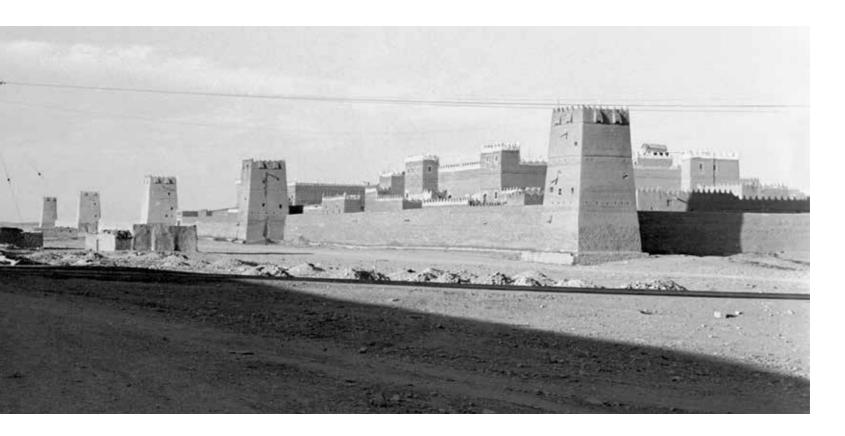
وثمة دعامة تقليدية أخرى للاقتصاد النجدي آلت بدورها إلى المغيب، ألا وهي تجارة الجمال، بسبب سيطرة النقل الآلي

على حركة شحن البضائع عبر شبه الجزيرة العربية، حتى إن تصدير الخيول العربية الأصيلة من إسطبلات الرياض شارف بدوره على نهايته، إذ أصبح في أوروبا وأمريكا الشمالية الكثير من هذه الخيول، كما ان مكننة القوات العسكرية أنهت الدور العسكري للخيّالة.

وسيتطلب الأمر نحو نصف قرن قبل عودة الاهتمام بتربية هذين الحيوانين الصحراويين، وحتى يؤدي ذلك إلى تحسن أحوالهما عدداً ونوعاً في الجزيرة العربية.

وعلى الرغم من التحديات التي وقفت في وجه بناء البلاد، فقد أرسى الملك عبدالعزيز أسساً ثابتة لتطوير المملكة وعاصمتها. وجاء في خلاصة الدراسة التاريخية «إبن سعود»، التي كتبها كينيث وليامس، وهي السيرة الأولى باللغة الإنكليزية للملك عبدالعزيز، وصدرت عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٣م «إن كان هناك أي رجل قادر على أن يأتي لمثل هذه المنطقة القاحلة بمصدر لرخاء دائم، كما أتاها بسلام دائم، فهو الملك عبدالعزيز».

بُني قصر المربع في عام ١٩٣١هـ / ١٩٣٦م شمالي المدينة المسوّرة، ليكون مقراً للملك عبدالعزيز وأسرته، والإدارة الحكومية التي راحت تتنامى آنذاك. وهذا المجمّع هو آخر المنشآت الكبرى التي بُنيت بالطين في الرياض، وأشّر بموقعه إلى بداية توسّع الرياض خارج الئسوار.



الصورة على الخريطة الملك عبدالعزيز رحمه الله.

الصفحة التالية

لملك عبدالعزيز في باحة الجامع الكبير في الرياض بعد صلاة الجمعة. ويروي جيرالد دو غوري الذي التقط هذه الصورة عام ١٣٥٦هـ / ١٩٣٦م، أن الملك كان «يتحدث بحزم ولباقة، ويطعّم حديثه إلى كبار السن بآيات من القرآن الكريم، وبأقوال وحكم مأثورة».





أصبح تـوازن الرياض آنـذاك يتطلب التغيير. فطلبت الحكومة المزيد من المضخات ومعدات الحفر لتطوير الموارد المائية. وأدّت أعمال الحفر الاستكشافية التي تبعها حفر آبار في العاصمة وضواحيها، إلى تلبية احتياجات المدينة وري ما كان قد تبقى من مزارع النخيل.

وبعيداً عن المدينة، كانت الآبار تزوّد بالماء قرى وهجر زراعية جديدة شجّع العاهل السعودي على إقامتها. والبحث عن المياه الارتوازية الذي كان دائما ضمن أولويات الملك عبدالعزيز، سينضم قريباً إلى البحث عن مورد طبيعي ثمين آخر يقبع عميقاً تحت الطبقة الرسوبية من الأرض.

كانت الاتصالات التلغرافية قد وصلت قبل نحو نصف قرن إلى المدن الساحلية على جانبي الخليج العربي، وكان الملك عبدالعزيز يدرك جيداً ما لهذا الاختراع الجديد من أهمية. فقد شاهد التلغراف عندما كان في الكويت، ولاحقاً عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م في بلاده الموحّدة.

ففي مكّة المكرمة، تعرّف مباشرة على تقنيات الاتصالات التي كانت قد أدخلتها السلطات العثمانية سابقاً، إذ كان يوجد آنذاك في المنطقة الغربية ثماني محطات تلغراف مع وصلات لها في المدينتين المقدستين، وخط هاتفي أساسي بين مكة وجدة.

استخدم الملك عبدالعزيز مهاراته القيادية للبقناع مجتمع الرياض بأهمية إدخال وسائل الاتصال الحديثة، وذلك من خلال تجربة نقل آيات من القرآن الكريم بواسطة الاختراع الجديد لطمأنة المتحفظين عليه، وإقناعهم بأن فيه منفعة للجميع.

نمت وسائل الاتصالات وتطورت بسرعة. وبحلول عام ١٣٥١هـ / ١٩٣١م، كانت المحطة اللاسلكية من ماركة «ماركوني» التي تبلغ قوتها ٥ كيلوواط وتقع خارج سور الرياض الجنوبي بمحاذاة مواقف (كراج) السيارات الحكومية، قد أجرت اتصالات مع مكّة وغيرها من المحطات الإقليمية. وفي عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٣م وصل عدد محطات التلغراف الناشطة إلى ٢٨، كان من بينها ست محطات متحركة لخدمة الملك وديوانه خلال التنقل.

وعُرفت أول وحـدة نقّالة ضمن صندوق تـمّ استيرادها سابقاً ليستخدمها الملك عبدالعزيز باسم «الشنطة الملكية». وفي عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٦م كان في الرياض ٥٠ جهاز هاتف لوصل أولئك المقيمين في المساكن المتكاثرة خارج أسوار المدينة بالذين داخل

المدينة المسوّرة. وفي نهاية العقد، بدأت أيضاً خدمة البريد بين الرياض ومكّة المكرمة برحلتين شهرياً براً عبر الصحراء والطرق الوعرة في المرتفعات الغربية.

وعلى الرغم من أن الاتصالات اللاسلكية وصلت إلى الرياض بعد غيرها من العواصم العربية، فقد حملت معها تغيّرات سريعة ومهمة. فقبل دخول البث اللاسلكي، كانت المساجد والسكان يطّلعون على التوقيت المحلي من خلال المراقبة الشمسية.

وكان اليوم الجديد يبدأ عند الغروب عندما كانت ساعات الجيب والساعات الجدارية تضبط على «الغُروبي» او التوقيت الإسلامي، وكان الأمر يتطلب تصحيحاً كل بضعة أيام. في أوروبا وأمريكا الشمالية، ادّى ظهور القطار ومعه التلغراف إلى وصل المدن ببعضها، ما سمح لها بضبط ساعاتها وفق توقيت معياري واحد بدل المواقيت المحلية التي تتبدل مع خطوط الطول.

وفي السعودية، مكّن دخـول الاتـصـالات اللاسلكية من تعميم التوقيت المعياري والدقيق عبر معظم أرجاء المملكة الصحراوية، فيما حافظت المجتمعات والمساجد على التوقيت الشمسي المحلي للصلوات اليومية الخمس، والذي يتبدل ما بين الغرب والشرق عبر البلاد بأكثر من ٣٠ دقيقة. وبتوفر الاتصالات الفورية تحسنت الإدارة العملية للمناطق الشاسعة بشكل جذري.

كما صار أيضاً بإمكان السكان عبر المملكة أن يرفعوا طلباتهم وشكاويهم وعرائضهم إلى الملك من دون الحاجة إلى السفر إلى الديوان الملكي. وفي عقد آخر، سيؤذن دخول البث الإذاعي إلى الرياض بالمزيد من التغير السياسي والاجتماعي والثقافي.

استمرت الرياض بالتوسع وراء حدود أسوارها الطينية. وفي أواسط الخمسينات الهجرية/ الثلاثينيات الميلادية، كان قصر الحكم، المقر السكني التقليدي ومقر العمل الحكومي، قد استنفد سعته حتى الحدود القصوى. فقرر الملك أن يبني مجمّعاً كبيراً على بعد كيلومترين شمالي السور، تألف من مجموعة عمائر بنيت بالطوب، مع أربعة أبراج مربعة الشكل.

تضمن المجمع الـذي صـار يعـرف بـاسـم قصر الـمـربـع، عدة قصور للملك عبدالعزيز وعائلته ومساكن لحاشيته ومبان إدارية. كما صُمّم وبُنى بما يتلاءم مع استخدام السيارات، وتم تزويده

الصفحة المقابلة

. أدخل الملك عبدالعزيز التقنيات الحديثة إلى الرياض. وشهد عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م أول اتصال لاسلكي ما بين العاصمة ومكّة المكرمة من المحطة اللاسلكية التي كانت قائمة خارج السور الجنوبي. ثم بدأ البث الإذاعي في الرياض عام ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م، تاريخ التقاط هذه الصورة للمحطة اللاسلكية.



بالكهرباء من مولدات خاصة، ونظام تصريف ودورات مياه. ومع ذلك، فقد بقي بشكل أساسي مبنى نجدياً تقليدياً: تكعيبي، ملتف على أفنية داخلية، وذو جدران خارجية مصمتة. واستخدم بنّاؤن مهرة من الرياض التقنيات العريقة للبناء بالطوب اللبن. فاستعملوا المواد المحلية مثل الطين في صناعة الطوب المجفف بالشمس، وجذوع شجر لبناء الأسقف، والجص لتغطية الجدران الداخلية التي زُينت بـزخـارف ملوّنة ذات طابع نجدي تقليدي.

يقول المهنس المعماري والباحث صالح الهذلول حول المجمع الجديد: «بكونه أكبر حجماً من أي مبنى آخر في الرياض، يشكل قصر المربع صورة إيجابية عن القدرة على تبني تقنية بناء تقليدية وتطبيقها على مشاريع أكبر».

أصبح المربع المقر الرسمي للإقامة الملك والمقابلات الرسمية. وصار نظامه اليومي يقضي بالانتقال كل صباح إلى قصر الحكم في الديرة لقضاء الأعمال الحكومية. وكان يعود إلى قصر المربع عادةً بعد صلاة الظهر، حيث يستمر في العمل خلال ما بعد الظهر والمساء. وكان الطريق المرصوف بالحجارة الواصل ما بين المجمّع والقصر القديم والجامع الكبير في قلب العاصمة وتوفر النقل بالسيارات من علامات

التغيّر الذي بدأ يظهر على الرياض. وفي سنوات لاحقة من عهد الملك عبدالعزيز، أصبح قصر المربع مقراً للحكومة، فيما بقي القصر القديم الـواقـع داخـل الأســـوار يستخدم لأعمال رسمية مختلفة.

كان هذا القصر المسور والمهيب بأبراجه الأربعة والمميزة، آخر مشروع معماري رئيسي يبنى كاملاً بالطوب التقليدي ليزيّن العاصمة السعودية. ولكن بعد نحو ٤٠ سنة على ذلك، سيتبنى المخططون والمعماريون في الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، الطابع النجدي التقليدي في أعمال تطويرية حديثة في المدينة، انتزعت جوائز عالمية، من بينها: «برنامج تطوير منطقة قصر الحكم» الذي يحتضن قصر الحكم وجامع الإمام تركي بن عبدالله، ومركز الملك عبدالعزيز التاريخي الذي يشكّل قصر المربع أحد عناصره الرئيسية.

فبانتهائه عـام ١٣٥٧هــ / ١٩٣٨م، أصبح قصر الـمـربع من معالم صـورة المدينة الناهضة. كما شكل تطوراً بـارزاً في التوسع التاريخي للرياض، إذ استتبعه بسرعة المزيد من البناء والتحديث، وحثّ على نمو ضاحية حديثة أسميت الفوطة على طول الجانب الغربي من الطريق بين المدينة القديمة وقصر المـربع.







قبل شق الطرق الحديثة، كان الدنتقال بالسيارة لمسافة ١٠٠٠ كيلومتر من لبرياض إلى جدّة مغامرة كبرى. وهنا أعضاء بعثة دبلوماسية بريطانية ضمت الوزير أندرو رايان الذي قابل الملك عبدالعزيز، وهم يستريحون عند أحد منحدرات طويق، في طريقهم إلى جدّة عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

وقبل ذلك بمدة كان الامير سعود الكبير، زوج الأميرة نورة أخت الملك عبدالعزيز، قد بنى قصر الشمسية خارج البوابة الشمالية الشرقية على الطريق إلى قصر المربع. ولاحقاً، حـددت هذه التطورات المحور الشمالي كوجهة للمرحلة الأولى من مراحل توسّع الرياض العديدة.

في العام نفسه، وعلى بعد ٤٠٠ كيلومتر في الخليج العربي، كان معلم أرضي آخر- آلية حفر- تصنع حدثاً سيضع المملكة على طريق التقدم السريع والتطور الكبير. وعلى الرغم من أن البحث الموفق عن النفط في المملكة العربية السعودية تركز أساساً في المنطقة الشرقية التي تبلغ مساحتها ثلث مساحة الحولة الحديثة، فإن الرياض نفسها لعبت دوراً بارزاً في قصة الاكتشاف والتطوير.

في صيف عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٢م، وصل الرائد فرانك هولمز إلى الرياض آتياً من البحرين، وهو ضابط نيوزيلندي ومغامر ومهندس يمثل هيئة مقرها لندن، ساعياً إلى لقاء الملك عبدالعزيز الذي كان آنذاك سلطان نجد وتوابعها.

وفاوض هولمز على امتياز قصير الأمد للتنقيب يغطي أراضٍ في المنطقة الشرقية التي سيثبت لاحقاً أنها أغنى مناطق المملكة

بالنفط. ولكن استطلاعاته الخاطفة فوتت عليه العثور على المؤشرات الرئيسية، وانتهت مدة الاتفاق مع هولمز، وكان على التاريخ أن يأخذ منحىً آخر.

في البدء، كان الملك عبدالعزيز مشغولاً بالعثور على الماء بالدرجة الأولى وبشكل خاص حول الرياض. وعندما واجه تضاؤل مالية الدولة، صار يفكر باحتمال وجود فرص لاكتشاف موارد معدنية ثمينة في أراضي المملكة الشاسعة، وربما أيضاً النفط. وهكذا، وبدعم من الملك، سافر مهندس التعدين الأمريكي كارل تويتشل عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣١م عبر الجزيرة العربية من جدة إلى الخليج العربي مروراً بالرياض، باحثاً عن احتمالات وجود موارد طبيعية.

وفي عام ١٣٥٢هـ / ١٩٣٢م كان النفط قد اكتشف في البحرين، وفي العام التالي (٧ يوليو ١٩٣٣) منح المرسوم الملكي رقم ١١٣٥ شركة ستاندارد أويـل أوف كاليفورنيا (سوكال) حق التنقيب عن النفط. وأنـشـأت سـوكـال شركة تابعة لإدارة المشروع أسمتها «كاليفورنيا –أرابيان ستاندارد أويل كوممباني» (كـازوك)، التي أصبحت عام ١٣٦٤هـ / ١٩٤٤م أرامكو، شركة الزيت العربية الأمريكية، وأعيدت تسميتها أرامكو السعودية عام ١٤٠٨مـ/ ١٩٨٨م.



بعدما أدى تزايد عدد سكان الرياض إلى تعاظم الطلب على المياه، أصبح تأمينها شغلت الملك عبدالعزيز. وهنا صورة حفّار للتنقيب عن المياه الجوفية تعود إلى عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م، وهي تتطلع صوب الشرق عبر وادي حنيفة إلى مخيم التنقيب، وما بعده بسبعة كيلومترات تقع الرياض.

كانت أعمال الحفر الأولى قرب الدمام مخيبة للآمال. وفي عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٦م عينت كازوك رئيساً جديداً للجيولوجيين هو ماكس ستاينكي، الذي عبر في العام التالي شبه الجزيرة العربية وهو يجمع المعلومات التي شكلت لاحقاً أسس الصورة الجيولوجية للمملكة. فقد سافر مع فريق عمله وصولاً إلى الدرع العربي البركاني على بعد ٢٠٠ كيلومتر غربي الرياض.

وما شاهده ستاينكي خلال توجهه غرباً كان محيّراً له، ولدى عودته أمضى بعض الـوقـت في الـريـاض وجـوارهـا ليدرس التكوينات الجيولوجية فيها. وكان محظوظاً بقراره هذا. فعلى بعد ٣٠ كيلومتراً جنوب شرق الرياض، حالياً بعد حدود المدينة مباشرة، ستؤدي ملاحظات ستاينكي الذكية بشأن مظهر جيولوجي بارز إلى اكتشاف فائق الأهمية.

تتكشف جبال طويق وجروفها الكبيرة والصغيرة قرب الرياض عن طبقة من الصخور الرسوبية المتشكلة منذ مئات ملايين السنين. ولكونه ضيفاً على الملك عبدالعزيز، فقد تم إرشاده إلى

دحل هيت، وهو عبارة عن حفرة عميقة تقع عند سفح جرف قرب الرياض.

كان الدحل ممتلئا بالماء العذب حتى سطحه تقريباً. وقرب مدخله،لاحظ ستاينكي وجود قشرة صلبة ذات لمعان لؤلؤي. عرف أنها من الأنيدريت (كبريتات الكالسيوم اللامائية)، وهو معدن مُحكم تشكل من تبخّر مياه البحر الذي كان يغمر المنطقة في الماضي. وأدرك أنه قد يكون الطبقة الحابسة لمكامن النفط تحتما.

في ذلك الوقت، كانت فرق الأمريكيين والسعوديين تحفر بئراً عميقاً، البئر رقم ۷، في قبة الدمام. كما أن كازوك أمرت بوقف حفر آبار أخرى مكلفة. وكان البئر رقم ۷ قد وصل إلى عمق ۱۲۰۰ متر وواجه مشاكل وانتكاسات عديدة فراحت كازوك تلحّ على وقف العمل على هذا البئر الإختبارى الأخير المكلف والمثير للمتاعب.

وعلى عمق ١٢٧٧متراً، بدأت الحفارة تستخرج حطام الأنيدريت. « لمعت الفكرة في راس ستاينكي. فإذا كان هذا الأنيدريت هو نفسه الذى شاهده على بعد مئات الكيلومترات قرب الرياض،

فهذا يعني أن الطبقة الصخرية الحابسة تمتد عبر أرجاء الجزيرة العربية». وخلافاً للتوجيهات، أصرّ ستاينكي على فريق الحفارة أن يتابع العمل: « احفروا أعمق». ومنذ ذلك الحين أصبح هذا القول أنشودة عند العاملين في أرامكو.

كان ستاينكي على صواب. ففي ١ محرم ١٣٥٧هـ/ ٣ مارس ١٩٣٨م، ومـن على عمق ١١٤٤ مـتـراً، تدفق النفط عبر البئر رقـم ٧ من المكامن الجوراسية تحت طبقة الأنيدريت. وكان ذلك الحفر الأول الناجح تجارياً، وفاتحة عصر من الرخاء والتطور للمملكة وتوسع البنى التحتية ومرافق الصالح العام والمراكز الإدارية والمؤسسات وما سيصبح للحقاً أكبر شركة نفط في العالم.

وبالنسبة إلى الرياض حيثما كان الملك عبدالعزيز يشرف على هذا البحث التاريخي عن النفط وشاهد جيولوجيا أمريكياً يعاين بدهاء تكوينات حفرة مائية في الصحراء، فقد كان الأمر انطلاقة تطور عمراني غير مسبوق، بعد ذلك بسنة تقريباً، سافر الملك عبدالعزيز وبعض أفراد أسرته وحاشيته من الرياض إلى الخليج العربي، حيث قام خلال احتفال رسمي بفتح الصمام لتعبئة النفط السعودي في أول ناقلة ترسو في رأس تنورة.

وبعد ذلك بنصف قرن أصبحت منطقة الرياض نفسها منتجاً رئيسياً للنفط بعد اكتشافه بكميات كبيرة حول الحوطة جنوبي العاصمة في عام ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، وبعد ذلك في خريص شرقاً عام ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م.

في عام ١٣٥٩هـ / ١٩٣٩م عرفت المملكة جفافاً قاسياً أوقع خسائر كبيرة في الثروة الحيوانية التي كانت تعتمد على المراعي الصحراوية حول الرياض، وجمع الملك الخبرات المتوافرة لتركيز البحث عن خزانات المياه الجوفية. وطالما أن ارامكو كانت تتوسع في أعمال الحفر، كان الخبراء يضعون أيضاً خرائط لخزّانات المياه الإرتوازية التي كانت تصادفهم خلال بحثهم عن النفط. وافترضوا وجود كميات كبير من المياه الجوفية. وقدمت الشركة أيضاً مهندسين ومعدات من الدمام لحفر آبار الماء في الرياض وحولها، واستمرت المضخات الميكانيكية في الحلول محل المضخات اليدوية والعاملة على الحيوانات عند فوهات الآبار الموجودة.

تسارعت وتيرة تطوير المدينة باستمرار التوسع خارج الأسوار. كان الطين وغيره من المواد المحلية ما يزال مستخدماً للبناء. ولكن في مطلع السعينيات الهجرية/ الأربعينيات من القرن العشرين،

بنى الملك عبدالعزيز توسعة إضافية إلىفي مجمع قصور المربع، استخدم فيها الحجر الجيرى.

في عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م قدّم الرئيس فرانكلين روزفلت طائرة من طراز دوغلاس دي سي ٣ هدية من الولايات المتحدة إلى الملك عبدالعزيز. فكان ذلك إيذاناً بدخول الطيران المدني إلى المملكة. فشركة الطيران الوطنية، السعودية، تأسست أولاً تحت اسم الخطوط الجوية العربية السعودية في سبتمبر ١٩٤٦م، كوكالة مملوكة بالكامل من الحكومة تحت إشراف وزارة الدفاع. وعلى بعد ١٠ كيلومترات شمالي المدينة المسوّرة، افتتح عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م مهبط صحراوي للطائرات، وبدأت الرحلات من العاصمة واليما.

وفي عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م، بدأ إنشاء سكة حديد بطول ٤٤٧ كيلومتر تصل الدمام بالرياض، ودشّنها الملك عبدالعزيز عام ١٣٧١هــ/ ١٩٥١م في واحد من آخر ظهوراته الرسمية في المناسبات العامة. وسهّل القطار نقل السلع الثقيلة الوزن في وقت بدأ الإسمنت يستخدم على نطاق واسع في البناء. ما غير بشكل حاد الطابع المعماري في الرياض شكلاً لوناً وأسلوباً وملمساً. وصارت عائدات النفط تغذي المصاريف العامة. وبنمو ثروات المواطنين صار التطور أكثر جرأة وأحدث.

بدأ البث الإذاعي في الرياض عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م، وكانت أجهزة الراديو شعبية آنذاك في الحجاز والمنطقة الشرقية. وفي عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م، تأسست شركة كهرباء الرياض وبدأت توزيعها أولاً لإضاءة المساجد والمباني الحكومية والقصور، ولاحقاً الأحياء السكنية. وقناديل «القاز» التي كانت بعد المغرب تبث ضوئها الذهبي المتراقص على الجدران الطينية وفي الأفنية الخلية لوقت قصير قبل أن ينام الناس بعيد صلاة العشاء، راحت تعطي أماكنها تدريجاً للمصابيح الكهربائية التي بدأ استيراد الأدوات المتعلقة بها مثل المثبتات والأسلاك والقوابس والمغارز من طرز مختلفة بموازاة استيراد الأجهزة الحديثة مثل مراوح السقف ومراوح تبريد الماء ومكيّفات الهواء والثلاجات والغسّالات ومصابيح الشوارع وشارات السير ولوحات النيون الإعلانية.

بحلول عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م، كانت الأسوار الطينية في المدينة قد أصبحت بلا معنى، فبدأ هدمها تدريجياً. في حين أمر الملك عبدالعزيز بإنشاء مباني جديدة من الخرسانة المسلّحة في شمال شرق المربع. وفي الفترة نفسها تقريباً، بني ولي العهد الأمير



طائرتان من طراز «دوغلاس
دي سي - "» تابعتان
للخطوط الجوية العربية
على بعد تسعة كيلومترات
شمالي الوسط القديم
للمدينة. وقبل إنشاء
من الحجر عام "١٣٧هـ /
من الحجر عام "١٣٧هـ /
تهبط على مدرّج ترابي
وتقلع منه.



سعود قصر الناصرية من الخرسانة، تحيط به مجموعة مساكن أقيمت وفق شكل منمّط على طول الطريق الطويل الذي يصله بقلب المدينة، وكان من أول الطرق المعبّدة بالأسفلت في الرياض.

في نهاية حكم الملك عبدالعزيز عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، كانت الرياض عند مطلع عصر جديد من التطور ستنجم عنه تغيّرات أكبر في نسيج المدينة. توفي الملك عبدالعزيز، رحمه الله، في الطائف في ٢ ربيع الأول ١٣٧٣هـ/ ٩ نوفمبر ١٩٥٣م، ودفن في الرياض.

بعد ذلك بقليل، هدم ما كان قد تبقى من الأسوار الطينية بما فيها بوابة الثميري المؤدية إلى طريق الأحساء (أعيد بناؤها لاحقاً). كما تم هدم بعض المباني الكبيرة والقديمة في المدينة مثل قصر الحكم والجامع الكبير الذي يحمل اسم الإمـام تركي بن عبدالله، ليتم إعداة بنائها بالإسمنت.

في فترة لا تزيد إلا قليلاً عن نصف قرن على استعادته الرياض كعاصمة سعودية في شـوال ١٣١٩هـ/ يناير ١٩٠٢، وحّـد الملك عبدالعزيز كل الأراضي الواقعة ما بين البحر الأحمر والخليج العربي وأعلن قيام الدولة. وتعاظم عدد سكان الرياض عشر مرات ليصل

في التاسع عشر من شهر محرم ۱۳۷۱هـ / أكتوبر 190 م، دشِّن الملك عبدالعزيز يرافقه ابنه الأمير (الملك) سعود، خط سكة الحديد الممتد من الرياض أرامكو بإنشائه. والصورة هنا هي بعدسة إيلو باتيجيللي، وهو موظف في أرامكو كان يُعرف بلقب «إيلو القرصان». إلى ١٢٠,٠٠٠ نسمة. واكتُشِف النفط وارتفع الناتج اليومي منه إلى نصف مليون برميل، وازدادت مداخيل الدولة ١٠ أضعاف خلال العقد الأخير من حكمه.

ووصلت السيارات، وبنيت سكة الحديد التي تصل العاصمة بشقيقتيها في التجارة التاريخية، الهفوف والـدمـام. وهبطت الطائرة الأولى على مدرج صحراوي شمالي المدينة المسوّرة، حيث بدأت بعد قليل أعمال إنشاء مدرجين ومبنى ليكون محطة الركاب. وحلت المضخات العاملة على الديزل محل المضخات اليدوية والعاملة بالحيوانات لرفع الماء من الآبـار للري وسقي الناس والمواشى.

وبدأت إمـدادات الكهرباء بالحلول محل الكاز في الإنـارة ووفرت الطاقة اللازمة للبث اللاسلكي الذي وصل الرياض بغيرها من المدن الكبرى في المملكة وخارجها. ودخل أول نظام هاتفي إلى العاصمة بالتزامن مع وصول الأجهزة المنزلية الحديثة.

وبـدأت الهياكل الخرسانية تحل محل المباني الطينية التقليدية. والشوارع القليلة التي كانت مرصوفة بالحجارة صارت تستبدلها بالأسفلت بعدما فاض سكان المدينة خارج أسوارها وتوسع نطاقها العمراني. وبذلك راحت الرياض تتحول من بلدة صحراوية تقليدية ومتقشفة إلى حاضرة حديثة ومتطورة.

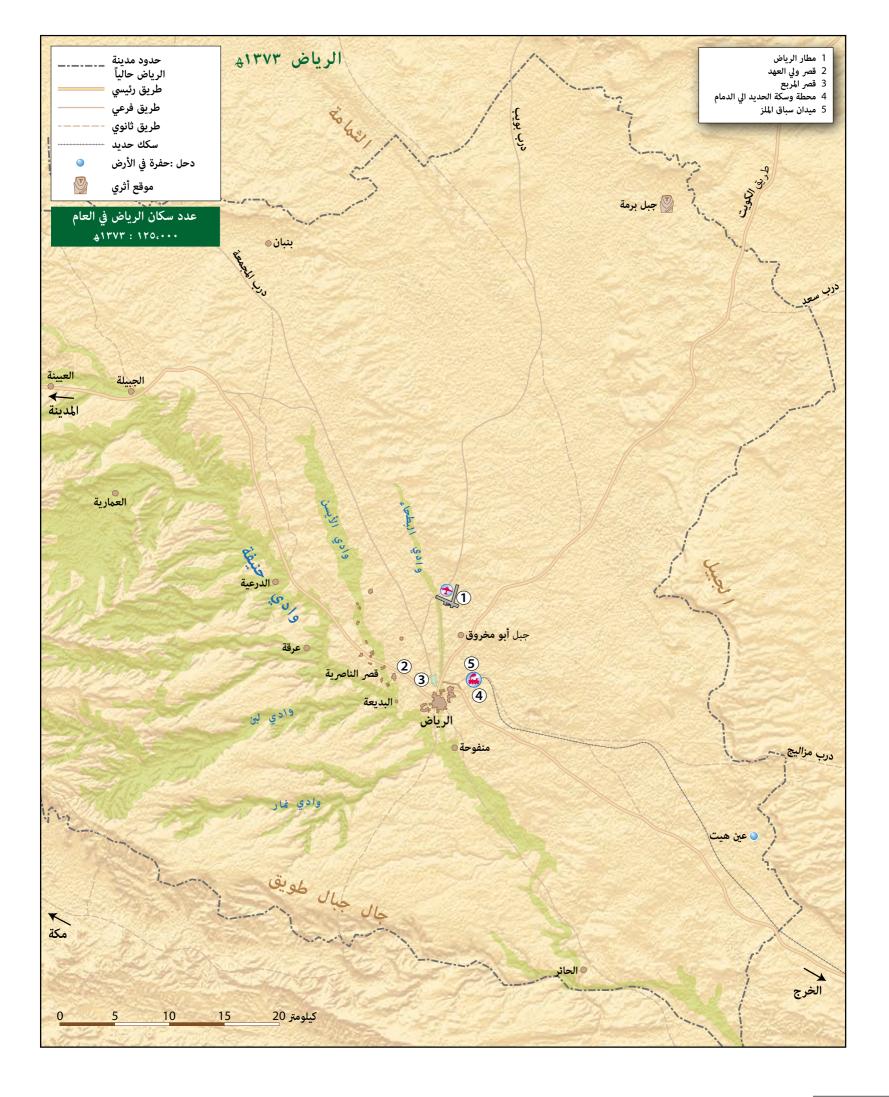


قصر الضيافة المطل على ساحة الصفاة ويبدو في الخلف حي الحلة وقلعة المصمك عام١٣٦/ ١٣٩٩م.

الصفحة المقابلة

بدءاً من أربعينيات القرن الميلادي الماضي، هُدمت أبنية عديدة، ووسِّعت الطرقات لاستيعاب الأعداد المتزايدة من السيارات. وهنا واحد من الطرق الترابية في الرياض القديمة. والمثلثات البارزة على الجدار لجهة اليسار هي من ملامح العمارة التقليدية في نجد، والغاية منها بعثرة مياه المطر من على الجدران الطينية. أما الأنابيب الخشبية لصرف المياه، فقد راحت تُستبدل في أماكن أخرى بأنابيب من المعدن.





٨ الرياض بعد الملك عبدالعزيز

شكّلت الموارد النفطية وسنوات الطفرة بعد الحرب العالمية الثانية دفعاً كبيراً في تطوير اقتصاد المملكة ونموه، صحبته فترة من التطور العمراني في المدن التي راحت تشهد الكثير من التحولات. إذ أن النفط لم يأت فقط بالموارد المالية، بل وفّر أعمالاً ومجالات توظيف جديدة تماماً، وفتح المجال أمام ما يمكن تحقيقه على صعيد البناء وتطوير البنى التحتية، كما ساعد على تأمين الرساميل والمهارات والمعدات اللازمة لإطلاق المشاريع الكبيرة. فغذّى مجموعة من الصناعات النفطية وقطاع الإعمار واستيراد المواد الاستهلاكية، وأيضاً الخبراء والمستشارين، وأدى للحقاً إلى تشكل جيل جديد من التكنوقراطيين ومتعهدي الأعمال السعوديين.

فبعد وفاة الملك عبدالعزيز، واصل الملك سعود مسيرة تطوير العاصمة. فوجّه بإنشاء بنية تحتية متطورة، وبتعزيز التعليم وتقوية الجيش. كما أنشأ وزارات جديدة، ونقل عدد منها إلى الرياض، وأسس أول جامعة حكومية في المملكة، ومستشفى كامل التجهيز في العاصمة. كما قاد انضمام المملكة إلى صندوق النقد الدولي، وأطلق برنامج تنمية صناعية غيّر لاحقاً بشكل جذري طبيعة اللقتصاد التقليدي الذي كان قائماً بشكل أساسى على الحرف والمشاريع الفردية الصغيرة.

أتّى التطور العمراني المتسارع إلى هدم ما تبقى من الأسوار الطينية في الرياض والبوابات، بما فيها بوابة الثميري المؤدية من قلب المدينة التاريخي إلى طريق الأحساء المعروف. كما هُدم العديد من المبانى الطينة التقليدية.

وشمل ذلك قصر الحكم وجامع الإمام تركي بن عبدالله، والممر المسقوف الواصل بينهما. وفي الموقع نفسه، بنى الملك سعود جامعاً جديداً من الإسمنت بمئذنتين مستديرتين وعاليتين، إضافة إلى مجمّع حكومي.

فقد قلب الرياض الكثير من تراثه العمراني وعدداً من أبرز معالمه التي شهدت على مـاضٍ حـافـلٍ بـالأحـداث وصـمـدت خلاله. وهدمت أيضاً المباني التقليدية على طول شارع الثميري (التي صوّرها الكابتن وليم شكسبير عام ١٩١٤م)، وقامت مكانها أبنية حديثة شكلت طريقاً تجارياً نشطاً يؤدي إلى الساحة المركزية التي أطلّت عليها في وقت قريب لاحق أبنية إسمنتية متعددة الأدوار. وخارج السور الشرقي وبمحاذاته تماماً، أنشىء أول مركز تجاري في الرياض على شارع الوزير الذي أسمي لاحقاً شارع الملك

وخارج حدود المدينة التاريخية القديمة، حملت مرحلة من التخطيط الحديث تطوراً عمرانياً واسع النطاق، فقد كان هناك تركيز على تخطيط الطرق لاستيعاب الأعداد المتزايدة من السيارات، وتوسع المدينة السريع الناجم عنها.

وشكّلت الضواحي الجديدة عُقداً في التوسع حول الحيّز الخارجي للمدينة، وبموازاة ازدياد حركة السير على الطرقات، كانت سكة الحديد الجديدة – التي بنتها أرامكو وأدارتها في بدايتها - تحفّز نمو منطقة صناعية حول محطتها عند الطرف الشرقي للعاصمة، فقد سهلّت سكة الحديد هذه بعد تدشينها السفر إلى الرياض ومنها.

وفي كل أيام الأسبوع، ما عدا الجمعة، كان قطار المسافرين ينطلق من محطة الرياض عند الساعة الحادية عشرة والنصف صباحاً (عند وصول القطار المتجه إلى الرياض)، في رحلة تستغرق ست ساعات ونصف إلى الدمام، وبلغت قيمة التذكرة في الدرجة الأولى ٣٠ ريالاً.

ولكن مساهمة سكة الحديد الجديدة في نمو المدينة كانت من خلال شحن البضائع والمواد الثقيلة، فقد كانت قطارات الشحن تصل من الدمام محمّلة بمواد البناء المستوردة، إذ كان البناء بالخرسانة المسلّحة بقضبان الحديد قد حلّ محل البناء التقليدي العريق بالطوب المجفف بالشمس.

ومن باب المفارقة، أنه عندما تقرر إنشاء سكة الحديد هذه في عهد الملك عبدالعزيز، اعتبر البعض أن مشروعها أضخم من الفائدة المرجوة منه، ولكن سرعان ما ثبت خطأ الذين تحفظوا عليها، فبازدياد الطلب على مواد البناء والمعدات الثقيلة مثل مكيفات الهواء ومولدات الكهرباء ومضخات المياه وقضبان الحديد والأنابيب، بـرزت سكة الحديد كشريان أساسي يمدّ العاصمة بمتطلبات توسعها وتطورها.

وإضافة إلى بناء سكة الحديد التي تصل الدمام بالرياض، نُفِّذت مشاريع جديدة عديدة، شملت إنشاء مطار، وتوليد الكهرباء وتوزيعها، وأنظمة صرف المياه، ورصف الطرق، وبناءالجسور، فبمساعدة من الشركة، وصل الأسفلت إلى الرياض لإنشاء الطرق. إذ قبل ذلك، كانت معظم الطرق عبارة عن مسارات حصوية وترابية، باستثناء قلّة من الطرق الرئيسية التي كانت مرصوفة بالحجر الجيري أو بالإسمنت. وبسرعة بدأت تغطية الكثير من هذه الطرق بالأسفلت الذي يخفف من الغبار، ويجعل التنقل بالسيارة أو على الدراجات مريحاً أكثر من السابق.

الصفحة التالية

صورة تعود إلى عام ۱۳/۸ه (۱۹٦۸م) لشارع الشميسي باتجاه الغرب حيث يقع المستشفى الحكومي. وفي تلك الفترة بدأ العمل على تطوير نظام تصريف المياه في المدينة النامية بسرعة. وتم حفر معظم القنوات على امتداد مجاري السيول الطبيعية، ورصفت جوانبها وجرت تغطيتها بالخرسانة.





وكان في البدء على شكل وحدات مسبقة الصنع، وبدخول آبار نفط جديدة على خط الدنتاج، راح المهندسون في أرامكو يبنون البنى التحتية والمرافق التعليمية والطبية والتجارية اللازمة لتلبية احتياجات آلدف الموظفين وعائلاتهم. وكان لذلك تأثير على التطورات في الرياض وفي أماكن أخرى، ووقع حتمي على المجتمع وثقافته في المملكة، وحمل معه المؤشرات الأولى على المواجهة بين التقليد والحداثة، التي تطلبت عدة عقود لاحقة لحلّ إشكاليتها.

في مطلع السبعينيات الهجرية/ الخمسينيات من القرن العشرين، تبنت الجهات المسؤولة نموذجاً للتطوير المدني مستوحى من الطابع المنبسط والعملي في المدن المخطّطة وفق نمط شبكي، إذ أن عدد سكان الرياض آنذاك كان قد تجاوز ١٠٠٠٠٠ نسمة، كما أن الأمر الملكي بنقل معظم مقرّات المؤسسات الحكومية من جدّة إلى الرياض لتنضم إلى وزارات المالية والدفاع والخارجية، أدّى إلى حركة محمومة في قطاع البناء، وفي عام ١٣٧هـ/١٩٥٣م، تم تدشين مطار الرياض على بعد ٩ كيلومترات شمالي المدينة القديمة، فوق موقع المهبط القديم. وتضمن المطار الجديد مدرجين مجهزين بمستلزمات استخدامهما ليلاً.

أما شارع المطار الذي كان مجرد مسلك للسيارات، فقد تحوّل إلى طريق شهدت في عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م تدشين مباني سبع

وزارات قامت على طولها بدءاً من البطحاء، ومنذ عام ١٩٦٨م، صار المطار يستخدم أيضاً من قبل كلية الملك فيصل الجوية التي أنشئت حديثاً لتدريب طـلاب الـقـوات الجوية الملكية السومدية

ظهرت أولى الضواحي البعيدة نسبياً عن المدينة القديمة في ناحية تدعى بحي الملز، شرقي الطريق التي تصطف عليها الـوزارات. وتولت الهيئات الحكومية تطويرها، وعملت فرق البناء على مساحة تبلغ خمسة كيلومترات مربعة، وفق مخطط شبكي منظم، فشهدت الرياض آنذاك، ولأول مرة، ظهور نوع جديد تماماً من المنازل، (الفيلا المستقلة) إذ تم بناء ٧٥٠ فيلا، وعدة عمائر سكنية حول الشوارع المزدانة بالأشجار في الملز، وتميزت بطراز يصفه المهندس صالح الهذلول بأنه «متوسطي عالم،».

وعرفت ناحية الملز باسم الرياض الجديدة. فحداثة تصاميم البناء فيها كانت جذرية – وغالبا غرائبية – كما بدت على واجهاتها الخارجية وألوانها واستخدامات المساحات الداخلية. فكان ذلك أول ابتعاد كبير للرياض عن نظامها القديم القائم على التخطيط التقليدي لمدينة إسلامية ضمن حدود مسوّرة، تضم بيوتاً ذات أفنية داخلية، وطرقاً ضيقة ومتاهة من الأزقة تؤمن الظل



أدت مشاريع شقِّ الطرق الواسعة في الرياض إلى طلب غير مسبوق في ضخامته على معدّات الحكومة لجعل الرياض الحكومة لجعل الرياض المكز الإداري، ومن ثم السياسي والمالي للمملكة، المباني الحكومية. وشمل المباني الحكومية. وشمل طرقات سريعة ومشاريع لضبط السيول.

وبتعدد اتجاهاتها المختلفة وانطلاقها بشكل شعاعي من حول القصر والجامع، كانت الوجهات والتعرجات غير المنتظمة تحول دون وصول الرمال والغبار الى الطرق والممرات بأطوالها. أما الآن، يقول الهذلول، فقد أصبحت الرياض مدينة تتألف من أحياء متناقضة في قِدَمها وحداثتها.

فالبيوت التقليدية المبنية بالطوب حول فناء داخلي وتطل من باب واحد وجدران مصمتة على الطرقات الترابية الضيقة، تراجعت لتحل محلها أشكال خرسانية انقلب فيها التصميم من الداخل الى الخارج بالمعنى الحرفي للكلمة، فظهرت النوافذ على الجدران الخارجية بمحاذاة الأرصفة والشوارع المسفلتة. وحلّت المداخل الخرسانية محل البوابات الخشبية القديمة، ورفرفت المظلات فوق البوابات الحديدية التي ازدان بعضها بالشعار الوطني المؤلف من نخلة وسيفين متقاطعين باللون الأخضر.

كما أن الخطوط المستقيمة تماماً التي يمكن البناء وفقها بالإسمنت حلّت محل الـزوايـا الـمـدوّرة في اللّبنية الطينية القديمة التي تمت كسوة بعضها بالأسمنت لإعطائها ملمح الحداثة. وبمظهره الجديد تماماً وفلله المستقلة، أصبحت شخصية الملز العمرانية نموذجاً يحتذى في كل زمان ومكان، إذ بدأ المخططون بتبني أحدث المفاهيم في التخطيط المدني والتطوير والبناء.

استقطبت الرياض بجاذبيتها الكثير من السعوديين من كل الجهات. وصارت أسماء بعض النواحي تعبّر عن المكان الذي وفد منه سكانها الى الرياض، مثل «حلة القصمان» و»حلة الدواسر»، اللتين شكلتا ضاحيتين جديدتين لأناس أتوا من بلدات واحة القصيم شمالي نجد، ومن وادي الحواسر في أقصى جنوب منطقة الرياض.

وتجاوز نمو الضواحي بسرعة حـدود المدينة ونقاط التمركز، وظهرت المباني التجارية كمنطلقات للمزيد من التوسع. والى الجهة الشرقية، استمرت المنطقة الصناعية بالنمو حول محطة سكة الحديد. وفي الغرب، توسعت مراكز التطور وفق ما هو مخطط لها حول مجمّع قصر الناصرية والشميسي، وعلى طول الطريق المؤدي الى القصور والمضافات في البديعة على وادي حنيفة. وفي شمالي المدينة القديمة، طرأ تطور عمراني كبير في المناطق المحيطة بمجمّع قصور المربع. واستمر شارع الوزير بالنمو كشارع تجاري يتضمن، إضافة الى المتاجر المتكاثرة، شققاً سكنية في الأدوار العليا لسد احتياجات الأعـداد المتزايدة من العمال الأجانب المتدفقين على المدينة.

وإضافة الى الفلل، بـدأت مباني الشقق السكنية تتكاثر في العاصمة. ومن باب المفارقة أن أول ما بني منها خارج الملز، كان واحداً من ستة طوابق بنى عام ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م ضمن حدود المدينة



في عام ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م، كان في العاصمة ثلاثة مستشفيات كبرى، ومستشفى عسكري واحد، وعيادة للتوليد. وهنا صورة خارجية للمستشفى الحكومي في عام ١٩٦٩هـ أرامكو ت. ف. ولترز. القديمة، عند طرف شارع الثميري، ويشرف على ساحة قصر العدل. وحاكت المباني الخرسانية الجديدة المزوّدة بشرفات لون الطوب التقليدي، أما جدرانها الجانبية فكانت مصمتة، احتراماً لخصوصيات المباني المجاورة وعدم الإشراف عليها، إذ أن بعض مباني الشقق السكنية في حي الفوطة المجاور للمربع، تسبب في وقت لاحق بإقلاق سكان الحي بعدما صارت الأدوار العليا من هذه المباني تشرف على دواخل بيوتهم التقليدية. فكان الحل باعتماد جدران عالية حول المنازل تحجب الأنظار عنها.

تأسست بلدية الرياض عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م لمعالجة مثل هذه الإشكالات، ووضع خطط البناء وضوابطه القانونية، وأنيطت بها أيضاً إدارة خدمات عديدة مثل: تنظيف الشوارع وجمع النفايات في المدينة المتنامية بسرعة.

وتم بالفعل وضع قوانين للبناء والتخطيط، تضمنت توجيهات تتوافق مع تراتبية الشوارع حسب عرض كلٍ منها، وتحديد المربعات لإنشاء الفلل مع مسافات تراجعها من كل الجهات، وباقي المواصفات والملامح التي كانت قد ظهرت أولاً في الملا.

في عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، تأسسست وزارة البترول والثروة المعدنية (وزارة الطاقة حالياً) التي أُلحق بها مكتب المعادن الذي كان قائماً

في وزارة المالية، ويشرف على امتياز أرامكو. وانتقل مقرها الى الرياض لتتولى منه شؤون كل الثروات المعدنية، فكان آنذاك واحداً من طليعة المباني الحديثة التي صممت وفق ملامح العمارة النجدية التقليدي المحدّث فناء داخلياً وفتحات مثلثة، وأبراجاً مربعة القواعد عند زواياه تذكّر بما هو موجود في مجمّع قصور المربع وغيره من المباني في المنطقة.

خلال العقد الـذي تلا وفـاة الملك عبدالعزيز، ارتفع عدد سكان الرياض الى ١٨٠ ألف نسمة. وبارتفاع هذا العدد بنسبة تقارب ١٠٪ سنوياً، ازداد ضغط الحاجة الى المياه لتلبية الاحتياجات المنزلية والبلدية والصناعية والزراعية والإعمارية.

فحتى الخمسينيات الهجرية / ثلاثينيات القرن العشرين، كانت مصادر المياه تقتصر على الآبار المحفورة يدوياً، ولكن مستوى المياه الجوفية بدأ يغور عميقاً، كما أن نوعيتها بدأت بالتدهور نتيجة ما راح يتسرب اليها، وفي عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م، عندما كان عدد سكان الرياض نصف ما سيصبح عليه عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، أجريت دراسة متخصصة على مصادر المياه في العاصمة، أوصت بمراقبة الاستهلاك ومنع الهدر، ووقف الزراعة في المزيد من الأراضي.

وكانت الرياض تؤمّن احتياجاتها من المياه وقتذاك من محطات ضخ ومن آبار ضحلة نسبياً في ضاحية الحائر عند مصب وادي



في خمسينيات القرن الميلادي الماضي، ضافت الطرقات الصغيرة والمتعرجة في قلب الرياض، بحركة سير التليات الحديثة، فبدأ تنفيذ برنامج البيوت الطينية على جوانب هذه الطرق، وإثر ذلك، بدأت الشقق السكنية المبنية المبنية المبلوت المسكنية المبنية المسلحة. وفي الصورة طريق من اتجاهين الصورة طريق من اتجاهين يفصل بينهما خط من مفارش الزهور.



صورة ملوّنة لطريق المطار كما كانت مطلع ستينيات القرن الميلادي الماضي، وعلى جانبيها كانت تنتشر مباني الوزارات الجديدة، ومنها مبنى وزارة الداخلية الظاهر في يسار الصورة الحالي عام ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م. وبعيدا في محيط المطار، يظهر برج تدريب المظليين في القوات الجوية الملكية السعودية.

> حنيفة، وفي رافده كوادي نمار، ومن آبار قريبة من ضاحية عرقة.

> ولكن مع ازديـد عـدد السكان وتغير نمط الحياة بفعل الحداثة، ارتفع الطلب على الماء. وبما أن بعض الخزانات الجوفية الضحلة استنفدت، وتـلـوّث بعضها الآخـر، أصبح تقنين المياه مشكلة متعاظمة تهدد مستقبل العاصمة وحتى وجودها نفسه، في عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

وبعد سنتين من العمل الميداني، كشف جيولوجيون فرنسيون عن وجود كميّات كبيرة من المياه الجوفية عميقاً تحت المنطقة المحيطة بالرياض، وأدت عملية الحفر الى اختراق الطبقة السميكة على عمق أكثر من ١٠٠٠ متر، لتتأمن بذلك الاحتياجات اللازمة للمدينة.

إضافة الى إنشاء البنية التحتية الأساسية، تضمن إرساء أسس المملكة الحديثة، تحسين أحوال السكان الذين بدأوا ينتقلون الى العيش في المدن مثل الرياض. وكان وضع نظام تعليمي في طليعة الاحتياجات الرئيسية للمملكة الفتية.

فبعدما بدأ العمل التأسيسي لذلك على يد الملك عبدالعزيز، سارع أبنائه الملوك من بعده في تأمين التعليم للمواطنين، وفي عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، كان قد تأسس مجلس الـوزراء، وتم إنشاء وزارة للمعارف (وزارة التعليم حالياً). وأعلن المجلس في جلسته التدشينية أن أول معهد للتعليم العالي في المملكة سيتأسس في العاصمة. فأنشئت أولاً كليات للهندسة والزراعة والتجارة في حي عليشة. وافتتحت جامعة الملك سعود في الرياض عام مي حي عليشة. وافتتحت جامعة الملك سعود في الرياض عام الضواحي النامية في الملز الذي سمّي بشارع الجامعة.

وبعد ذلك بوقت قصير، تأسس معهد الإدارة العامة في الرياض بمرسوم ملكي، ليكون أكاديمية مستقلة تعدّ الشباب السعودي لتولي مسؤوليات القطاع العام النامي بسرعة في البلاد.

عندما تولى الملك فيصل مقاليد الحكم عام ١٩٦٤هـ/ ١٩٦٤م، كانت الرياض عاصمة يبلغ عدد سكانها نحو ٢٥٠ ألأف نسمة، ومرشّحة لمرحلة من التنمية المستدامة والتحديث المتواصل والتوسّع غير المسبوق في بنيتها التحتية، فأنشئت المدارس ومعاهد



أدت أعمال توسعة الطرق إلى هدم الكثير من الأبنية التقليدية، ولكنها كشفت أيضاً ما كان في دواخل هذه الأبنية من أعمال تزيينية من الجص وأعمدة في أفنيتها الداخلية.

أسفل بحلول عام ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م، بدأت تنهض الضواحي الجديدة، وظهرت الفلل السكنية الكبيرة في مواكبة زيادة الطلب على الإسكان. وصار بعض الشوارع الجديدة يُعرف بمقاس عرضه، مثل شارع الثلاثين،



التدريب، وفُتح المجال أمام تعليم الإناث، وأنشئت مرافق صحية وللمنفعة العامة، وبدأ البث التلفزيوني في الرياض، وافتتح المزيد من الخطوط الجوية المحلية والدولية، وبدأ دعم الزراعة وقطاع الأعمال لتنشيطهما.

ولأن التخطيط بات ركيزة أساسية في التنمية، تأسست في عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٧٠م، ميئة مركزية للتخطيط، وفي عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، أُطلقت الخطة الخمسية الأولى، كما بدأت في الوقت نفسه دراسات التخطيط المدني بشكل ممنهج، الأمر الذي حفّز على تشكيل الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض تحت قيادة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، حينما كان أميراً

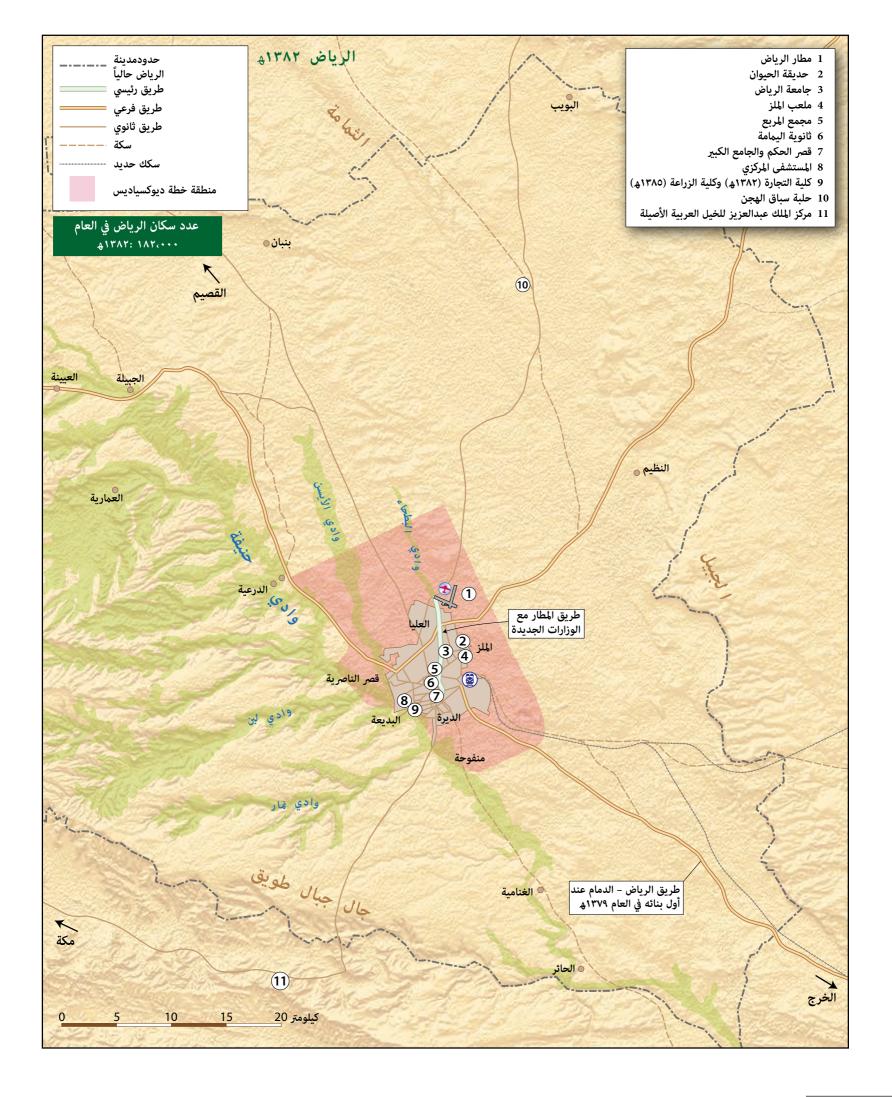
لمنطقة الرياض، لتتولى الهيئة قيادة تطور العاصمة وإدارتها ووضع الرؤية المستقبلية الخاصة بالحاضرة الحديثة.

دخلت الرياض عصراً جديداً حينها، وخلال نصف القرن الذي أعقب بداية حكم الملك فيصل، ارتفع عدد سكان المدينة من ربع مليون إلى نحو 1 ملايين نسمة. وبحلول عام ١٣٩٧هـ/ ١٩٩٧م، كانت المساحة المبنية من المدينة قد توسعت من الكيلومتر الواحد في عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٢م لتصبح نحو ١٠٠ كيلومتر مربع.

وظلت حدود العاصمة تتوسع سريعاً وفي كل الاتجاهات، حتى أن مساحتها تضاعفت بحلول عام ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، نحو ١٥ مرة إضافية.



كانت الزخارف الجصية شائعة في البيوت النجدية، كما يظهر في هذا البيت الذي هُدم جزئياً لتوسعة طريق، حيث يتكشف المجلس عن مجموعة زخارف هندسية وجصية وكوّات غير نافذة.



٩ تخطيط العاصمة

أدت عملية التحديث التي قادها الملك فيصل وتميزت بالحماسة وبُعد المدى، إلى اعتماد التخطيط المنهجي، ووضع برامج البنية التحتية والمنفعة العامة موضع التنفيذ على المستوى الوطني وعلى مستوى العاصمة. وبدأ بشكل جدّي السعي إلى تطوير الاقتصاد، وتنميته وفق أهداف محدّدة بوضوح، من خلال (خطة التنمية الأولى عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م التي ركزت على البنية التحتية. وكان ذلك بداية الخطط الخمسية الوطنية التي تستمر في صياغة وتأطير التطور الاقتصادي والاجتماعي في البلاد.

وفي مسيرة التقدم هذه، كانت الرياض رائدة في مجال التخطيط المدني. إذ قامت معظم المدن الكبرى في المملكة خلال عهد الملك فيصل بوضع مخططات توجيهية لنموها المستقبلي حتى ٣٠ سنة تالية. ومن التحديات التي واجهها المخططون الحضريون، كان الإقدام على التحديث والتطوير مع المحافظة على جوانب ملموسة من الماضي والتراث المحلي والثبات على مبادئ الإسلام وقيمه.

في عـام ١٣٨٥هــ/ ١٩٦٥م، تولى خـادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، إمارة منطقة الرياض، بعد أن سبق له أن شغل المنصب نفسه لمدة ٥ سنوات بدءاً من عام١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، وبعد تعيينه للمرة الثانية بقى أميراً على المنطقة حتى عام١٣٣٢هـ/ ١٠١١م.

وكان من حسن حظ الرياض أن تنعم بقائد يتعهد تطويرها ويتابع تفاصيله ويوجهه بفاعلية كبيرة، ويسعى جاهداً في الحفاظ على الجذور التاريخية للمدينة. واعترافاً بأهمية التخطيط المدني الناجع بالنسبة إلى تأطير خطط العمل، فقد أسس في عام ١٩٣٨هـ/ ١٩٦٨م (لجنة إعداد المخطط التوجيهي لمدينة الرياض)، وكان ذلك حجر الأساس الذي قامت عليه لاحقاً (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض) وذراعها التنفيذية مركز المشاريع والتخطيط.

أعد المسؤولون عن المدينة منافسة لاختيار الخبرة المساعدة على تخطيط عاصمة حديثة، ففاز بها استشاري التخطيط العالمي دوكسياديس وشركاه. وكونستانتينوس دوكسياديس هو مخطط يوناني مشهور، تدرّب في أثينا وبرلين، وصاغ مفهوم تطور المدن



القسم الجنوبي من طريق المطار القديم المؤدي إلى البطحاء كما كان في عام التخطيط الأولى، وأبرزات آنذاك مخطط دوكسياديس، اقترحت التوسع في البناء وفق محاور محددة، وسمح بظهور أنماط معمارية مختلفة تماماً عن النمط التقليدي، كما يظهر في هذه الأبراج المستديرة.

الصفحة التالية

أدّت عملية التحديث في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز إلى وضع أولّ خطة للتنمية في عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، ركّزت على تطوير البنية التحتية والتخطيط الحضري. ويظهر في الصورة الملك فيصل وخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، وكان آنذاك أمير منطقة الرياض، وخلفهما الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وكان آنذاك أميرًا، يتحدث إلى الأمير سلطان بن عبدالعزيز،







وفّرت الفضاءات المفتوحة عند أطراف المدينة مجالاً رحباً أمام المخططين لتطويرها. وكان حي السفارات الذي بدأ العمل على إنشائه في عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، باكورة المشاريع الكبرى لهيئة تطوير الرياض.

غداة الحرب العالمية الثانية المعروف باسم «إكيستيكس» الذي يشير الى المدينة الحراكية ويسمح بنموها سريعاً. وبالتالي، بدا ملائماً لدراسة نمو الرياض واحتياجاتها المتكاثرة بسرعة.

ويتضمن هذا المفهوم العمل على تحقيق التناغم والتوازن ما بين الدحتياجات الإنسانية والاجتماعية لسكان المدينة

وبيئاتهم الثقافية والمادية والتقنيات الحديثة التي لا مفرّ منها. وكان دوكسياديس قد عمل قبل ذلك على إعادة تخطيط بغداد في أواسـط الخمسينيات، كما طبّق عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م نظرياته حول المدينة الحراكية عندما وضع المخطط التوجيهي لمدينة إسلام أباد بعد اختيارها عاصمة جديدة لباكستان.

بدأ دوكسياديس بإجراء الـدراسـات وإعـداد الخطوط الأولية للمخطط الاستراتيجي لمدينة الرياض، الذي اكتمل عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ووافق عليه مجلس الـوزراء، ويرسم هذا المخطط صورة نمو المدينة وتطورها حتى نهاية القرن.

عندما بدأ هذا الاستشاري عمله، كانت الرياض تغطي مساحة الكلومتر مربع، وكانت المدينة تتوسع بشكل شعاعي، أي في كل الاتجاهات انطلاقاً من مركز واحد، وكان هناك ازدحام شديد في الشرايين الرئيسية داخل المدينة وحولها، بما في ذلك شارع الوزارات المؤدي الى المطار، وشوارع وسط المدينة وضواحيها الجديدة، وأيضاً في المناطق الصناعية النامية في شرقها.

كانت الأولوية لقياس التوسع التاريخي للمدينة وتوقع نموه خلال العقود اللاحقة، مع الأخذ بعين الاعتبار هجرة السعوديين الى العاصمة، ونمو أعداد غير السعوديين، إضافة إلى التزايد السكاني الطبيعي واتجاهات نسب الولادات والوفيات. تم تقدير نسبة النمو السنوي التاريخي بـ ٧٪. ويعود ثلثا نسبة النمو هذه الى الهجرة الى المدينة، والثلث الباقي الى الزيادة الطبيعية. ولكن إطلاق التوقعات حول نمو عدد سكان المدينة بشكل دقيق هو إطلاق التوقعات حول نمو عدد سكان المدينة بشكل دقيق هو تحدٍ كبير. فمع العلم أن عدد سكان الرياض كان في ٣٥٠ ألف نسمة عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٩٠م، وعلى الرغم من أن دوكسياديس كان يفضّل في حال عدم التيقن اختيار التقدير الأعلى، فإنه خطّط مشروعه على أساس أن عدد سكان الرياض سيتضاعف خلال العقد التالى.

ولكن ثبت أن ذلك التقدير كان أقل من الواقع: ففي عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، كانت الرياض قد تخطت المليون نسمة.

لقد كان لهذا المخطط تأثير كبير على النمو المستقبلي للعاصمة وصــولاً الـى الـقرن الـحـادي والعشرين، فبسبب السيارة التي وسّعت دائرة الحركة المناسبة، وسرّعت وتيرة الحياة اليومية، اقترح دوكسياديس مدينة ذات عدة مراكز فرعية بدلاً من المدينة المتراصة حول نواة كثيفة في مركز واحد، وذلك من خلال اتباع نمط شبكي للتطوير على طول محور يمتد من الشمال الى الجنوب، وينفتح باتجاه الشرق والمنطقة الصناعية، ويتوازى غرباً مع وادي حنيفة الذي يحرّف بمساره اصطفاف النمط الشبكي ويعيق التوسع ويشكّل الحدود الغربية الطبيعية للمدينة.

وساعدت التنمية الصناعية أيضاً على رسم شكل العاصمة وتوفير فرص العمل للمهاجرين إليها والوافدين من البلدان المجاورة. غير

أنها أرخت بأعبائها ومتطلباتها على المخططين لتحسين البنية التحتية ومرافق الحياة. فتأسست أول مدينة صناعية مخططة في العاصمة عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، في المنطقة المحيطة بمحطة سكة الحديد.

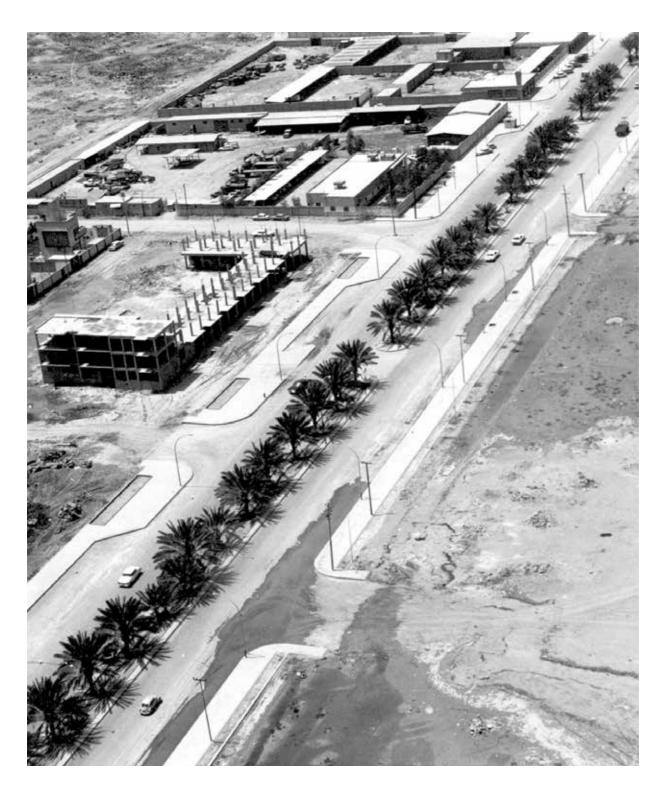
وكانت المنطقة المعروفة باسم «الصناعية» تحتوي قبل ذلك على عدد من الورش والصناعات الصغيرة، ولكنها باتت بعد تخطيطها تحتوي على أكثر من ٥٠ مصنعاً جديداً أكبر مما كان مألوفاً، وتنتج هذه المصانع تشكيلة واسعة من السلع البلاستيكية والكهربائية والمعدنية والخشبية.

بعد ذلك بثلاث سنوات، تأسست مدينة صناعية ثانية في جنوب شرقي المدينة على الطريق المؤدي الى الخرج، وبلغت مساحتها شرقي المدينة المربعاً تقريباً صالحة للتطوير الصناعي. وشهدت هذه المدينة الصناعية باكورة الاستثمارات الأجنبية التي أقامت فيها مصانع ومشاغل كبيرة لإنتاج الأطعمة والأدوات المنزلية ومواد التنظيف والأدوات البلاستيكية والكهربائية وغير ذلك من المعدات، لتلبية احتياجات السوق المحلية المتعاظمة، مع الدنفتاح على احتمالات التصدير الى دول المنطقة، وبعد تطويرها للحقاً على أربع مراحل، تجاوز عدد مصانعها ١٠٠٠ مصنع، وصار يعمل فيها نحو ١١٠ ألف شخص.

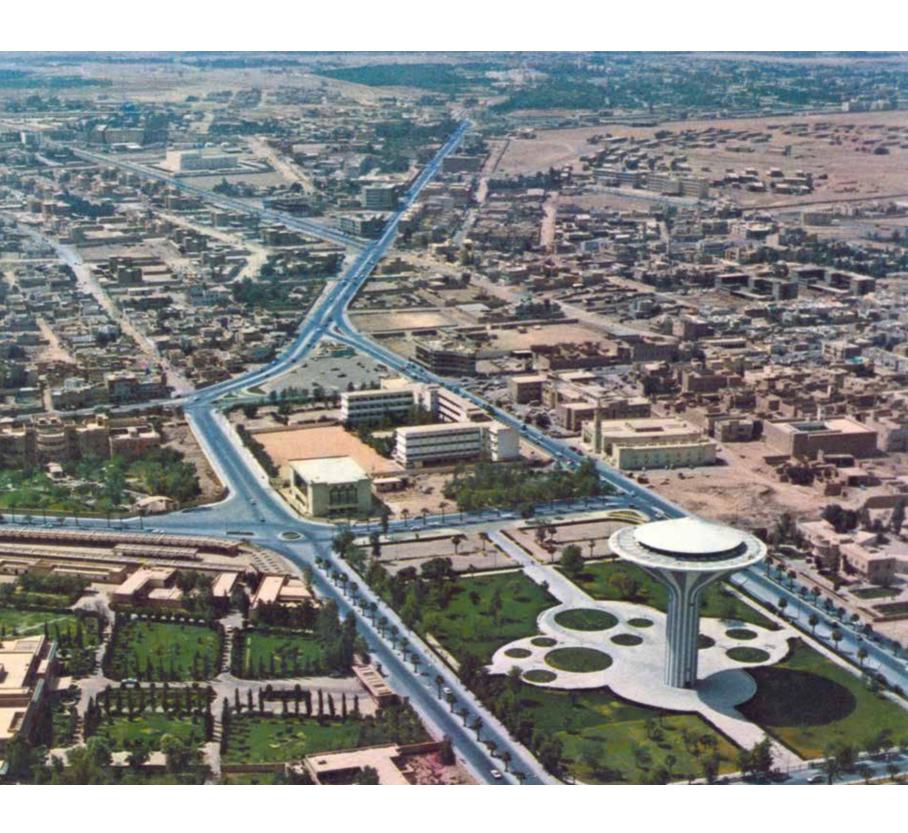
وبفعل استمرار توسع حدود الرياض وازدياد عدد سكانها بشكل متواصل، ازدادت الحاجة الى المزيد من التخطيط المدني الممنهج ووضعه حيّز التنفيذ. فصدر عن مجلس الوزراء في عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، مرسوم بتأسيس (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض) لتتولى تنظيم وتخطيط وتنسيق تطوّر العاصمة، وترأسها خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، حينما كان أميراً لمنطقة الرياض، ونائبه الأمير سطّام بن عبدالعزيز.

وأطلق على الذراع التنفيذية للهيئة العليا اسم «مركز المشاريع والتخطيط» الـذي تأسس عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ليتولى دراسة المشاريع التطويرية وأعمالها. وتعزز دور الهيئة العليا للحقاً بقرارات أناطت بها مسؤوليات إضافية في مراقبة وتنسيق وتنفيذ مشاريع البنية التحتية في المدينة.

يتألف اليوم مجلس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، برئاسة أمير المنطقة، من ١٣ عضواً يمثلون الجهات الحكومية وشبه الحكومية المختلفة، بالإضافة إلى القطاع الخاص عبر الغرفة التجارية الصناعية في الرياض وممثلين لأهالي المدينة.



يظهر في هذه الصورة الجوية الملتقطة عام ۱۳۸۹هـ / ۱۹۹۹م طريق الجامعة المؤدي من الملزّ إلى طريق المطار القديم. وكانت المباني القديمة لجامعة الملك سعود تقع على امتداد هذا الطريق، الذي كان من أول الطرق الرئيسة المزدانة بأشجار النخيل في العاصمة.



برج المياه الذي بُني عام ١٣٩١هـ / ١٩٧١م في شارع الوزير، والمميّز بخطوطه العامودية البيضاء والرمادية، تحوّل إلى رمز غير رسمي للحداثة في العاصمة وأبرز معلم على خط الأفق فيها. وحتى آنذاك، كان الكثير من طرقات الرياض لا تزال غير مسوّاة، وحدود العمران في المدينة مرئية بوضوح.



١٠ | العاصمة العالمية

كانت الرياض في التسعينيات الهجرية/ سبعينيات القرن العشرين، العاصمة الوحيدة في العالم الخالية من السفارات الأجنبية. فقد كانت البعثات الأجنبية مبعثرة في أماكن متفرقة من مدينة جدة، وإعادة تموضعها بالشكل المتناثر نفسه في العاصمة بـدا أمـراً غير عملي. فكان المرسوم الملكي الصادر عام ١٣٩٥ه/ ١٩٧٥م بنقل وزارة خارجية المملكة والبعثات الدبلوماسية الى الرياض منطلقاً لوضع ترتيب كفيل بتحقيق هذه الغاية التي ستعرز دور الرياض كعاصمة منفتحة على العالم، ويضعها على سكة التحول الى بوابة استراتيجية وحاضرة عالمية.

ولتوفير مستلزمات الإقامة للعدد المتزايد من السفارات وممثليها وموظفيها، بادر خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، حينما كان أميراً لمنطقة الرياض، بوضع تصور للمشروع الطموح الهادف الى تصميم وتطوير حي السفارات عند الطرف الشمالي الغربي للمدينة، على مساحة تبلغ نحو ٨ كيلومترات مربعة من الأرض الصخرية الوعرة التي تحف وادي حنيفة.

استمر تطوير هذا الموقع خمس سنوات ليصبح قـادراً على استيعاب ٨٠ بعثة دبلوماسية، ويوفر البنية التحتية والخدمات اللازمة لإقامة ٨٥٠٠ موظف فيها، وإضافة الى حي السفارات، وضعت تصاميم المقر الجديد لـوزارة الخارجية وبدأ العمل على بنائها، بموازاة مشروع مجمّع سكني منفصل لإسكان موظفي الوزارة المنقولين من جدة.

حرص المخطط التوجيهي لحي السفارات على أن يشكل المواطنون السعوديون أكثر من نصف عدد سكانه، وأن ينعم هؤلاء ببنية تحتية متطورة تتضمن حدائق ومرافق تربوية وترفيهية ورياضية، وأن يكون منظره العام مراعياً للبيئة الصحراوية، وأن يشكل نظاماً بيئياً أخضر متكاملاً وموحّداً بدلاً من الجزر الخضراء المبعثرة، وتم تخطيط الطرق بشكل يتفادى نمط المربعات الشائع ، وشبكة المسالك الصغيرة المجاورة للموقع.

بدأت أعمال البناء عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، واستمرت لخمس سنوات. وتـم تحديد مواقع السفارات الأولـى بالقرعة، إذ تولى سفير الكاميرون بصفته عميد السلك الدبلوماسي في الرياض آنذاك، سحب أسماء السفارات للمواقع المحدّدة من وعاء، وذلك في حفل خاص أقيم لهذه الغاية في جدة. وأوكلت السفارات تصميم مبانيها الى نخبة من ألمع المهندسين المعماريين في العالم،

وشجعت على الإبداع في التصميم مع الحرص على مراعاة البيئة المحلية في الوقت نفسه.

وكانت النتيجة تنوعاً ثرياً من المباني، وفي بعض الحالات، أساليب معمارية في غاية الحداثة. وتولت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض الفتية الإشراف على تصميم وبناء البنية التحتية والمرافق التي تضمنت ساحة مركزية ومسجداً جامعاً ومنطقة تجارية إضافة الى مقرها الخاص. وأطلق على المنطقة المركزية اسم «ساحة الكندي»، تكريماً لأبي يوسف يعقوب بن اسحق الكندي، عالم الرياضيات والفلك وأبي الفلسفة الإسلامية الذي عاش في القرن الثالث للهجرة / التاسع الميلادي.

تشكّل ساحة الكندي قلب الحي، ويعكس تصميمها ومبانيها فن العمارة التقليدية في نجد، وتشتمل على المسجد الرئيس للحي ومحلات تجارية ومكاتب الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض وخدمات أخرى، تتصل ببعضها البعض عبر ممرات مسقوفة ذات قناطر، وتنتشر الأفنية والفضاءات المفتوحة بين المباني المتجمعة حول فضاء عام مثلث الشكل مفتوح ومخصّص للمشاة.

في عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، فازت ساحة الكندي وتنسيق المواقع في حي السفارات، كلُّ على حدة، بجائزة الآغا خان للعمارة، واعتبرت اللجنة المانحة للجائزة أن ساحة الكندي «نموذج مثالي للمدن الإسلامية والمجتمعات العربية بفعل محافظتها بشكل جذّاب على الصلة ما بين الجامع وباقي الخدمات الأخرى في المدينة».

أما في ما يتعلق بتنسيق المواقع في الحي، فقد قالت اللجنة إن المشروع بكامله كان مخططاً بشكل جيد كنظام بيئي مستدام، فمعظم النباتات البالغ عددها ٢٥٠ ألف غرسة وزرعت فيه هي من الأنواع الموجودة في الصحراء المحيطة به، ووصفت اللجنة المنظر العام بأنه «واقعي وخيالي ومدرك لنظام الطبيعة والفضاء في البيئات الحارة والجافة» وأنه «نقل المهنة خطوة للأمام».

والفائز الثالث بجائزة الآغا خان المرموقة كان قصر طويق المميّز جداً، الواقع عند طرف حى السفارات ويطل على وادي حنيفة.

فقد أنهت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض بناء هذا القصر عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، أي قبل سنة من المشروعين الآخرين اللذين سبق لهما أن حصلا على هذه الجائزة، ولكنه لم يحصل عليها إلا بعد عقد من الزمن في دورة عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

صفحة التالية

قصر طويق المطلّ على وادي حنيفة. وقد حاز هذا القصر الذي سمِّي على السلسلة الجبلية الشهيرة على جائزة الآغا خان للعمارة. ويشكِّل بناؤه واحة ذات مصاطب وأفنية داخلية وحدائق، وفضاءات داخلية متعددة الأغراض ضمن جداره الخارجي الذي يتلوى بشكل أفعوي.

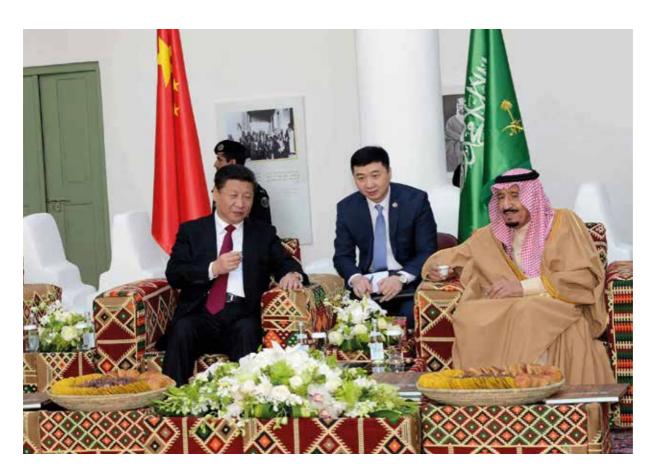
الصفحة المقابلة

غابة من الرافعات في فضاء حي السفارات خلال إنشائه ما بين عامي ١٤٠٠ و١٤٠٥هـ / ١٩٨٠ و١٩٨٥م. فقد راحت حدود العمران تتوسع آنذاك في كل الاتجاهات بشكل غير مسبوق. وظهرت مراكز فرعية بعيداً عن وسط المدينة القديم الذي بات يعاني من ازدحام خانق.





بانتقال البعثات الدبلوماسية ووزارة الخارجية من جدّة إلى الرياض، تركز العمل الدبلوماسي في العاصمة. وهنا خادم . الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز يرحِّب بالرئيس الصيني شي جين بينغ في قصر المربع بمركز ً . الملك عبدالعزيز التاريخي. وقد أثمرت هذه الزيارة فی عام ۱۶۳۷هـ / ۲۰۱۱م، تعزيزاً للعلاقات السعودية الصينية وشكّلت دفعاً لدتفاقيات التعاون في المشاريع المشتركة والتبادل التجاري والأبحاث.



ويستخدم القصر للقامة اللحتفالات الرسمية وحفلات الاستقبال والمهرجانات الثقافية. كما يتضمن مرافق ترفيهية مثل الملاعب الرياضية الداخلية والخارجية وحدائق ومتنزهات.

ولشكل هذا القصر طابع دراماتيكي فريد مماثل لفرادة أشهر معلم أرضي في نجد استمد منه اسمه: سلسلة جبال طويق التي يبلغ طولها ٨٠٠ كيلومتر وتبعد عنه ٥٠ كيلومتراً الى جهة الغرب. فمن بعيد، يبدو هذا القصر كقلعة تحيط بها الجروف، ذات خيام وأسوار وممرات ومطلات مختلفة. إذ أن تصميمه العام حرص على تحقيق أقصى حد ممكن من التناغم مع الموقع والبيئة المجاورة، من خلال بناء واحة ذات مصاطب، وأفنية وأقبية داخل جداره الخارجي المتعرج.

ويتألف هيكل بنائه من جدران خراسانية متلوية ومكسوة بالحجر الجيري، يعلوها ممشى طويل فوق سطحها. وشُدّت الى جدرانه

الخارجية ثلاث خيام بيضاء وضخمة مصنوعة من نسيج ليفي مطلي بمادة التفلون.

للحظت لجنة جائزة الآغا خان في قصر طويق هذا المزيج من العناصر التقليدية من جهة وأخرى في غاية الحداثة. فلهذ المبنى «مرجعيتان مثاليتان ومحليتان – القلعة والخيمة – ويحتضن ظاهرة الواحة الطبيعية». وقالت اللجنة : «إن وحدة الكل تحققت من خلال توافق المواد المستخدمة ودقة السيطرة على كتلة المبنى الضخمة»، وأضافت: «إن هذا التعبير المتجدد هو مقاربة جريئة للتقليد والبيئة الطبيعية والتكنولوجيا المتطورة».

في عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، اكتمل إنشاء مبنى وزارة الخارجية الذي يتسع لـ ١٠٠٠ موظف. وهذا المبنى الواقع على بعد كيلومترين من وسط المدينة القديمة والذي تبلغ مساحته ٨٥ ألف متر مربع، يشبه بجدرانه الضخمة المبانى الصحراوية. فمن الخارج، يبدو

منغلقاً على نفسه بنوافذه الصغيرة، ويعيد الى الأذهان صورة القلاع والقصور المحصنة في الدرعية وداخل أسوار مدينة الرياض القديمة.

ولكن على الرغم من مظهره الخارجي المنغلق هذا، فإن داخله ينفتح على تشكيلة واسعة من الغرف الصغيرة والقاعات الكبيرة المزدانة بالنوافير وردهات ريّانة، وبهو استقبال مثلث الشكل بارتفاع أربعة أدوار.

وبعد إنشاء هذا المبنى بخمس سنوات، جاء دوره ليحصل على جائزة الآغا خان للعمارة، ووصفته لجنة الجائزة بأنه «عمل معماري معاصر يتناغم مع التيار الرئيسي في فن العمارة العالمية»، ونوّهت بالمشروع «للذكاء في ترجمة العمارة التقليدية ومفاهيم تخطيط المدن الإسلامية».

وحتى عام ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٤م، ومن أصل ١١ مشروعاً فائزاً بجائزة الآغا خان في دول مجلس التعاون الخليجي الست، كان هناك ٩ مشاريع سعودية، ستة منها في الرياض وهي من مشاريع الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض.

كما صمّمت الهيئة وبنت أيضاً المجمع السكني الخاص بموظفي وزارة الخارجية في حي المحمدية على بعد ١٢ كيلومتراً شمالي وسط المدينة. وكان هذا المشروع الرائد الأول من نوعه في تخصيصه حيّزاً كبيراً للمشاة. إذ قام هذا المجمع وسط مجموعة أزقة متفرعة من الطرق الرئيسية المحيطة به، والتي شكّلت الفضاءات المفتوحة والأفنية لكتل من البيوت المنفردة أو نصف المنفردة. وأسس ذلك نموذجاً ناجحاً لتخطيط الأحياء السكنية للحقاً في الرياض وغيرها من مدن المملكة مثل المدينة المنوّرة، وأيضاً في المدن الصغيرة والمتوسطة من خلال وزارة الشؤون البلدية والقروية.

واستناداً إلى المخطط التوجيهي لمدينة الرياض، فقد تم ترتيب حي السفارات ليؤمن «الموضِع الملائم للدبلوماسية العالمية»، وإضافة الى هذه الغاية الأولية، كان عليه أيضاً أن يشكل لاحقاً نموذجاً للتطوير العمراني في العاصمة، ويحفِّز على العودة الى الجذور الإسلامية والتقليدية في مجال التصميم. وساهم في تحقيق الهدف نفسه مشروع إسكان موظفى وزارة الخارجية.

كان للاستحسان الذي لقيته مشاريع الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض أثر إيجابي آخـر. فقد غـذّت وألهمت جـيـلاً جـديـداً من

المخططين السعوديين الموهوبين، الذين قادوا لاحقاً العودة الى استخدام عناصر وأساليب تقليدية تنتمي بشخصيتها المعمارية الى التراث النجدي، كما يظهر في حي السفارات.

فمفاهيمهم والتصاميم والتقنيات التي ظهرت في هذه المشاريع، أثمرت أبنية ومجمّعات حظيت بالتقدير العالمي والجوائز. ومن خلال التمسك بتقاليد فن التصميم المحلي في نجد وروح فن العمارة الإسلامية والنجاح في توليفهما ضمن تركيبة عملية ومعاصرة، فإنهم وضعوا أسس المشاريع المستقبلية التي تستمر في رسم ملامح العاصمة الحديثة.

ساعد انتقال وزارة الخارجية والبعثات الدبلوماسية الى الرياض على تعزيز مكانة المدينة ودورهـا القيادي كعاصمة للمملكة ومركزاً لمؤسساتها الإدارية.

وثمة تطور رئيسي ومشروع عملاق كان يخطط له في الوقت نفسه، وهو بناء مطار دولي ذي مستوى عالمي لخدمة العاصمة وتحقيق المأمول من الطيران المدني، وجاء هذا القرار في وقته المناسب في أواخـر التسعينيات الهجرية/ سبعينيات القرن العشرين، عندما راحت الضوابط الحصرية الخاصة بالنقل الجوي تتفكك بسرعة وسط نمو هائل في صناعة الطيران، وساعدت امكانيات النقل الجوي على تحقيق المزيد من الانفتاح على البلاد الشاسعة، واستفادت من موقع العاصمة الاستراتيجي، وافادت بشكل ملموس نمو الرياض التي تبوأت مكانتها كبوابة إقليمية وعالمية.

وحفّرت مساحة المملكة الكبيرة وديمغرافيتها على نمو النقل الجوي سريعاً كوسيلة تواصل ما بين مجتمعاتها المتباعدة. والخطوط الجوية العربية السعودية التي ترفع شعار المملكة الشهير منذ أن تأسست عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م كوكالة تابعة لوزارة الدفاع، استفادت من الحق الحصري في النقل الداخلي، وكانت الناقل الوحيد للرحلات المنتظمة في مطار الرياض.

وساعدت هذه الخطوط الجوية الوطنية على ربط المدن السعودية النائية ببعضها البعض، ونقل ملايين الحجاج، ثم ربط المملكة بالدول العربية المجاورة والعواصم العالمية.

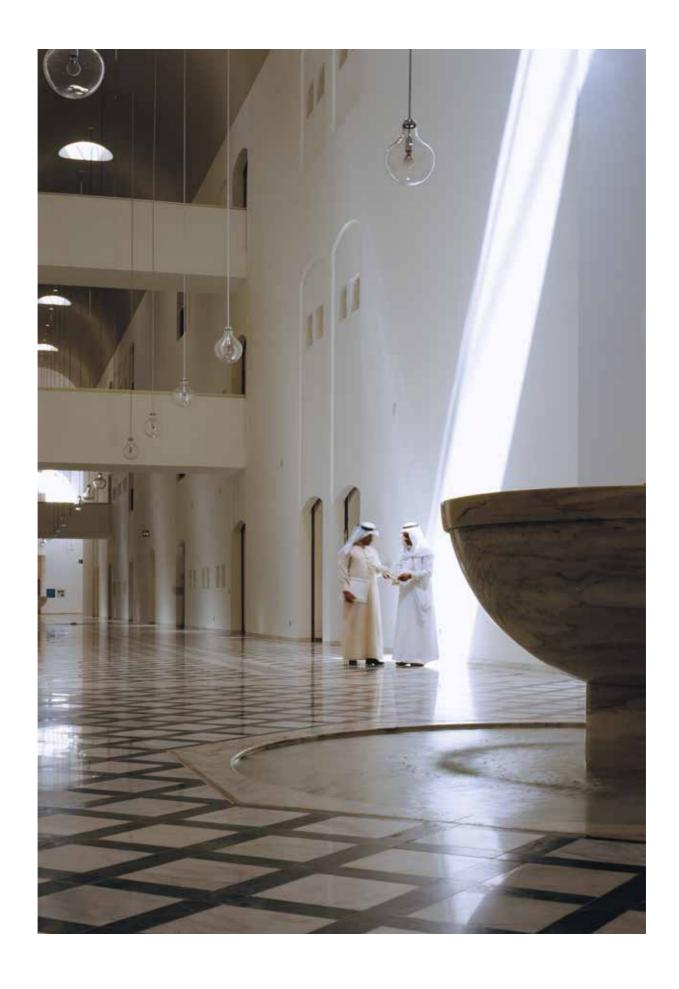
كانت خطوط جوية أجنبية عديدة تتمتع بحق استخدام مطاري الظهران وجدة، فيما كانت الرحلات الجوية من الرياض واليها حقاً حصرياً للناقل الوطني. وفي عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، تقرر



مطار الملك خالد الدولي الذي افتُتح عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م. وقد عمل على إنشائه نحو ١٤,٠٠٠ عامل، أي أكثر مما كان عليه كل سكان الرياض قبل سبعين سنة.

الصفحة المقابلة

الصفحة الممابلة يتكشّف داخل مبنى وزارة الخارجية عن بهو وحوض ماء وعدد من القاعات الكبيرة والفضاءات التي تمثل ترجمة حديثة للعمارة التقليدية ومفاهيم التخطيط الإسلامي بشكل عام. وهذا المبنى هو من تصميم هيئة تطوير الرياض، وقد حاز على جائزة الآغا خان للعمارة الإسلامية.





الفضاءات العامة في حي السفارات تستلهم بشكل إبداعي تقاليد التصميم النجدي وروحية العمارة الإسلامية. وقد نجح هذا المشروع في إرساء جملة اعتبارات ومعايير في العمارة والتصميم والتخطيط لا تزال مستمرة في صياغة ملمح العاصمة الحديثة.

إنشاء مطار دولي جديد للعاصمة أطلق عليه اسم مطار الملك خالد الدولي.

فمنذ افتتاح المطار الأول في الرياض عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، كانت حركة المسافرين من العاصمة وإليها تنمو باستمرار، ولكنها بقيت ضمن الحق الحصري للخطوط الجوية العربية السعودية. وفي عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، مرّ نحو مليون مسافر بمطار الرياض الذي بدأ يستنفد بسرعة قدرته الاستيعابية.

وكان من أولويات عمل مخططي المطار الجديد، أن يأخذوا في حسبانهم النمو الهائل المرتقب في حركة النقل الجوي. ففي عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ارتفع عدد المسافرين عبر مطار الرياض إلى ٧ ملايين، كما أن حركة الشحن نمت أيضاً بوتيرة أسرع من ذلك. وكان من المتوقع أن تتضاعف هذه الأعداد مرتين بحلول نهاية القرن العشرين.

فبدأ تخطيط المطار الجديد على أرض شاسعة لم يشهد تطوير المطارات في العالم مثيلاً لها من حيث الضخامة. فبمساحته التي بلغت ٢٢٥ كيلومتراً مربعاً وطاقته الاستيعابية التي تبلغ ١٥ مليون مسافر سنوياً، كان هذا المطار أكبر بثماني مرات من المطار القديم الذي بقى قاعدة عسكرية.

تم تدشين مطار الملك خالد الدولي في عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، وفور البدء بتشغيله مُنحت شركات طيران أجنبية حق استخدامه في رحلات منتظمة، وقد انتهى بناء المطار في السنة نفسها التي شهدت انتقال عدة سفارات الى الرياض. فكان هذا المطار، مثل حى السفارات، باكورة مرحلة من المشاريع العملاقة التي صاغت

الصورة المعمارية للعاصمة على مستويات التصميم والرؤية وتقنية البناء والمقاس والجرأة والوقع.

وصِفَ هذا المطار في وقته بأنه «واحة من عصر الفضاء للقوافل النفاثة»، وقد جرى تصميمه بشكل رحب وفي غاية الحداثة تندمج فيه الأقواس الإسلامية التقليدية.

ويظهر ذلك بشكل أكبر في مسجد المطار، فداخله المسدس الأضلاع الذي يتسع لـ ٥٠٠٠ مصل، يحتوي على ستة أعمدة تحمل قبة مضلعة يبلغ قطرها ٣٣ متراً، ومؤلفة من أكثر من ١٠٠٠ لوح مثلث من النحاس اللمّاع. وفي خارجه الذي يعكس فضاءه الداخلي، يوجد فناء مسدس الأضلاع يتسع لـ ٤٠٠٠ شخص إضافي.

تطلب بناء هذا المطار استخدام نحو ثمانية ملايين قالب من الإسمنت، و٨٦ ألف طن من قضبان الحديد، وأكثر من سبعة ملايين طن من الحصى، وأكثر من ٤٠٨ آلاف طن من الإسمنت رحوم، مليون متر مكعب من الأعمال الأرضية.

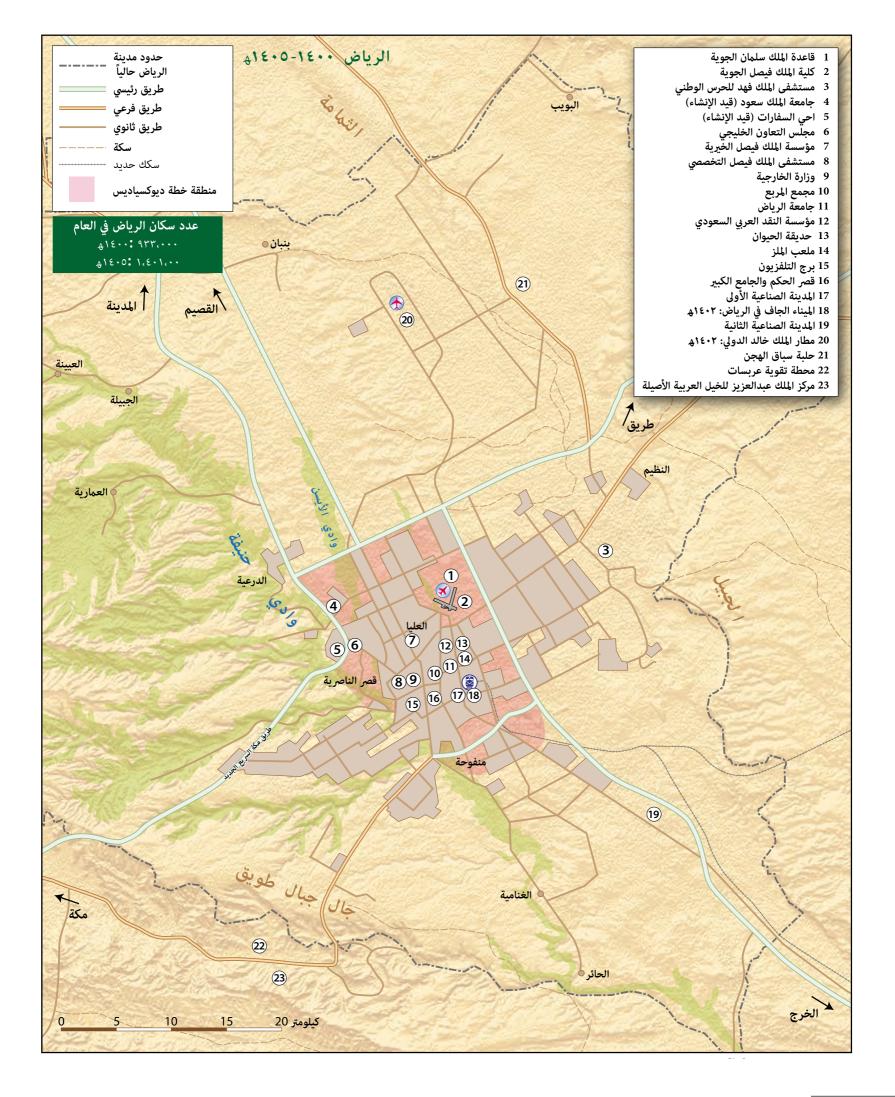
ومن أصل 1٦ عقد عمل لبنائه، عُهد بأكثر من ثلثها إلى شركات سعودية. وكما هو الحال في حي السفارات، كان تخضير المطار على جانب كبير من الأهمية. فاستخدم في تنسيق المواقع داخل محطاته وخارجها ما يقدر بنحو ٧٥٠ ألف نبتة، تضمنت ٣٠٠ نوع من الأشجار والشجيرات والزهور والنباتات الزاحفة. وفي فترة ذروة الأشغال، كان عدد العاملين في مشروع مطار الملك خالد الدولي يصل إلى ١٤ ألف شخص، تم اسكانهم في مجمّع مؤقت أنشىء للجلهم، وفاق هذا العدد ماكان عليه عدد كل سكان الرياض قبل

الصفحة التالية

جامع الكندي وساحة الكندي في حي السفارات وقت الغروب، وعائلات تستمتع بهذا الفضاء العام خلال عطلة الأسبوع، في صورة ملتقطة من مقر الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، الجهة التى صُمِّمت وتدير هذا الحى.







١١ | العاصمة تتوسع

في أواخـر التسعينيات الهجرية/ سبعينيات الـقـرن الميلادي الماضي، شهدت الرياض نمواً غير مسبوق في ضخامته. فقد تضاعف عدد سكانها إلى نحو مليون نسمة خلال السنوات الأربع السابقة لعام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، وتضاعف تسجيل السيارات ١٠ مرات عما كان عليه قبل ٦ سنوات، كم كان استهلاك الكهرباء فيها يرتفع بنسبة ٥٠٪ سنوياً، وهو أعلى معدل نمو في العالم. فما من مكان آخر عرف توسعاً بالسرعة التي عرفها شمال الرياض، حيث كانت حدود المدينة تتمدد بمعدل ٢٠٠ متر كل شهر.

ففي عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، كان الحي السكني الجديد في السليمانية غربي المطار القديم في الرياض، يشكل حدّ المدينة. بعد ذلك بخمس سنوات، صار بامكان الواحد أن يقود سيارته لمسافة ١٢ كيلومتراً بعد السليمانية من دون أن يغيب العمران عن نظره.

كانت الرياض الجديدة تتمدد عل شكل موجات من النمو تتشكل بموجبها أحياء سكنية وتجارية جديدة، لكل منها متاجره ومراكزه للتسوق وبنيته التحتية ومدارسه وخدماته ومساجده. ففي معظم مدن العالم يتذكر السكان ما كانت عليه الأمور قبل عقد أو عقدين من الزمن.

أما في الرياض فقد كانت الأمور التي فات عليها عام واحد مثيرة للحنين إلى الماضي. وشهد مسار التنمية ضغطاً دراماتيكياً إلى درجة أن العاصمة باتت خاضعة في الوقت نفسه للتمدد من جهة، ومن جهة أخرى للضغط المتمثل بوجوب إعادة الألق إلى المناطق الداخلية القديمة التي كانت قدأهملت سابقاً وتدهورت أحوالها.

وبصفتها مسؤولة عن تخطيط وتصميم وتنفيذ المشاريع التطويرية في العاصمة، أطلقت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض برنامجاً رائداً وضخماً لتطوير شبكة الطرق، ومشاريع لإدارة المرور في المدينة. كما كانت هناك مشاريع تطويرية مهمة نتيجة مبادرات متعددة من القطاعين العام والخاص، ساعدت على تشكيل صورة جديدة للمدينة وتنمية نسيجها الاجتماعي، وفي طليعتها المشاريع التي توفر المزيد من فرص التعليم للصغار والشبان من السكان المتزايدين بكثرة، وأيضاً مرافق العناية الصحية لمنفعة الجميع. وقد لعب القطاع الخاص وقطاعا المال والتجارة الناشئين دوراً مهماً في تشكيل شخصية معمارية جديدة للمدينة.

كانت الجامعة الأولى في المملكة قد تأسست في العاصمة عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٧٧م، تحت اسم جامعة الرياض، وكانت عبارة عن كلية للآداب تضم ٩ أساتذة و٢١ طالباً فقط. وفي عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م،

أضيفت اليها كليات للعلوم والصيدلة والتجارة والزراعة والهندسة والطب، لتصبح بذلك أكبر جامعة في البلاد ذات ٦٠٠٠ طالب و٣٠٠ أستاذ.

ولم يكن لهذه الجامعة حرم واحد، بل كانت كلياتها مبعثرة حول طريق الجامعة في ضاحية الملز. ولكن مع تنامي عدد الطلاب بسرعة، تمّ اعتماد مخطط توجيهي يقضي ببناء مجمع جديد للجامعة التي تغير إسمها في عام ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، إلى جامعة الملك سعود، كان هذا المشروع في حينه أضخم مشروع بناء واحد في العالم، عمل عليه ١٢ ألف عامل من ٢٣ دولة، وبلغت مساحته الإجمالية ٩ كيلومترات مربعة، واكتمل بناء هذا المجمع الذي سيحتضن في ذلك الوقت أكثر من ١٥ ألف طالب في الوقت المحدّد عام ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

تضمن تصميم الجامعة ملامح مستوحاة من الأشكال التقليدية المحلية: مواد الكسوات الخارجية باللون البني الفاتح، والواجهات ذات الفتحات العميقة والمظللة، والأسطح المستوية واصطفت كليات الجامعة على امتداد ٣ خطوط، واتصلت ببعضها من خلال ممرات مغطاة، ومظلات محمولة على أعمدة وأقواس تشبه النخيل. ولإضافة المزيد من الفخامة على التصميم المعماري الضخم، تضمن تزيين جامعة الملك سعود عدداً من المنحوتات المهمة، وأجريت أعمال تزيينية لفضاءاتها العامة. وجاء التزيين مؤلفاً بشكل رئيسي من نسيج محاك في مصانع مختلفة من العالم، ليشكل أضخم وأجرأ استخدام للسجاد الجداري في العالم بعد عصره الذهبي في القصور الفرنسية خلال القرن الثامن عشر. وأمام مباني الكليات، ارتفع ١٦ مجسماً معدنياً مستوحىً من الأدوات العلمية التي اخترعها العرب.

وتأسست جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بموجب مرسوم ملكي صدر عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، بجمع الكليات الحكومية للفقه والشريعة واللغة العربية والتي كانت قد تأسست في العاصمة بدءاً من عام ١٣٠٣هـ/ ١٩٥٣م. وفي عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، وضع الملك فهد رحمه الله، حجر الأساس لمجمع جديد لهذه الجامعة في شمال شرق المدينة باتجاه المطار الجديد، وصمّمت كليات جامعة الإمام بحيث تتصل ببعضها حول أفنية مركزية.

وجاء هذا التصميم مختلفاً جداً عما هو عليه الحال في مجمع جامعة الملك سعود التي تغطي مساحة تناهز ١٠ كيلومترات مربعة، وحيث الانتقال من مبنى إدارة الجامعة إلى أبعد كلية عنها يتطلب المشي مسافة كيلومترين.

الصفحة التالية

بالتطلع جنوباً من ميدان القاهرة على طريق الملك فهد، يظهر مبنى وزارة الداخلية في الوسط، وخلفها إلى الجنوب الشرقي المدينة الصناعية الجديدة، وإلى الجنوب أبراج الخالدية المستديرة. وقد تحقق معظم هذه التطورات العمرانية في العِقدين اللخيرين من القرن العشرين الميلادي.







تبلغ مساحة جامعة الملك سعود أكثر من عشرة كيلومترات مربعة، وقد بُنيت في مدة لم تتجاوز الأربعين شهراً لتفتح أبوابها في عام ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م لأكثر من ١٥٠٠٠٠ واللب. وتنتظم كليات الجامعة في ثلاثة خطوط رئيسة، وتتصل ببعضها بممرات مسقوفة.

وإضافة إلى هذين المجمعين الجامعيين الرئيسيين، تمّ إنشاء المباني الخاصة بمعهد الإدارة العامة. واستمرت المدارس بالتكاثر في المدينة لاستيعاب الزيادة الضخمة في أعداد الطلاب.

وقامت أيضاً صروح طبية مهمة في العاصمة. فقد احتضنت جامعة الملك سعود مستشفى تعليمياً بسعة ٨٠٠ سرير وكليتين لطب الأسنان والصيدلة. وفي عام ١٣٩٥هــ/ ١٩٧٥م، افتتح مستشفى الملك فيصل التخصصي الذي سرعان ما انتزع اعترافاً عالمياً بوصفه صرحاً طبياً حديثاً من الدرجة الأولى، وكنموذج لمستقبل العناية الصحية في المملكة.

وبعد ذلك بوقت قصير، افتتح مركز لأبحاث السرطان في المستشفى نفسه. وفي عام ١٤٠٢/ ١٩٨٢م، افتتح مستشفى المسك خالد للعيون، وهو أول مستشفى في المملكة مكرّس بالكامل للعناية المتخصصة بالعيون، وقدّم خدماته لكل منطقة الشرق الأوسط، وحاز على الاعتراف العام بتميّزه في هذا المجال. وبحلول عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، كان عدد المستشفيات في الرياض قد وصل إلى ١٩ مستشفى.

وفيما كانت أعمال المشاريع الكبرى منتشرة حول العاصمة، راحت المباني والمجمّعات الحديثة تفرض نفسها على خط أفق المدينة المتوسع، فخلال الأعوام الـ ١٠ التي تلت عام ١٣٩٧هـ/

۱۹۷۷م، كانت الرياض تشهد إصدار ما معدله ۱۱۵۰۰ رخصة بناء كل عام.

وشهدت بداية القرن الهجري الجديد/ الثمانينات الميلادية، أيضاً ظهور مؤسسات خيرية سعودية اتخذت من الرياض مقراً لها. ففي عام ١٩٨٢م، تم تأسيس مؤسسة الملك فيصل الخيرية، وتشكّل مقرها من برجين مثلثي القاعدة، يتكون كل منهما من ١٥ طابقاً، ويتصلان ببعضهما من خلال ممرين علويين. وتضمنت المرحلة الثانية من إنشاء هذه المؤسسة، والتي تمّ تدشينها بعد بضع سنوات، بناء مركز للأبحاث صممه المهنس المعماري الياباني المشهور عالمياً كينزو تانغي بأسلوب حديث، وضمّنه أيضاً ممراً علوياً يذكر بالمعلم التاريخي الذي كان قائماً بين جامع الإمام تركي بن عبدالله وقصر الحكم.

وإضافة إلى دعمها للدراسات التي يقوم بها البحّاثة الزائرون، تمكنت المؤسسة من تكوين مجموعة من المخطوطات العربية والإسلامية لا تقدّر بثمن، وأنشأت مركزاً لحفظ الوثائق وترميمها. وشكّل مسجد المؤسسة ظهور نمط معماري جديد في بناء المساجد في المدينة بفعل شكل مبناه الأسطواني المقطوع بزاوية معينة في أعلاه ليحل بذلك محل القبة ويسمح بدخول ضوء النهار اليه، والمميز أيضا بمئذنته البسيطة والعالية ذات القاعدة المربعة.

وفي عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، أطلقت المؤسسة «جائزة الملك فيصل العالمية» المرموقة، التي تمنح سنوياً « لمكافأة الأفراد والمؤسسات على انجازاتهم الفريدة». وتتوزع جوائز المؤسسة على ٥ حقول، هي: خدمة الإسلام، الدراسات الإسلامية، اللغة العربية وآدابها، العلوم، والطب. وحتى اليوم، تتصدر قائمة الدول الفائزة بهذه الجائزة الولايات المتحدة الأمريكية، مصر، المملكة المربية السعودية.

في عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، اكتمل بناء إستاد الملك فهد الدولي عند تخوم العاصمة لجهة الشمال الشرقي، وكان أول ملعب دولي في الرياض يطابق المواصفات المحددة من قبل الاتحاد الدولي لكرة القدم، وبسعة ٧٠ ألف متفرج، الأمر الذي يعكس الشعبية الهائلة لكرة القدم في المملكة.

وجـاء تصميم الملعب كتحفة معمارية في تصميم الخيام وبنائها، إذ بنى سقفه من مجموعة وحدات على شكل خيام من

نسيج الألياف المكسوة بمادة التيفلون والمشدودة بالكابلات الفولاذية، وقبل ذلك، كانت مباريات كرة القدم تقام على ملعب الملز الـذي يتسع لأكثر بقليل من ٢٠ ألف متفرج، والأندية المحترفة لهذه اللعبة في الرياض هي ثلاثة: الشباب وهو أقدمها إذ تأسس عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م، والهلال والنصر المتنافسان دائماً في العاصمة، ولكل من هذه الأندية جماهيرها المشجعة والمخلصة لها.

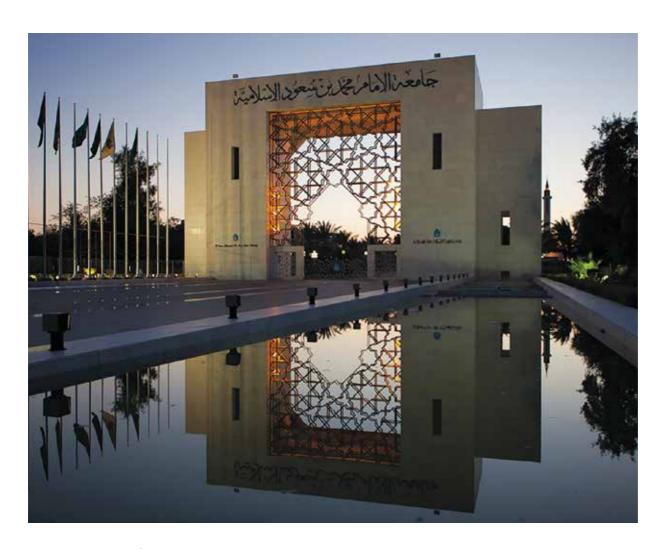
ظهر مبنى وزارة الداخلية الجديد الذي اكتمل بناؤه عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، كمعلم عمراني مستقبلي، بتصميمه على شكل هرم مقلوب تعلوه قبة، وكانت الوزارة هذه قد تأسست عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥٥م، وانتقلت إلى الرياض عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م لتستقر بجانب الوزارات الأخرى على طريق المطار.

ومع انتقال السفارات الأجنبية إلى حي السفارات في العاصمة وبدء الخطوط الجوية الأجنبية رحلاتها إلى مطار الملك خالد الدولي، كان هناك انتقال مشابه لمقرات المصارف الرئيسية ومركز الثقل المصرفي والمالي من مدينة جدة، بوابة الحج والميناء الاقتصادي، إلى العاصمة، وهكذا انتقلت إلى الرياض عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م مؤسسة النقد العربي السعودي الرياض عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧١م كمصرف مركزي التي كانت قد تأسست عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥١م كمصرف مركزي للمملكة، واستقرت أولاً في مبنيين جديدين على طريق المطار، وصمم المهندس المعماري مينورو ياماساكي هذا المقر الأولي على شكل برجين متماثلين تماماً يتألف كل منهما من ١٠ طوابق.

وسرعان ما بدأ للحقاً بناء مقر جديد لمؤسسة النقد في شارع المعذر قريباً من وزارة الداخلية. وبني المقر الضخم الجديد الذي تبلغ مساحته نحو ١٠٠ ألف متر مربع، حول فناء داخلي مضاء طبيعياً. وبناء هذا الفناء الداخلي الضخم والخالي من الأعمدة تضمن تحديات هندسية كبيرة في ما يختص بالأجزاء الخرسانية المسبقة الصنع. واحتوى المقر الجديد أيضاً على متحف النقد الذي تتوزع معروضاته على خمس قاعات لتروي قصة النقد السعودي، واعتماد النقد الورقي في عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ومن بين معروضات المتحف درهم من الفضة ضُرب في اليمامة عام ١٦٥ للهجرة.

ومن المباني الأخر المرتبطة بتطور دور قطاع الخدمات المالية في العاصمة خلال الثمانينيات، هناك المقر الرئيسي لبنك الرياض المؤلف من ٢٠ طابقاً قرب وسط المدينة القديم، والمرحلة الثانية من بناء مقر المؤسسة العامة للتأمينات اللجتماعية.

في عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢، وضع الملك فهد حجر وضع الملك فهد حجر الأساس لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المدينة قرب الطريق إلى مطار الملك خالد الدولي. وبخلاف جامعة الملك سعود، فإن مجمع هذه الجامعة متراض، وتتجمع أبنية كلياتها حول باحات مركزية.

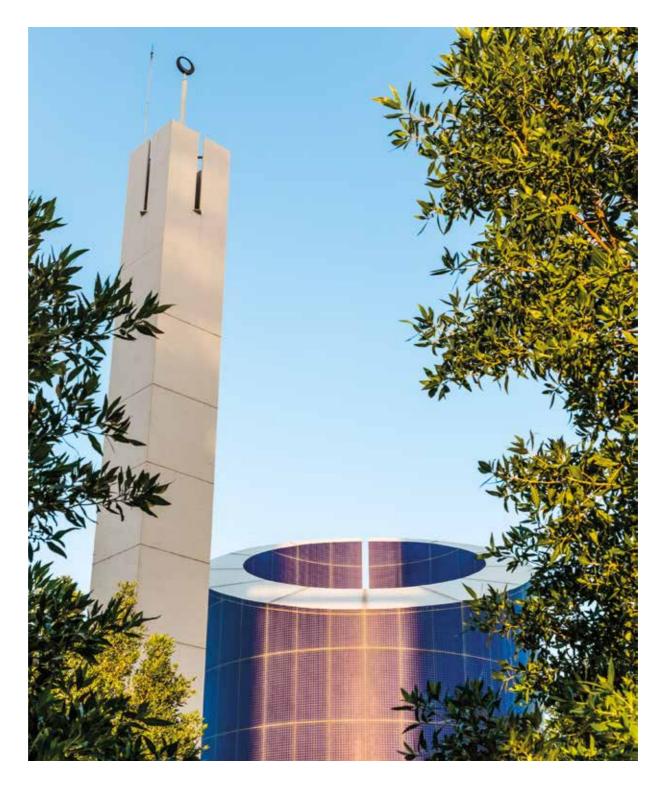


وهذا المقر الذي صممه نبيل فانوس وباسم الشهابي، جميل وعصري الشكل ويتألف من شبه مكعبات متداخلة ببعضها، وانتهى بناؤه عام ١٩٣٦هـ/ ١٩٧٦م. أما توسعته المضافة إليه بعد ا سنوات فجاءت مختلفة مع التصميم الأول، بسبب اعتماد الزجاج العاكس على مدى الأدوار الستة في المبنى المثلث الشكل، وذلك لتنعكس عليه صورة القسم الأقدم.

في تلك الفترة، بدأ يشيع استخدام العناصر التقليدية في مشاريع البناء في الرياض. فمبنى الصندوق السعودي للتنمية المؤلف من ستة أدوار، هو مبنى مكاتب حديث، تنعكس عليه ملامح العمارة التاريخية والجذور التاريخية، إذ استمد شخصيته المعمارية من الأبنية التاريخية في الرياض والدرعية.

فشكّلت تعبيراته الخارجية وترتيبات أقسامه الداخلية بدورها مصدر إيحاء لعدد من المشاريع اللاحقة، فقد قام هذا المبنى وفق مفهوم البيت التقليدي المنطوي على نفسه من خلال بهو مركزي ذي سقف زجاجي، تتوزع حوله الغرف والقاعات، ومن العناصر الأخرى التي تعكس الطراز النجدي هناك النوافذ الطولية، وصفوف الفتحات المربعة الصغيرة في أعلاه، والملامح التزيينية على طول سطح المبنى.

وخلال فترة النمو الاستثنائية هذه، خطّط المهنسون في الرياض شوارع وطرقاً سريعة وشقوها لوصل الأحياء الجديدة ببعضها، وسعياً إلى تخفيف الازدحامات المرورية. في البدء، أي خلال السبعينيات، تركزت الجهود على تحسين أداء الطرق.



شهدت ثمانينيات القرن العشرين الميلادي بروز عدد من المؤسسات الخيرية الجديدة في العاصمة. وفي الصورة مؤسسة العليّا، المتميّزة بهندستها المعمارية، وبالتصميم المبتكر لمسجدها المستديرة المثلة، وبالفتحة المستديرة التي حلّت محل القبة في السقف لإنارة

وكانت فرق العمل تمد الجسور العلوية ذات الأطر المعدنية خلال أسابيع لتلافي الاختناق المروري على طول طريق المطار وبعض الطرق الأخرى المزدحمة التي صارت تقع ضمن المدينة المتوسعة بسرعة. وسرعان ما تبع ذلك عدد من مشاريع الطرق الكبيرة، تضمنت شق شرايين مواصلات رئيسة وطرقاً سريعة داخل المدينة اعتماداً على أحدث ما توصل اليه تصميم الطرق وتقنياته، وأيضاً، ولأول مرة، إنشاء معابر رئيسية باستخدام ألواح الخرسانة، والأنفاق الطويلة، وطرق الخدمة، والتقاطعات، والممرات المنحدرة. وتم تصميم هذه المشاريع الجديدة لخدمة والممرات المنحدرة. وتم تصميم هذه المشاريع الجديدة لخدمة

المتنقلين في حركتهم اليومية داخل المدينة، مع الأخذ بعين الاعتبار نمو أعدادهم في العقود التالية.

شكل طريق الملك فهد من الشمال إلى الجنوب، وطريق مكة من الشرق إلى الغرب، المسلكين الرئيسيين اللذين يجتازان المدينة ويصلان أنحاءها بالطريق الدائري الأول، كما أن الاعتناء بتخطيط المناظر الطبيعية والمساحات المزروعة المحاذية لطرق الخدمة وتلك الواقعة عند التقاطعات وغيرها، شكّل عنصراً مهماً في مشروع بناء طرق المدينة الطموح، وفي مسعى



شكّل مبنى وزارة الداخلية الذي اكتمل إنشاؤه في عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، معلّماً عمرانياً مدهشاً بتصميمه على شكل هرم مقلوب تعلوه قبة. وكانت وزارة الداخلية التي تأسست في عام ١٣٧١هـ / ١٩٥١م، قد انتقلت في عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م من جدّة إلى الرياض، وكان مقرّها الأول في العاصمة قرب باقي الوزارات على طريق المطار.

لتوفير وسيلة نقل عـام للمواطنين وتخفيف الازدحــام في العاصمة، تأسست الشركة العربية السعودية للنقل الجماعي (سابتكو) عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م،وبدأت نشاطها بأسطول كبير من

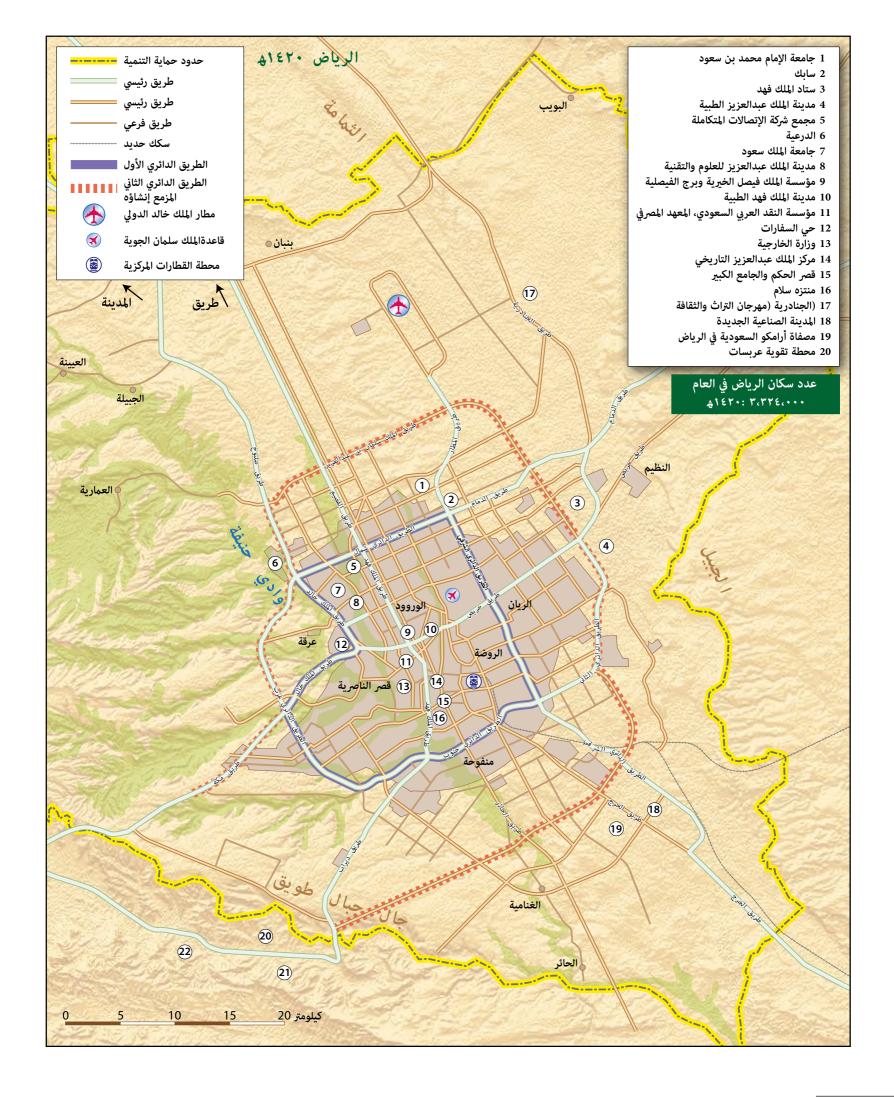
ومع الحذر من التداعيات التي قد تنجم عن انفصال المدينة عن جذورها التاريخية بسبب نمو الرياض بهذه السرعة قادت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض المبادرات الهادفة إلى اعتماد عناصر عصرية تتشكّل في أطر تقليدية وتراثية في مسار التخطيط

الحضري والتطوير، وتطبيق التصاميم والمقاييس التقليدية بطريقة واقعية ومفيدة.

وبنجاح أول مشاريعها العملاقة، تعززت الثقة بمستقبل العاصمة ودورها كمدينة عربية وإسلامية نامية بسرعة، وذات تأثير قيادي على محيطها. وهـذا مـا شجع على ظهور حركة ستبدع خلال العقود التالية في اعتماد أوجه تقليدية وتراثية في التطوير المدني والتصميم والبناء، وتشكيل عناصر جديدة في المعمار على المستوى الإقليمي.



في عام ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، اكتمل بناء استاد الملك فهد الدولي، ليكون الأول في الرياض المطابق لمواصفات الاتحاد الدولي لكرة القدم، بسعة ٧٠,٠٠٠ متفرج. واتخذ تصميمه شكل خيام مصنوعة من ألياف زجاجية مطلية بمادة التفلون، ومثبّتة بواسطة كابلات من الفولدذ.



۱۲ | قلب جدید للعاصمة

تضمن إنشاء حي السفارات ومبنى وزارة الخارجية الجديد ومجمّع إسكان موظفيها تصاميم هندسية حديثة وعناصر معمارية تقليدية، وتزامنت هذه المشاريع مع مشاريع ضخمة أخرى ولكن ليس فوق أراض كانت خالية كما هو حال حي السفارات. إذ أن نجاح هذه المشاريع استدعى الالتفات إلى المناطق المبنية سابقاً لإعادة تطويرها.

فموجات النمو والتوسع التي أعقبت اكتشاف النفط وبدء عصر الرخاء في المملكة، تسببت بتراجع أهمية القلب التاريخي للعاصمة، إذ هجرت عائلات سعودية عديدة بيوتها التقليدية، وانتقلت إلى السكن في الضواحي الجديدة وأراضٍ أرحب خارج وسط المدينة. وخلال فترة قصيرة، تدهورت أحوال الكثير من البيوت الطينية لافتقارها إلى الصيانة، وسرعان ما أصبح بعضها خاوية تماماً وتهدم.

أدى القلق المتزايد من هذه الخسارة، إلى الإحساس بوجوب حماية المباني المتبقية التي تمثل ما كانت عليه الرياض التاريخية كمدينة مسوّرة، وبدء العمل على حمايتها. كما أن المخططين والمهندسين المعماريين في الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض أخذوا بعين الاعتبار احتمالات إعادة الإعمار وفق أساليب البناء القديمة وتقنياته.

فساحة الكندي في حي السفارات الحائزة على جائزة الآغا خان للعمارة، أظهرت أنه من الممكن اعتماد أشكال وتصاميم تقليدية في العمارة المعاصرة بحيث تعكس التراث النجدي، وأيضاً التخطيط التقليدي للمدينة الإسلامية. وكان لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، حينما كان أميراً لمنطقة الرياض ورئيساً للهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، واهتمامه بالحفاظ على تاريخ المملكة وتراثها، دوراً كبيراً في التحفيز على العمل لإبقاء الروابط مع الماضي، ونشر الوعي بأهمية استمرار الصلات ما بين فن العمارة والنسيج المدني المحيط به. وسرعان ما تحول التأكيد على هذا الجانب إلى جزء أساسي من الرؤية المستقبلية لمدينة الرياض.

في قلب الجهد المبذول لهذه الغاية، كان هناك إثنان من مشاريع الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض واحداً منهما كان في قلب المدينة القديمة، والآخر خارجه، ولكن قريباً جداً منه، في منطقة حي المربع، حيث شهدت الرياض سابقاً أول توسع خارج أسوارها في عهد الملك عبدالعزيز.

استهدف المشروع الأول منطقة قصر الحكم في النواة التاريخية للرياض القديمة. وبدأت المرحلة الأولى منه بالفعل عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ولكنها كانت محدودة الحجم. وذلك عندما فاز المهندس المعماري الإيطالي فرانكو ألبيني ومكتبه «ستوديو دي أرشيتكتورا» بمسابقة لتصميم ثلاثة أبنية حكومية في وسط المدينة. فعلى الرغم من أن هذه المنطقة كانت القلب التاريخي للحكم السعودي وحكومته عندما كانت الرياض عاصمة الدولة السعودية الثانية، فإن كل الأبنية الأصلية القديمة، باستثناء قصر المصمك كانت قد هُدِمت بحلول أواخر السبعينيات الهجرية/ خمسينيات القرن العشرين.

تضمنت المهمة الموكولة إلى مكتب ألبيني تصميم مباني إمارة منطقة الرياض، والأمانة، وشرطة المنطقة في هذه المنطقة المركزية. ولكن تصاميم ألبيني جاءت مفتقرة للعناصر المحلية والتقليدية. وكان هناك قلق من تركيز تصاميمه على الحداثة، على حساب إبراز البعد التاريخي المهم للمنطقة وتراثها. على كلٍ، كانت هذه المبادرات المبكرة دافعاً للإطلاق عجلة المرحلة الثانية التي كانت أكثر طموحاً وأدرى بعملية إعادة تأهيل الرياض القديمة.

فتم تكليف «مجموعة البيئة الاستشارية» بمراجعة وتطوير تصاميم ألبيني الأصلية للمباني الثلاثة، الأمر الذي أفضى إلى الإبقاء على بعض العناصر الحداثية، ولكن جرى تعديل الفضاءات الداخلية، كما أضيفت عناصر من العمارةالتقليدية النجدية إلى واجهات هذه المباني.

في عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، تم التعاقد مع المجموعة نفسها لتنفيذ المرحلة الثانية والكبرى من المشروع: «تطوير منطقة قصر الحكم بكاملها». وكانت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض هي الجهة المسؤولة عن هذا المشروع الطموح أكثر من السابق، إذ بات يهدف إلى تطوير قلب المدينة التاريخي بشكل كامل.

وشمل ذلك جامع الإمام تركي بن عبدالله الذي سبق أن أعيد بناؤه بالإسمنت في عهد الملك سعود، والمباني الحكومية، والساحات العامة والأسواق. وإضافة إلى ذلك، كان على المشروع أن يحافظ على قصر المصمك التاريخي ويطّور ساحة عامة واسعة أمامه.

فتميز المخطط التوجيهي لهذا المشروع بحرصه على الجوانب التاريخية والقيم التقليدية والتراث الثقافي. وكان على هذا القلب التاريخي المعاد تطويره أن يرد الحيوية إلى المنطقة. وبالفعل، فقد أعاد المشروع لقلب العاصمة منزلته كقلب للحياة السياسية والثقافية والإدارية، وأيضاً كمركز تجارى حيوى وناشط.

الصفحة التالية

بدأت المرحلة الكبرى من مشروع تطوير منطقة قصر الحكم في عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، وشمل هذا المشروع الطموح كل الوسط التاريخي للعاصمة، بما في ذلك إعادة بناء جامع الإمام تركي بن عبدالله.





حصن المصمك المرقم والمواجه لساحة عامة واسعة، هو من المعالم الكبرى التي طالها مشروع إحياء القلب التاريخي للعاصمة، الذي التزم العناية القصوى بالميراث التاريخي والقيم والتقاليد والتراث

أعيد بناء جامع الإمام تركي الكبير فوق موقعه الأصلي، بحيث بات يتسع لنحو ١٧ ألف مصلٍ، وفي جانب بارز آخر، أعيد بناء قصر الحكم الذي كان مقر إقامة الملك عبدالعزيز ومكتبه، وسبق ترميمه غداة استعادة الرياض، فوق موقعه الأصلي ووفق الطراز المعماري التقليدي.

كما تم تصميم وبناء ممرين مسقوفين يصلان قصر الحكم بالجامع الكبير، ويستحضران ذكرى الممر الذي كان قائما في

الماضي ليسمح للحاكم بالمرور من فوق السوق، إضافة إلى ما لذلك من دلالة رمزية على متانة العلاقة والروابط ما بين مقر الحكم والمسجد.

وبموجب هذا المشروع، أعيد أيضاً بناء اثنتين من بوابات المدينة القديمة وجزء من السور وبرج مراقبة فوق مواقعها الأصلية، إضافة إلى عدد من الساحات العامة والأسواق، بحيث بات بإمكان المشاة السير على خطى المسافرين القدماء الذين كانوا يزورون



المدينة، فيصلون أولاً إلى السور، ويدخلون من بوابتها الرئيسية في الثميري، ومن ثم يعبرون الممر المحاذي لقصر المصمك ليصلوا مباشرة إلى قصر الحكم والجامع الكبير المجاور.

شكّلت هذه المرحلة من المشروع، نقلة نوعية في مشاريع تطوير المدينة، وكانت المبادرة الأولى من نوعها على صعيد رد الطابع التقليدي إلى قلب العاصمة، وإعادة تنشيط وسطها التاريخي.

وبشكل عام، فإن قصة هذا المشروع والنجاح البارز في إنجازه، أكدا إمكانية التوفيق بين الالتزام بالقيم والمعايير التقليدية من جهة، ومتطلبات التطور العصرية من جهة أخرى.

كما أن هذا المشروع التطويري الضخم، تمكن من تحقيق الغاية الـمـرجـوة منه والمتمثلة في التعبير عن صـورة المملكة في وجدان مواطنيها وأمام العالم الخارجي. وبهذه الصفة، فهو يعتبر عن حق مشروعاً رائداً ورائعاً في الدلالة





إفطار رمضاني في جامع الإمام تركي بن عبدالله. وقد انتهت إعادة بناء الجامع الكبير هذا عام ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، بأسلوب معماري يستعيد مبادئ العمارة النجدية، ليحلّ محلّ الجامع الذي بُني بالخرسانة في أواسط الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي فوق موقع الجامع الطيني القديم.

على مكانة الثقافة والتراث والتاريخ والعمارة في المملكة المعاصرة.

اكتمل مشروع الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض لتصميم وبناء جامع الإمـام تركي بن عبدالله وقصر الحكم في عـام ١٤١٢هـ/ ١٩٩٨م، وحاز على جوائز عديدة من بينها جائزة الآغا خان للعمارة لعام ١٤١٥هـ/ ١٩٩١م، وجازة منظمة المدن العربية للعمارة لعام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٠م. فمن الخارج، يظهر هذا المجمع كمجموعة أبنية داخل أسوار ذات ملامح تقليدية مثل البوابات والأبراج، أما من الداخل، فإن الأعمدة والأفنية والممرات الضيقة تذكر بالأسلوب التقليدي في استخدام الفضاءات. كما احتوت الأفنية والساحات المفتوحة على نخيل يظللها، ومقاعد غرانيتية وسبل ماء، مما يجعلها مقصداً ملائماً للعائلات.

أما جامع الإمام تركي بن عبدالله فقد تمت كسوته بالحجر الجيري المحلي، فيما تشير مئذنتاه إلى اتجاه القبلة، ويحتوي هذا الجامع على عدد كبير من الملامح المعمارية التقليدية المميزة للمساجد النجدية: أسقف مسطحة، أفنية داخلية، ممرات مقنطرة، ونوافذ ضيقة، وفتحات مثلثة موزعة وفق تشكيلات منتظمة تخفف وهج الشمس.

أما داخله البسيط فيتضمن صفوفاً من الأعمدة التي تتصل ببعضها بواسطة عوارض خشبية مكسوة بالجلد، تتدلى منها مصابيح الإنارة. وبفعل ترداده لأصداء العمارة التقليدية، يعتبر هذا الجامع صلة وصل بين الماضي والحاضر.

كما أنه لم يشيّد كمبنى تذكاري منفصل، بل نراه يحتل مكانه التقليدي كمكان للعبادة مندمج تماماً مع العمران المحيط به.

رأت اللجنة المانحة لجائزة الآغا خان، أن المهندس المعماري راسم بدران قد تمكن من إعادة تشكيل الطابع الخاص لما هو متعارف عليه في العمارة النجدية التقليدية، من دون نسخه بشكل مباشر، كما أنه أدرك أهمية دمج الجامع بالفضاءات المفتوحة بجواره، وأهمية ربطه بالمباني العامة المحاذية لـه، كما لفتت اللجنة إلى أهمية هذا المنجز بالإشارة إلى أن اللهتمام المعلق على هذا الجامع سيؤثر على الأرجح، وبشكل إيجابي، على تصاميم المساجد مستقبلاً في العاصمة وغيرها.

قبيل بدء العمل في المرحلة الثانية والكبرى من مشروع تطوير قصر الحكم، كان المهندسون والمخططون في الهيئة العليا

لتطوير مدينة الرياض قد انهمكوا في مشروع تطويري آخر يقع على بعد كيلومتر واحد إلى الشمال، ويتركز على مجمع قصور المربع الكبير الذي كان الملك عبدالعزيز قد بناه في عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٢م، وشكّل في زمانه التطور الأبرز في مسيرة الرياض باتجاه التوسع خارج أسوارها القديمة.

تضمنت التصاميم الجديدة ترميم بعض الأبنية القديمة، وإعادة بناء غيرها، وخلق منطقة ثقافية واسعة تحيط بقصر المربع الأصلي، وغطى هذا المشروع مساحة ٣٧٠ ألف متر مربع، وشكّل القطب الشمالي والثقافي لوسط المدينة، من خلال اشتماله على المتحف الوطني الجديد، ومركز للأبحاث

والتوثيق، ومكتبة، ومسجد، وحدائق عامة، ومتحف تذكاري خاص بالملك عبدالعزيز.

في قلب هذا المشروع، كان هناك قصر المربع وعدد من الأبنية الطينية الملحقة به، التي تم تجديدها باستخدام المواد التقليدية المحلية تحت إشـراف معلم بناء سعودي يدعى «ابـن قباع»، كما تضمن المشروع إنشاء عـدد من الأبنية الجديدة بالكامل باستخدام العناصر المعمارية التقليدية في نجد. وأطلق على هذه الإضافة الحضارية إلى مدينة الرياض اسم «مركز الملك عبدالعزيز التاريخي»، وحُدد تاريخ انتهاء الأشغال فيه عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩١م، ليتزامن مع احتفالات المملكة بمرور ١٠٠ عام هجرية على

إضافة إلى المباني الحكومية والساحات العامة والأسواق المجدَّدة في منطقة قصر الحكم، تمّ أيضاً ترميم مناطق مختارة ضمن المدينة المسوّرة القديمة، وأعيد بناء بعضها. وقد حاز هذا المشروع على جائزة الآغا خان للعمارة.



تأسيسها الذي يؤرخ له باستعادة الملك عبدالعزيز لمدينة الرياض يوم الخامس من شهر شوّال عام ١٣١٩هـ.

وعندما اكتمل المشروع كانت مساحته تبلغ ثلاثة أضعاف ما كانت عليه كل مساحة الرياض القديمة داخل أسوارها عام ١٣١٩هـ/١٩٠٢م.

كان قصر المربع الأصلي من الضخامة والمهابة عند إنشائه إلى درجة أن زوار الرياض لأول مرة كانوا يظنونه قلب العاصمة. ومن هؤلاء نذكر «فيوليت ديكسون» (الملقبة بأم سعود)، التي زارت الرياض برفقة زوجها هارولد في العام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٧م، آتية من الكويت، وكتبت للحقاً: «بدا من بعيد ما اعتقدت أنه مدينة الرياض: قلعة عظيمة ذات أبراج عديدة تعلو فوق الأسوار وتشرف على أبنية عديدة».

ولكن بعد أن بانت الرياض نفسها وسط بساتين النخيل، أدركت «أن ما شاهدناه لم يكن مدينة، بل القصر الجديد للملك، الـذي كان آنـذاك قيد الإنـشـاء». ومـن ثم تابع آل ديكسون الطريق حتى بـوابـة الثميري، ومنها إلـى قصر الحكم في قلب العاصمة للقاء الملك عبدالعزيز في مكاتبه الرسمية.

شمل تخطيط مركز الملك عبدالعزيز التاريخي، القصر الأحمر، الذي سمي بهذا الاسـم نظراً للونه المميز، وقـد بناه الملك عبدالعزيز ليكون مقراً للأمير (الملك) سعود، وبقي كذلك حتى عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٥٦م، ليتحول بعدها إلى مكاتب حكومية، وأبقى تخطيط المشروع على برج المياه الذي أمر بإنشائه الملك فيصل، وصممه المهندس السويدي سون ليندستروم، وبني في عام ١٩٧١هـ/ ١٩٧١م.

ساعد تطوير منطقة قصر الحكم على إحياء القلب التاريخي للرياض، وحفَّر سكان العاصمة على العودة إلى زيارة الأسواق القديمة في المنطقة وإعادة اكتشافها من جديد.



فعند اكتماله، شكل هذا البرج بهيكله وخطوطه الملونة ملمحاً معززاً لصورة «الرياض الحديثة»، وتحول إلى معلم بـارز من معالمها، ومن قاعة المشاهدة فيه يمكن للمرء أن يطل على المدينة القديمة جنوباً، وعلى الضواحي النامية والمتوسعة شمالاً.

وتضمن تخطيط المنظر العام في مركز الملك عبدالعزيز التاريخي إنشاء حديقة مرتفعة تضم ١٠٠ نخلة ترمز إلى الاحتفال بالمئوية، وشق طريق رئيسي هو طريق الملك سعود، الذي يخترق منطقة المشروع لتسهيل الوصول اليه وتعزيز اتصاله بوسط العاصمة كجزء من ذاكرة المدينة، وأعيد إنشاء عدد من الأبنية طبق أصل ما كانت عليه لأن حالتها ما عادت تقبل الترميم بالكامل، واعتمدت التقنيات التقليدية في أعمال البناء هذه، مثل صناعة الطوب من الطين والقش والماء وتجفيفه بالشمس، لترميم

القصر والمسجد ومبنى المالية بجدرانه الضخمة وعدد من الأبنية القديمة الأخرى التي تشكل جزءاً من المجمّع.

وتحول قسم من قصر المربع القديم إلى «دارة الملك عبدالعزيز»، مركز الدراسات والتوثيق لتاريخ المملكة. وعمل على تصميم حلته الجديدة المهندس راسم بدران، الذي عمل أيضاً على مجمع قصر الحكم في قلب الرياض التاريخي، وبرع في تضمين هذا المبنى صيغة مطوّرة من التفاصيل الجمالية التقليدية المستوحاة من البناء بالطين في المنطقة.

وبشكل مختلف كلياً عما تقدم، تم إنشاء المتحف الوطني المجاور شرقي المربع، حيث يغطي مساحة تبلغ ٢٩ ألف متر مربع، وتميّز المبنى الـذي صممه مكتب «مـوريـامـا توشيما معماريون»، بطابعه المعاصر، في حين أن مظهره الخارجي يبقى

الممر المسقوف المؤدي إلى بيت المال في مركز الملك عبدالعزيز التاريخي. فقد راعى تطوير هذا المركز التاريخي توفير باحات داخلية وساحات وحدائق منسّقة.



يردد أصداء الخصائص المحلية بالشكل واللون. إذ يتصدره جدار من حجر الرياض الجيري، وواجهته المتقوسة واللون الترابي الفاتح مستوحيان بوضوح من الكثبان الرملية، ومن الداخل، يتضمن المتحف مجموعة عدة أقسام لعرض مقتنياته المعبّرة دينياً وأثرياً وثقافياً وعلمياً، بما في ذلك مسيرة توحيد المملكة التي تشغل قاعة من طابقين في المتحف.

تستحضر القاعات الثماني في هذا المتحف تراث المملكة الغني، من خلال معروضات تعود إلى كافة مناطقها وتشكل رحلة عبر الزمن، تغطي كافة مراحل تاريخها منذ القدم وحتى قيام المملكة الحديثة، مروراً بظهور الإسلام.

فقاعة الإنسان والكون تعرض بعض أقدم الدلائل على النشاط البشري في شبه الجزيرة العربية، وفي قاعتي الممالك الإسلامية وما قبل الإسلام، معروضات تشمل طرق التجارة القديمة ونشوء اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، والخط العربي، والشعر الجاهلي، وأيضاً تاريخ القبائل في شبه الجزيرة العربية، بما في ذلك تاريخ اليمامة ووادى حنيفة.

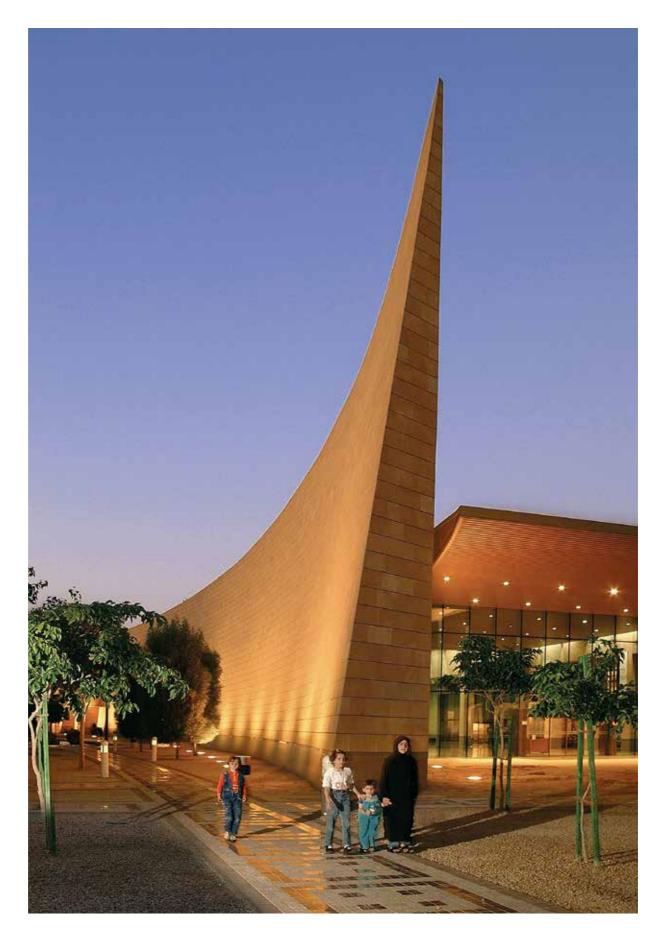
ويصل زائر المتحف إلى قاعة البعثة النبوية، وعبر جسر للمشاة يحاذي فناءً يصل جناحي مبنى المتحفيمر بقاعة الهجرة النبوية، وينفتح على قاعة تستعرض نشوء الإسلام وانتشاره، وتسلط

الضوء على سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلّم، وحياته ونسبه، والمحطات الكبرى في حياته منذ ولادتـه في مكة المكرمة، حتى الهجرة إلى المدينة المنورة، وتتضمن معروضات هذه القاعة نسخاً نادرة من القرآن الكريم.

أما القاعة السادسة فهي مكرسة لتاريخ الدولة السعودية الأولى والثانية، وتؤدي إلى القاعة السابعة المخصصة لتوحيد المملكة على يد الملك عبدالعزيز وقيام الدولة الحديثة. في حين أن القاعة الثامنة تشمل 0 أقسام، وتركز على الحج والحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، حيث تستعرض مشاعر الحج ودور قادة المسلمين عبر التاريخ في تأمينه، وطرق الحج القديمة، وتطور مكة المكرمة والمدينة المنورة عمرانياً، ودور الدولة السعودية في خدمة الحج والعمرة.

في عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٥م، حاز مركز الملك عبدالعزيز التاريخي على جائزة الملك عبدالله الثاني، وذلك اعترافاً بأهمية عملها في الحفاظ على الجوانب التاريخية في المدينة القديمة، فمشروعا تطوير قصر الحكم وإنشاء مركز الملك عبدالعزيز التاريخي، شكّلا سوية علامة تحوّل في التخطيط المدني، وكانا باكورة الخطوات الكبرى باتجاه العودة إلى التراث والاحتفاء به واستنهاض الوسط القديم، ومؤشراً على نشوء اهتمام جديد برد الطابع التقليدي الأصيل إلى قلب الرياض.

يتضمَّن المتحف الوطني ثماني قاعات تستعرض تاريخ المملكة وتراثها الغني، وتشكّل الجولة على معروضاتها العائدة إلى مختلف مناطق المملكة رحلة عبر الزمن. وهنا زوّار يتأملون في معروضات من موقع مدائن صالح الثثري، وهو واحد من ثلاثة مواقع سعودية أدرجتها منظمة بونيسكو» على لائحة مواقع التراث العالمي.



يتسم تصميم المتحف الوطني بطابع عصري مدهش، ومن أبرز ملامحه الواجهة المتقوّسة التي تمّ استيحاء شكلها من الكثبان الرملية، وبنيت بحجر الرياض الأصفر، ليتناغم لونها مع لون محيطها.

الصفحة التالية

تم تطوير مركز الملك عبدالعزيز التاريخي في موقع قصر المربّع، واكتمل إنشاؤه لمناسبة الدحتفال ۔ في عام ١٤١٩ھ بالذكرى المئوية لتأسيس المملكة العربية السعودية، الذي يؤرَّخ له باستعادة الملك عبدالعزيز للرياض في عام ١٣١٩هـ. وتبلغ المساحة المطوَّرة بموجب هذا المشروع ثلاثة أضعاف ما كانت عليه مساحة الرياض قبل مئة سنة. وما بين المتحف الوطني الحديث والمباني التقليدية إلى اليمين تشمخ مئة نخلة غُرست لترمز إلى المئة سنة التي مرّت على استعادة







١٣ | رؤية الرياض للقرن الحادي والعشرين

كانت التطورات العمرانية التي حصلت في العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، على مستوى من الضخامة فاقت كل التوقعات. فبقيادة الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، تأكد نجاح التجارب الهادفة إلى تطبيق مباديء التخطيط الحضري، وترجمتها والتعريف بها للأجيال المقبلة، مع الإبقاء على الدنفتاح على الحداثة.

فمجالات وتعقيدات المشاريع التي نُفذت، وتلك التي كانت قيد التنفيذ وأيضاً تلك التي كانت ما تزال على الورق، باتت تتطلب وضع استراتيجية تقودها بموجب رؤية مستقبلية واضحة، تحدّد الاتجاه والهدف في رسم خريطة العاصمة وصناعة مستقبلها، وهذا ما سيساعد المعنيين بمشاريع التطوير على أن يؤطروا مشاريعهم، ويحددووا أهدافهم والخطوات الواجب اتخاذها، وكان على هذه الرؤية أن تحظى بالدعم اللازم لها من قبل المجتمع والمستثمرين، كما كان عليها أن تجسّد القيم والمباديء الإسلامية المعمول بها في المملكة.

شكل مخطط دوكسياديس أولى المحاولات لمواجهة التحديات الناجمة عن النمو السريع لمدينة الرياض. ولكن هذه المحاولة المبكرة لم تكن ملائمة على المدى الطويل. فالتطورات تجاوزت الفضاء العمراني الذي حديّه المخطط، وازدياد عدد السكان فاق إلى حد كبير التقديرات التي بني على أساسها هذا المخطط، ومنذ ذلك الوقت المبكر، بدأت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض باعتماد نماذج للتطوير أكثر استجابة للتحديات الناجمة عن النمو السريع للرياض. ففي حالة مخطط دوكسياديس، شكّل معدل النمو مفاجأة، وتجاوز إمكانيات برنامجه، وحدود النطاق العمراني للمدينة.

أكدت دراسة التجارب السابقة على ضرورة أن يكون التخطيط الاستراتيجي مساراً مستداماً، مع وجود جهة تتحمل مسؤولية تحويل الخطط الاستراتيجية إلى مشاريع فعلية، كما يتطلب ذلك وجود جهة تشرف على الأداء والنتائج على الأرض، وتتفاعل مع الظروف والمتغيرات، بحيث تستمر في تطوير مخططات وبرامج جديدة.

نتيجة لما تقدم، وفي عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، وافق مجلس الوزراء على تشكيل «مركز المشاريع والتخطيط» ليكون الـذراع الفني والإداري للهيئة العليا لتطوير مدينة الـريـاض، وبذلك تأسس المركز تحت سلطة الهيئة، لوضع خطط التطوير والإشراف على تنفيذها، بحيث تكون موائمة مع متطلبات العاصمة المتنامية بسرعة.

وخلال تنفيذها لأول مشاريعها الكبرى في العاصمة، بدأت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض بإجراء سلسلة متعددة من الدراسات المفصّلة، أفضت إلى وضع تقارير متعمقة في المجالات: الحضرية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية والنقل والمرافق والخدمات العامة، والنمو المرتقب ونطاقه العمراني. كانت الغاية من هذه الدراسات استخدام نتائجها لوضع استراتيجية تطوير تتلاءم مع نمو المدينة.

وأثمرت هذه الدراسات عن إعداد «المخطط الاستراتيجي الشامل لمدينة الرياض» الذي أُقرّ عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ليقود للحقاً مسار التنمية في المدينة، ويضع مقياس النتائج. واستخدمت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض وغيرها من الجهات العاملة في المدينة نتائج الدراسات اللاحقة التي ادت أيضاً إلى بلورة رؤية بعيدة المدى، تحدد طبيعة واتجاه التطوير الشامل لمدينة الرياض على المدى الطويل.

ومنذ بدايته، تبنى المخطط الاستراتيجي الشامل لمدينة الرياض أحدث التقنيات المعتمدة في المدن الرائدة عالمياً. واستقطبت هيئة تطوير الـرياض عـدداً كبيـراً مـن الـشبـاب السعوديين أصحاب الكفاءات لتشكيل فريق عمل ماهر من المخططين والاختصاصيين في التطوير العمراني، وحرصت على الاستفادة من خبرات مستشارين عالميين، وأيضاً من الكفاءات الموجودة أصلاً في الدوائر الحكومية والجامعات ومراكز الأبحاث وغيرها من المؤسسات المحلية، واعتمد برنامج العمل على أحدث التقنيات في جمع المعلومات، بما فيها «نظم المعلومات الجغرافية» للحتساب معطيات الفضاءات الجغرافية وتحديدها بالدقة اللاّزمة للتخطيط.

كان هذا المخطط الاستراتيجي الذي أعدته وأقرته الهيئة العليا لتطوير الرياض في عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، الأول من نوعه والأهم على الإطلاق من بين كل مشاريع التخطيط الأخرى، إذ أنه وضع إطاراً عاماً وطموحاً للعمل على تطوير الرياض، بما في ذلك تعزيز اندماج وسط المدينة بمخططات توسعها المستقبلي.

صيغ هذا المخطط الاستراتيجي على هيئة برنامج حيوي ودائم المرونة ليتماشى مع طبيعة النمو السريع والمتواصل للمدينة، فالمرونة تسمح بتواصل التحسين، وتستوعب التقنيات والأفكار الجديدة، وتحديث البرامج والمشاريع، إضافة إلى إجراء المراجعات وتحديث المعطيات عن التحديات الناجمة عن نمو المدينة وعدد سكانها، وفي عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م فاز المخطط الاستراتيجي

الصفحة المقابلة

صورة لحي العليّا خلف وزارة الداخلية. ويظهر في الأفق مركز الملك عبدالله المالي. فالرياض هي عاصمة أكبر اقتصاد في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ولا تزال تعيش تطويراً رؤيوياً وجريئاً.



عائلات وأطفال يستمتعون في الأماكن العامة في مركز الملك عبدالعزيز التاريخي على الضوء الخافت ما بين المغرب والعشاء. فالرؤية الموضوعة للعاصمة تريدها أن تكون مدينة جميلة، يحلو العيش فيها، وتجسّد الثقافة الإسلامية بعمارتها وتخطيطها الحضري ومساحاتها الخضراء، لأبنائها اليوم وللأجيال المقبلة.

الشامل لمدينة الرياض بجائزة «مؤسسة الجائزة العالمية للمجتمعات الحيوية»، ومقرها لندن، في فئة المدن التي يفوق عدد سكانها المليون نسمة، التي تنافست فيها ٢٥٠ مدينة من حول العالم.

إضافة إلى ما تقدم، حرص المخطط الاستراتيجي على تحقيق نمو اقتصادي متواصل بموازاة برنامجه للتطوير العمراني والحضري في مناطق وقطاعات رئيسية، فركزت الاستراتيجية الاقتصادية على فرص الاستثمار التي تنجم عن تنفيذ المشاريع، وشكل البعد الاقتصادي مكوّناً مهماً من مكوناتها من خلال التشجيع على الاستثمار وتحفيز الإبداع والنمو الاقتصادي، بحيث يكون رخاء المدينة عنصراً أساسياً في هذه الرؤية.

وفي عام ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٢م، جرى تحديث المخطط الاستراتيجي الشامل لمدينة الرياض، بناءً على مراجعة النمو السكاني المتوقع الذي سيصل إلى نحو ٨ ملايين نسمة في عام ١٤٥٠هـ/ ٢٠٣١م.

وعلى الرغم من أن هذا المخطط الاستراتيجي ركّز على المدينة ككل، فإنه تناول باهتمام خاص منطقة الوسط التي ارتأى وجوب تعزيز ربطها بحي السفارات إلى الغرب، وبالمطار القديم شمالاً. ليتشكل بذلك مثلث في قلب الرياض، يؤطر قلب العاصمة الوطنية.

كان جمع البيانات المتغيرة عاملاً مساعداً على وضع إطار العمل الاستراتيجي والتخطيط المستمر لتطوير الرياض، ولكن ما كان

ينقص ذلك هو الرؤية الشاملة والجريئة للمدينة بكل قيمها المناسبة لتوجيه استراتيجيات التخطيط والأهـداف المتوخاة منها، كان ذلك تحدياً، فالكثير من التفاصيل قد يحد هذه الرؤية في إطار تنفيذ البرامج المحددة ويفقدها ما يميزها من طموح بعيد المدى، والإقلال من العمق والرحابة قد يضفي شيئاً من الضبابية على ما فيها من قيم.

تطلب المسار إلى هذه الرؤية إجراء دراسات واستفتاءات لعدة آلاف من سكان العاصمة حول تصورهم لمجتمعهم واحتياجاته، ومن خلال ذلك، ظهرت الرغبة في أن تحافظ الرياض على طابعها الأصيل، وتتطلب إعادة الهيكلة لتحقيق هذه الغاية، خلق «نظام واحات» يسهل فيه الوصول إلى كل أواسط المناطق في المدينة وأحيائها، وخلق فضاءات تنفس ونقاط مركزية لازمة للحياة المدنبة.

دعت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض عدداً من كبار الخبراء العالميين في مجالات تطوير وتخطيط المناطق الحضرية الكبرى والعواصم العالمية، إلى الاجتماع في ندوة عقدت في الرياض في مطلع عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، وحملت أوراق العمل عناوين مثل: حقائق واتجاهات، تطلعات واحتمالات، تطوير اقتصادات تنافسية، نحو عاصمة بيئية للعالم، وبناء الحاضرة المستقبلية

تضمنت الرؤية التي تولدت عن هذه الندوة أفكاراً عديدة مترابطة ومؤطرة ضمن مجموعة قيم محددة، وفي صلبها، هناك المحور المشترك الذي يجمعها حول المرحّب الأساسي الذي يصطبغ به جوهر المدينة، ألا وهو العلاقة بين الإنسان وخالقه، كان هذا هو المبدأ الأساسي الذي صهر كل الأفكار «لتحقيق الاستدامة في تخطيط المدينة مستقبلاً وفق مبادي، وقيم الدين الإنسان تخطيط المدينة مستقبلاً وفق مبادي، وقيم الدين الإنسان والطبيعة، بل ينطوي أيضاً على تأكيد بوجوب تقديم المساعدة من المواطنين لبناء مدينة لأبناء جيلهم وللأجيال اللاحقة، والعلاقة ما بين المجتمع والأجيال اللاحقة تختزن مفهومي المسؤولية والاستدامة.

إن هذه العلاقات ما بين أبناء الرياض بخالقهم وبالطبيعة وببعضهم البعض، هي ما يحفز على تطوير مدينة تعكس بالفعل مكانتها بوصفها عاصمة المملكة التي هي مهد الإســـلام ومـوطــن الحرمين الشريفين، وبوصفها عاصمة وطنية ومركزاً عالمياً، تم تصوّر الرياض مدينةً تلبّى الاحتياجات

الإنسانية، وتوفر مستوى معيشة لائقاً واستقراراً أمنياً، وذات فن عمارة ترتاح اليه النفس ويتفاعل مع الناس ويعكس حسّ المبادرة وروحية الإبداع.

وبموازاة دورها بوصفها عاصمة، تطمح الرياض إلى أن تكون واحة تتناغم مع بيئتهاالصحراوية، وبفعل طابعها التنافسي، فهي تجتهد لأن تكون مدينة رخاء من خلال توفير أقصى ما يمكن من فرص الاستثمار.

وتنظر الرؤية إلى الرياض على أنها مدينة جميلة، تكتنز الثقافة الإسلامية من خلال عمارتها، وشكلها العمراني ومساحاتها الخضراء، كما تطمح المدينة أيضاً إلى أن تكون مركزاً عالمياً للابتكار من خلال تطوير البحث العلمي، ورائدة في في مجال تقنيات النفط وعلوم البيئة، إضافة إلى الرعاية الصحية والعلوم والتعليم.

إن الهدف من التطور العمراني الحاصل اليوم يعكس استراتيجية المملكة ككل بتنويع اقتصادها وإثرائه بالتحول عن الاعتماد بشكل رئيسي على النفط. والمشاريع العمرانية المرئية بوضوح في خط أفق المدينة وباتت تشكل جزءاً منه، كثيرة.

فمركز الملك عبدالله المالي في شمال المدينة يبدو وكأنه تطوير لجزء من حي مانهاتن في نيويورك، ومشروع الملك عبدالعزيز للنقل العام – القطار والحافلات - الذي تقوم عليه الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياضيغطي المدينة بأسرها، هو من أضخم المشاريع الجاري تنفيذها حالياً على مستوى العالم.

وثمة مشاريع أخرى كبرى، مثل برنامج تطوير الدرعية التاريخية، ومشاريع تطوير مطار الملك خالد الدولي، ومشاريع سكك الحديد، ومشاريع تطوير البنية التحتية، وتطوبر مرافق المياه والاتصالات وغيرها. كما أن هناك عمليات تطوير مختلفة تنطوي على عناصر ثقافية وتراثية وتربوية وتقنية متطورة، إضافة إلى أنظمة المعلومات والكثير من موجهات الاقتصاد والتجارة العالمية وباقي العناصر اللازمة للمدينة الذكية في القرن الواحد والعشرين.

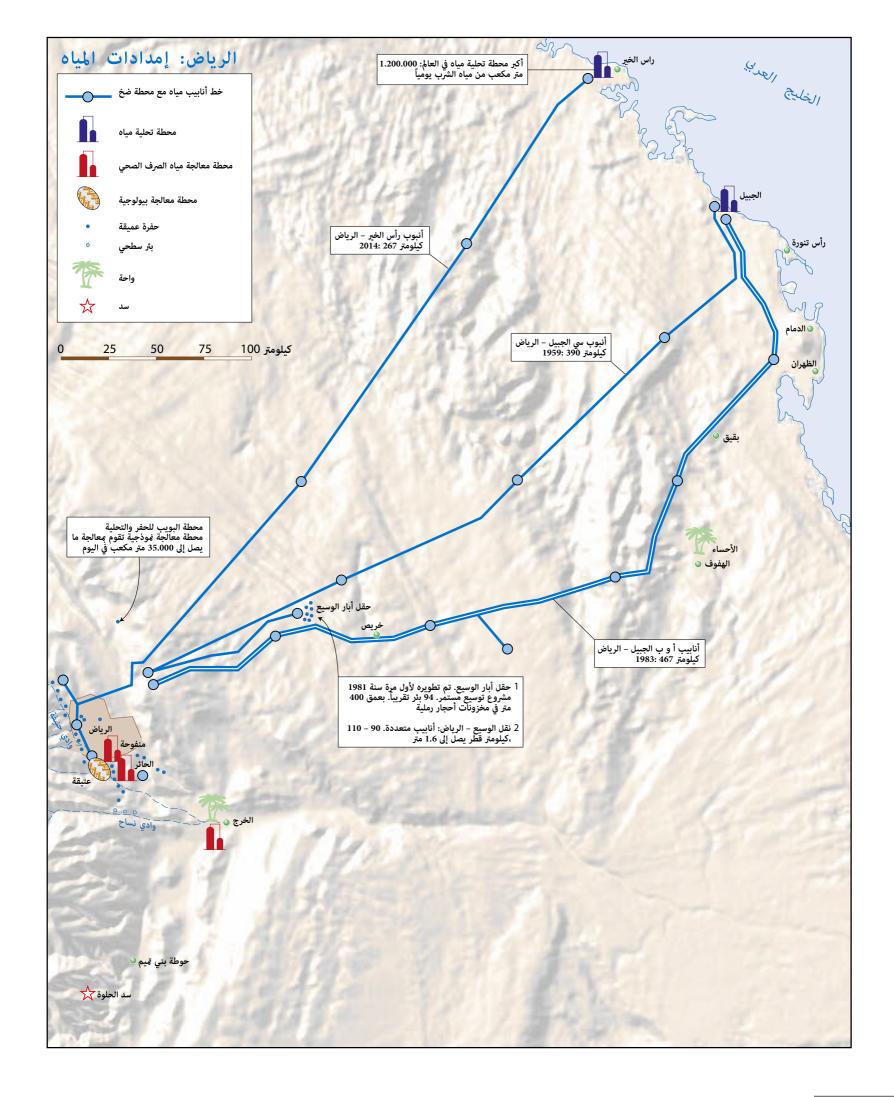
وكل هذه العناصر التي تصوغ تطلعات الرياض إلى القرن الحادي والعشرين، تتماشى تماماً مع «رؤية المملكة ٢٠٣٠» بوصفها قلب العالمين العربي والإسلامي ومركز التقاء ثلاث قارّات، رؤية شعارها «مجتمع حيوي، اقتصاد مزدهر، ووطن طموح».

الصفحة التالية

مواطنون يتنزهون مساءً في منطقة قصر الحكم. ويختزل جامع الإمام تركي بن عبدالله والساحة المركزية المجاورة ومحيطهما المتجدد عناصر رؤية الرياض.







١٤ الماء

الماء أغلى الموارد، وحتى ٦٠ أو ٧٠ سنة خلت، كانت خيرات وادي حنيفة رهن توفره. فالإمداد بالماء أساسي للمحافظة على نمو المجتمعات وبقائها في النظام البيئي الحساس في وسط شبه الجزيرة العربية. والماء كان من أول مقومات الاستيطان في الواحات العربية التقليدية، ويبقى بالأهمية نفسها بالنسبة إلى الواحة العصرية التي تطمح الرياض إلى أن تكوّنها. فاليوم، يتداخل شأن الماء مع كافة عناصر رؤية الرياض للقرن الحادي والعشرين، مصحوباً بتقدير قيمته والوعي أن هذه الهبة الإلهية هي مورد نادر يوجب الحفاظ عليه.

وكما كان التكيّف مع ندرة الماء وفترات الجفاف الطويلة في الماضي مصدر تحديات تحمّز على استنباط الحلول، ما تزال قيمته ووجوب ضمان ديمومة إمداداته حافزاً يدفع إلى اللابتكار والإبداع.

خلال الزمن الذي سبق وصول المضخات العاملة على الديزل إلى الـريـاض، كـان الـصـوت التقليدي والشائع المنبعث من بساتين النخيل هو صوت صرير الخشب في آبار الماء، فالجمال كانت تسخّر في العمل على استخراج المياه الجوفية من الأرض الحصوية والغرينية في وادي حنيفة، وفيما كانت بعض البلدات مثل: الدرعية والجبيلة والعيينة تحصل على مائها من مجرى الوادي، كانت الرياض تستخرجه من الآبار الضحلة في رافده وادي البطحاء الذي كان يجري على امتداد سورها الشرقي، ومن آبار أعمق من ذلك داخل الأسوار.

وبخلاف ما هو عليه الحال في الواحات حيث يتدفق الماء من الينابيع أو من خلال الآبار الإرتوازية، كان يتوجب في الرياض رفع الماء إلى السطح، ومن ثم ضخه في شبكة قنوات شاسعة لري بساتين النخيل والحدائق وحقول الحبوب وغيرها من المزروعات. وقد تطور هذا النظام عبر مئات السنين، وكان فاعلاً بشكل جيد، باستثناء سنوات الجفاف الحاد، فالأمطار السنوية كانت عموماً كافية لإعادة ملء الخزانات الجوفية، أما عندما لا تكون كذلك، فإن النتائج تكون كارثية، إذ يُقضى على المزروعات والمواشي وتقع المجاعة التي يمكنها أن تتسبب بهجرة بشرية كبرى من

إن فكرة الجفاف ما تزال حية في الوجدان العام، سواء أكان ذلك في الواحات أم في الصحارى المحيطة بها، وهناك عدد قليل ومتضائل من المواطنين الكبار في السن الذين ما يزالون يتذكرون المشقات التي تحمّلوها في صغرهم للحصول على

مائهم اليومي، والنتائج الوخيمة التي كانت تترتب على عجزهم عن ذلك في بعض الأوقات، والكثيرون من سكان العاصمة وضواحيها الذين كان يستقبلهم الملك عبدالعزيز، رحمه الله، كانوا يأتونه حاملين عرائض تطالب بحفر آبار، وتحسين إمدادات المياه، أو المساعدة على إيجاد مصادر جديدة لازمة للجماعة والماشية. أما اليوم، فإن سكان الرياض باتوا أوفر حظاً من أسلافهم، بتوفر مصادر موثوقة ومتعددة للمياه اللازمة للشرب والاستخدام المنزلي، إضافة إلى المياه اللازمة للصناعة والزراعة.

إن الظروف البيئية القاحلة قد تدفع الناس إلى الاعتقاد بأن ندرة الماء تعود إلى محدودية الكمية المتوفرة منه، والحقيقة أنها ليست كذلك، إنها بالأحرى مرتبطة بعاملي الكمية والنوعية، والمياه النظيفة تكفي لسد الحاجة.

ولذا تبدت الحاجة إلى وضع استراتيجية جذرية ومستدامة، تتعامل مع عاملي الكمية والنوعية سوية، وليس مع كل منهما على حدة كما كان الحال في السابق. ومفهوم « البنية التحتية الخضراء» في الرياض الذي تبلور من خلال هذه الاستراتيجية، يقوم على إدارة المياه في المدينة باستخدام أنظمتها الطبيعية مثل أحواض مياه الأودية والمجاري الموسمية، والأراضي الرطبة والمصدات الخضراء للحد من التسرب وتعزيز الإمدادات وتجميل البيئة.

فبفضل الله، نجحت الرياض في مواجهة تحدي الإمداد بالماء، وتمكنت من النمو بالمقاييس التي نمت فيها، أما كيفية النجاح في مواجهة هذا التحدي فهي حكاية لم تنل ما تستحق من الأضواء، لأن اكتشاف النفط واستثماره وتطوير البنى التحتية والأبنية الضخمة المرئية بوضوح، غطى على القصة الفائقة الأهمية لإمداد العاصمة بالماء.

بدأ النمو السريع في الرياض غداة توحيد المملكة، عندما وضع الملك عبدالعزيز برنامجاً يشجع على توطين البادية، وكان حفر الآبار من العوامل التي شجّعت البادية على الاستقرار لما توفره من مياه تغنيهم عن البحث عنها في أماكن أخرى.

وانتقل الكثير منهم مع عائلاتهم الكبيرة إلى العاصمة بحثاً عن الفرص ونمط حياة أفضل، وكان الطلب المتزايد على الماء من التحديات الكبرى التي تصدى لها الملك عبدالعزيز قبل بدء البحث عن النفط، فكان يصدر توجيهاته بالحفر أعمق فأعمق.

الصفحة التالية

أدّى مشروع التأهيل البيئي لوادي حنيفة الحائز على جوائز عالمية عديدة، إلى تشكّل نظام بيئي جميل وجدّاب. فالكثير من الطيور المهاجرة صارت تتوقف فيه، ومنها على سبيل المثال النسر والبلشون ومالك الحزين والغاق وحتى النورس. فقد صار الوادي ملاذاً للحياة الفطرية، وهذا ما دفع الهيئة السعودية للحياة الفطرية وإنمائها إلى وضع برنامج لدراسة هذا الموطن البيئي الجديد.





وبحمد الله، ليس على سكان الرياض اليوم، أن يقلقوا على توفر الماء ولا على نقائه أو نوعيته، ولا حتى على كلفته، فعلى الرغم من وجودهم في بيئة صحراوية، فإن ما يُمدّون به من الماء يعد من أفضل ما يتزود به مئات الملايين حول العالم.

غير أن نمو الرياض المتواصل والسريع، وخاصة خلال السنوات الـ ٥٠ الأخيرة، بات يتطلب حلولاً مختلفة لتلبية الطلب المتزايد على الماء، فالمياه السطحية غير متوافرة، والمدينة اعتمدت تاريخياً على المياه الجوفية.

وتشير أقدم السجلات المتعلقة بالمنطقة المحيطة بالرياض إلى أن مستوى المياه الجوفية كان في عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٥م على عمق ٩ أمتار فقط تحت سطح الأرض، وفي عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٥٦م، هبط هذا المستوى حتى عمق ٢٩ متراً، وبحلول عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، كان قد هبط حتى ٣٥ متراً، ومؤخراً، بات من الضروري اللجوء إلى أحدث التقنيات والحلول لتلبية الطلب المتزايد على الماء.

في البدء، كان التحدي يقتصر على تلبية احتياجات السكان المتزايدين، ولكن سرعان ما أصبحت القضية أكثر تعقيداً من أن تُختزل بإحصاء عدد السكان، فنمو المدينة زاد من الطلب على الماء بنسب أكبر من نسب الزيادة السكانية.

فقد تضافر السكان الجدد ومستوى التحضر وتوسع حدود المدينة وتحسّن مستوى المعيشة اليومية على رفع معدل استهلاك الفرد من الماء، وإلى ذلك، أضيفت مشاريع البناء والصناعات الجديدة والزراعة والحدائق التي رفعت معدلات استهلاك الماء.

وواجه الإمحاد بالماء مشكلة إضافية، فالماء المستهلك في البيوت والمصانع كان يلوّث المياه الجوفية بما كان يحمله من مكوّنات غير معالجة، مما أصبح يتسبب بتقليص الكميات الصالحة للاستهلاك مباشرة.

كما أن انخفاض مستوى المياه الجوفية شكّل تحديات تقنية إضافية من خلال الحفر عميقاً جداً، أذ أن المياه المالحة قليلاً في تلك الأعماق، كانت تتسبب سريعاً بتآكل الأنابيب والمضخات. وكان الماء الثمين يُـهـدر بتسربه من خلال الأنابيب التالفة واستهلاكه بإفراط وأشكال غير ضرورية.

كان نمو الرياض بهذا الشكل المدهش ممكناً بفضل النجاح في مواجهة كل المسائل اللآزمة لإمداد المدينة وسكانها بكميات المياه الملائمة، والمصاحبة لنِسب النمو وتعاظم الاحتياجات. فسكان الرياض يحبون الماء، وقد يُفاجأ زائرها عندما يرى أن سكانها يحبون النزهات والأنشطة الخارجية في الأيام الممطرة.

كما أن صلاة الاستسقاء هي من شعائر الإسلام عند تأخر نزول المطر، واتباعاً لسنّة الرسول الكريم محمد صلّى الله عليه وسلّم، يأمر قادة المملكة بإقامة صلاة الاستسقاء في فترات الجفاف، ويفرح الناس عندما يهطل المطر، وينتظرون بفارغ الصبر اخضرار المناطق الصحراوية المجاورة في الأشهر التي تلي انهمار الأمطار.

على الرغم من وقـوع وادي حنيفة في منطقة جـافـة، فإن معدلات الأمطار فيها تختلف اختلافات كبيرة من سنة إلى أخرى، من بضعة ملليمترات فقط في السنة إلى أكثر من من بضعة ملليمترات فقط في السنة إلى أكثر من العاصمة أن تتسبب بفيضانات حقيقية قبل أن يتبخر الماء أو يتجمع في الأودية ويسيل فيها بعيداً حتى الصحراء لجهة الشرق حيث يغور في رمالها.

في عام ١٣٧٠هــ/ ١٩٥٠م، اقترح خبراء المياه بناء سدود جوفية في وادي حنيفة، ولكن المشروع بدا غير عملي، فصُرف النظر عنه، واستعيض عن ذلك ببناء سدود سطحية لمنع الفيضانات، وتوفير المياه للري والمواشي وتغذية الخزانات الجوفية، وبلغ إنشاء السدود ذروته في مطلع القرن الهجري/ ثمانينيات القرن العشرين، وحتى اليوم، تتولى سدود وادي حنيفة جمع مياه الأمطار وتمنع حصول الفيضانات بمشيئة الله.

أتى اكتشاف خزانات جوفية عميقة في منطقة الرياض إلى تحسن الحال بشكل كبير . ففي عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، بدأت أعمال الحفر، وكانت باكورتها في حي الشميسي، وسرعان ما أدت إلى اكتشاف خزان المنجور الواقع على عمق يتراوح بين ١٢٠٠ و١٥٠٠ متر، والذي أصبح مع محطة التنقية الملحق به المصدر الرئيسي للمياه البلدية في الرياض، ومن دونه، ما كان ممكناً على الأرجح، أن تتمكن الرياض من تحقيق النمو الذي حققته في السنوات الـ 100 التى تلت وفاة الملك عبدالعزيز، رحمه الله.

ازدادت كميات المياه المستخرجة من المتكونات الجوفية في المدينة وجوارها من ٢١٦٠ متر مكعب يومياً في عام ١٣٩٥هـ/



۱۹۷۵م، إلى ۲۲۰۰۰۰ متر مكعب يومياً بعد ۲۰ سنة، وفي عام ۱۳۹هـم ۱۹۷۹م، كان متكون المنجور وحده يؤمن أكثر من ۸۰٪ من حاجة المدينة إلى الماء.

ولكن في تلك الفترة، انخفض مستوى الماء في متكون الرياض ٧٥ متراً عما كان عليه، وخلال سنتين هبط مستوى الماء نحو ٨٠ متراً في الآبار العميقة التي كانت تستغل الخزان في صلبوخ شمالي الرياض، وفي مواجهة تضاؤل نسبة الماء المعوّض في الخزانات الجوفية وضخامة الزيادة في الطلب، باتت هناك حاجة ملحة للعثور على مصادر جديدة قابلة للاستغلال.

بفضل الله، تم آنذاك اكتشاف خزان جوفي ضخم وبدأ استغلاله، وهو متكون الوسيع الذي يمتد بطول ١٥٠٠ كيلومتر من وادي الدواسر في الجنوب إلى جنوبي مدينة سكاكا في شمال المملكة،

وتوازي حوافه الغربية مدينة الرياض على بعد 00 كيلومتراً لجهة الشمال الشرقي، فقد أكدت الأبحاث أن متكون الوسيع من أغزر الخزانات في المملكة، ويحتوي على كمية من المياه المتراكمة عبر ٢٠ ألف سنة، ويقدر حجمها بمليارات الأمتار المكعبة، وفي مطلع ثمانينات القرن العشرين، بدأ العمل على مشروع ضخم للستخراج هذه المياه وجرها إلى الرياض عبر الأنابيب من عدة آبار حفرت في منطقة الوسيع على بعد نحو ١٠٠ كيلومتر شمال شرقى الرياض.

ولأن للا أحواض مياه طبيعية بجوار الرياض مثل البحيرات او الأنهار أو البحر، حيث يمكن صرف المياه المستعملة، باتت هناك حاجة ملحة لمعالجة المياه المستعملة، ليس فقط من باب منعها من تلويث المياه الجوفية النظيفة، بل أيضاً لإعادة استخدامها في الري، الأمر الذي يوفر المياه الجوفية النظيفة للاستخدامات أخرى.

قبل أن تصل المضخات العاملة على الديزل إلى الرياض، كان ثمة صوت لا يُنسى ينبعث من البساتين والحقول، وهو صوت صرير الدواليب الخشبية فوق الآبار التي كانت تؤمِّن الماء ولا يزال البئر التقليدي الذي يُعرض سنوياً في مهرجان الثقافة والتراث في الجنادرية يستقطب الفضوليين بصوته ومنظره.



تمّ بناء برج المياه في الرياض عام ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، وبعد ذلك بثلاث سنوات تأسست المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة لتوفير المزيد من المياه العذبة. فنحو ٦٠ في المئة من المياه التي تستهلكها الرياض اليوم، هي من المياه المحلّة في محطات على الخليج العربي.

لذا، وبموازاة تطوير استخراج المياه الجوفية من الآبار العميقة، بدأ الالتفات صوب إنشاء محطات معالجة مياه الصرف الصحي، وكان أولها في عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، وبلغت طاقته التكريرية ٤٠ ألف متر مكعب يومياً، وبعد ذلك بسنة، أنشيء في المربع برج المياه الشهير الذي تبلغ سعته ١٢ مليون لتر.

ولكن الأكثر إثارة للإعجاب من بين كل مشاريع المياه في الرياض، هو مشروع الأنابيب لجلب مياه الخليج العربي المحلاة إلى العاصمة.

كانت أول وحـدة لتحلية المياه المالحة، هي التي أمر الملك عبدالعزيز بإنشائها شمالي مدينة جدة عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٨م، لتأمين مياه الشرب للمدينة، وبسبب تقنية التكثيف التي اعتمدت فيها، أصبحت منطقتها تعرف باسم «الكنداسة».

في عام ١٩٧٤هـ/ ١٩٧٤م، صدر مرسوم ملكي بإنشاء «المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة»، ومقرها الرياض، لتعزيز مصادر المياه العذبة في المملكة، وخلال فترة وجيزة، وسعت المؤسسة دائرة انتاجها لتشمل توليد الكهرباء في محطاتها لتحلية الماء، وخلال العقدين التاليين تضاعف انتاج المؤسسة من المياه المحلاة ١٠٠ مرة، ومن الكهرباء أكثر من ٨٠ مرة. وتحصل الرياض اليوم على نحو ٦٠٪ من المياه التي تستهلكها من محطات التحلية القائمة على الخليج العربي.

وحتى وقت قريب مضى، كانت محطة التحلية في الجبيل بطاقتها الانتاجية البالغة مليون متر مكعب يومياً، الأكبر من نوعها في العالم، ولكن محطة جديداة للتحلية في رأس الخير شمال غرب الجبيل، باتت هي الأكبر على الإطلاق، إذ تتجاوز طاقتها المليون متر مكعب يومياً من المياه المحلاة، و٢٦٠٠ ميغاواط من الكهرباء.

وتطلب تزويد العاصمة بحاجتها من المياه إنشاء بنية تحتية ضخمة ورائــدة على مستوى الـعالـم، فقبل تدشين محطة التحلية في رأس الخير، كان نظام جلب المياه إلى الرياض واحداً من أضخم أنظمة أنابيب الضغط العالي في العالم، ففي عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، بدأ جلب المياه من الجبيل إلى الرياض بواسطة خطّي أنابيب يعرفان بـ «الخط ألِف» و»الخط باء»، ولكل منهما ست مضخات، وينقلان سوية نحو ٨٠٠ ألف مترمكعب من المياه يومياً إلى الرياض بواسطة أنابيب يبلغ طولها ٤٤٦ كلومتراً، أما الخط الثالث لجلب مياه الوسيع، فقد جرى افتتاحه

في عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، وهو يسلك طريقاً مختصراً ومباشراً عبر الصحراء من الجبيل إلى الرياض، ولذا يبلغ طوله ٤٠٠ كيلومتر فقط، وينقل نحو ٣٠٠ ألف متر مكعب يومياً من المياه المحلاة، لغرض التخزين.

تضمن تدشين محطة التحلية العملاقة في رأس الخير مد خط رابع من الأنابيب إلى الرياض، وهذا ما شكّل بالفعل أضخم نظام لجلب لمياه في العالم، بقدرته على نقل مليون متر مكعب يومياً، بواسطة أنبوب من الفولاذ يبلغ قطره ٨,١ أمتار، ويسلك هذا الخط طريقاً مباشراً وأقصر إلى الرياض، ويبلغ طوله ٢٦٧ كيلومتراً، وإلى المياه المحلاة التي ينقلها، تضاف المياه المعالجة المستخرجة من نحو ٢٠٠ بئر تم حفرها في دائرة قطرها ٢٥٠ كيلومتراً حول الرياض.

وفي منطقة آبار البويب الواقعة على بعد ٤٥ كيلومتراً شمالي الرياض، أقيمت محطات لمعالجة المياه الجوفية المستخرجة وغيرها من المياه المالحة قليلاً، وتتولى هذه المحطات التي تبلغ طاقتها ٣٠ ألف متر مكعب يومياً، تبريد المياه حتى ٣٢ درجة مئوية، لأنها عندما تستخرج تكون حرارتها نحو ٧٠ درجة.

يبلغ متوسط استهلاك المياه في مدينة الرياض نحو ٢,٦ مليون متر مكعب يومياً، وفي إطار شبكة المياه في الرياض، تم مدّ ٢٣٠٠ كيلومتر من الأنابيب، إضافة إلى توصيلاتها إلى أكثر من ٤٠٠ ألف منزل، بحيث باتت هذه الشبكة تطال ٩٧٪ من السكان.

وثمة مشروع على مرحلتين لتخزين المياه بكلفة تتجاوز ٣,٧٥ مليار ريال (مليار دولار أمركي) ، قد دخل حيز التنفيذ، ويهدف إلى تأمين مخزون يبلغ ١٠ ملايين متر مكعب من الماء، في إطار برنامج تأمين المياه للعاصمة بشكل آمن ومستدام.

تشير التقديرات إلى أن معدل الاستهلاك اليومي للفرد الموصول بالشبكة في الرياض يبلغ ٣١٩ ليتراً، وهذا أقل من المعدل في الولايات المتحدة ودبي، ولكنه أكبر بأكثر من مرتين مما هو عليه الاستهلاك اليومي في أوروبا.

وتُبذل حالياً جهود كبيرة تتضمن حملات توعية تستخدم الصحافة والإعلانات التلفزيونية ووسائط التواصل الاجتماعي واللوحات الإعلانية في الشوارع لتخفيض معدل الاستهلاك الفردي إلى ٢٦٠ ليتراً يومياً بحلول عام ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٥م.



تتقاطع قضية الماء مع كل العناصر التي تشكّل رؤية العاصمة في القرن الحادي والعشرين. فالنمو المدهش الذي عرفته الرياض ما كان ليكون ممكناً لولد النجاح في مواجهة التحدّي المتمثل في الطلب المتزايد باستمرار على المياه.

وفي مواكبة للقلق العالمي بشأن الماء، اتخذت تدابير إضافية إلى حملات التوعية للمساعدة على الوصل إلى إدارة مستديمة للمياه، تضمنت الكشف عن مواضع التسرب في الشبكة وإصلاحها.

وأطلقت الرياض برنامجاً طموحاً لإعادة استخدام المياهالمعالجة، فأقل من ٦٠٪ من منازل العاصمة تتصل بشبكة تجميع الصرف الصحي، ولذا بدأ العمل على مشروع ضخم يهدف إلى رفع هذه النسبة إلى ٨٠٪ في عام ١٤٤٥هـ/٢٠٢م.

وإضافة إلى ما تقدم، بـدأ الاعتماد على «المعالجة الحيوية» لإعادة استخدام المياه بعد معالجتها في رى الحدائق والزراعات

وإمداد المصانع أيضاً، وقد أنشأت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض واحداً من أكثر تقنيات المعالجة الحيوية تطوراً في وادي حنيفة، ففي مجموعة أحواض يبلغ طولها نحو كيلومتر واحد، تتدفق المياه عبر أكثر من ١٠٠ خلية تقريباً، حيث يتم ترسيبها في بعضها، ثم يُضخ فيها الأوكسيجين، ثم الميكروبات فالحشرات فالرخويات وصولاً إلى الأسماك.

وتساهم الأشجار والأعشاب بدورها في تنقية هذه المياه بشكل طبيعي، وتعالج هذه التقنية أكثر من نصف مليون متر مكعب من المياه الجارية يومياً في محطة المعالحة الحيوية التي أقامتها الهيئة ضمن مشروع التأهيل البيئي لوادي حنيفة.

أما المياه المكررة من الصرف الصحي فتضخ في أنابيب منفصلة عن أنابيب مياه الشرب، ومن المشاريع الأخرى المرتقبة، مضاعفة كمية المياه المحلاة بحلول عام ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٥، واعتماد تقنيات جديدة منها التنقية بواسطة تقنية النانو، والتحلية الكهروكيميائية.

خلال القرون الماضية، ظل سكان الرياض ووادي حنيفة يعتمدون على الآبــار السطحية، ويستخدمون مهاراتهم

القديمة للحصول على الماء اللازم لحياتهم، ولكن منذ بدء النمو السريع لمدينة الرياض في عهد الملك عبدالعزيز، أصبحت المصادر الجديدة للمياه ضرورية لهذا النمو. وفي هذا المجال باتت المملكة بحمد الله، رائدة في تحلية المياه بنسبة تصل إلى ٢٠٪ من إجمالي إنتاج العالم من المياه المحلاة. ولولا هذا، ما كان للتطور الذي حوّل الرياض إلى مدينة عصرية أن يكون ممكناً.



يبلغ طول الأنابيب التي تمّ مدّها في إطار شبكة توزيع المياه في العاصمة نصف مليون منزل، وتغطي احتياجات أكثر من ٩٥ في المئة من السكان. ويبلغ معدل الدستهلاك اليومي من المياه في الرياض مليوني متر مكقب، وهو أعلى بكثير مما عليه في معظم عواصم العالم.

الصفحة التالية

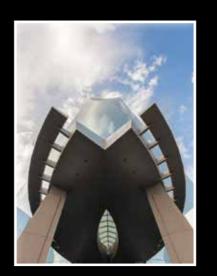
أصبحت معالجة المياه المستعملة حاجة ملّحة بعد توسّع الرياض، ليس فقط لمنع تلوّث المياه الجوفية، بل أيضاً لتأمين مصدر إضافي لمياه الري. وبموازاة الاستخراج من الآبار، ظهر اهتمام كبير ببناء السدود وإنشاء مرافق معالجة المياه المستعملة.

































١٥ | المدينة الجميلة

في بدايات القرن العشرين، كان زوّار العاصمة المسوّرة يتوقفون أمام سكون واديها واخضرار بساتين النخيل والحدائق المجاورة، والجمال الوقور في الأبنية الطينية المرتفعة في فضائها. فمن زيارته الأولى إلى الرياض في عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٧م، يذكر سانت جون فيلبي أنه لم يكن في الرياض بناء «بضخامة المقاييس ولا بالجمال المشابه ويعبر عن أفضل ما في فن العمارة العربية كما هو حال القصر الملكى في قلب المدينة».

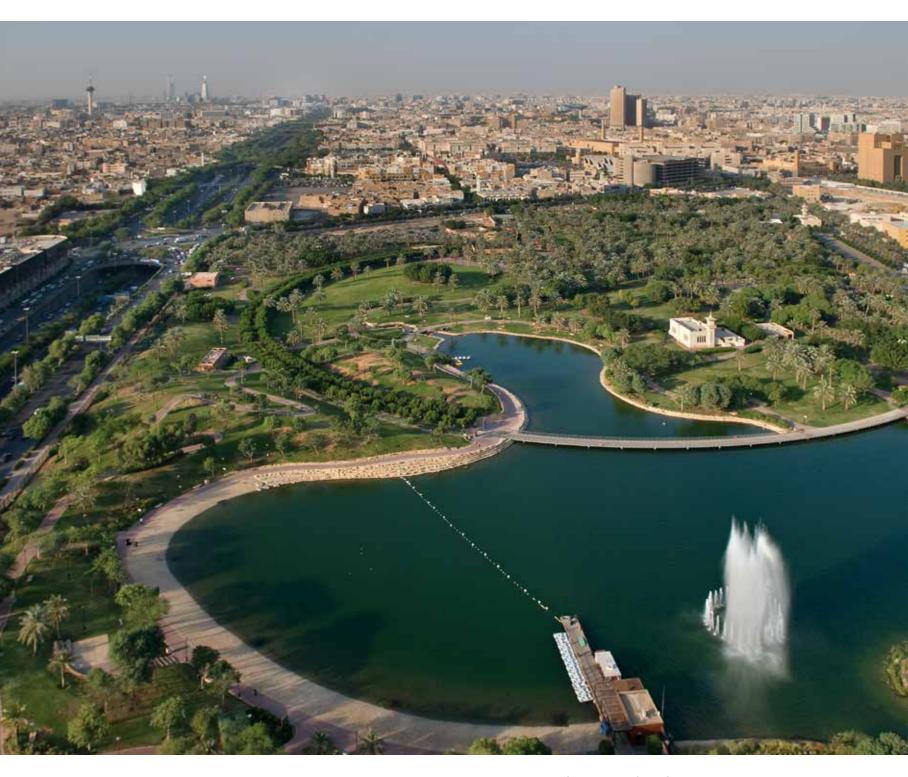
وصل فيلبي آنذاك إلى الرياض، بعد رحلة شاّقة على ظهر الجمل استمرت أسبوعين من العقير على ساحل الخليج العربي مروراً بالهفوف ورمال الدهناء، فوصف وصوله إلى مشارف المدينة التي ما كان يظهر من أبراجها الطينية إلا القليل خلف ستارة من النخيل الباسق، فكتب يقول: «تابعنا الصعود أكثر فأكثر باتجاه القمة المستدقة للتلة التي تحد المنحدر، وبعد قليل، وصلنا إلى أعلاها، فظهر أمامنا في



الصفحة المقابلة

تشتمل برامج التطوير العمراني في العاصمة على عدد من أكثر التصاميم الهندسية إثارة للدهشة في العالم، وهذا ما أعطى الرياض سمعتها على أنها «المدينة الجميلة» في شبه الجزيرة العربية. وهذه اللقطات المعبّرة هي لمصوّر الرياض الحائز على جوائز عديدة ثامر الحسن.

جامع المدي في مركز الملك عبدالعزيز التاريخي، أنموذج حديث عن فن البناء النجدي العريق باعتماد الطين وغيره من المواد في إنشائه. والنتيجة بناء خلاّب ببساطته الجميلة ولونه الطبيعي الدافيء.



متنزه «سلام»، واحة حضرية في قلب العاصمة، وصدى يردد معنى كلمة الرياض.

طيات الـوادي في الأسفل خط ذو لون أخضر زمـردي، إنها بساتين الرياض».

وفي عام ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩ م، عاد فيلبي ليكتب عن الرياض، ولكن هذه المرة بدهشة من التحول الذي طرأ على شكل المدينة: فقد كبرت مساحتها حتى باتت تغطي ١٠٠ كيلومتر مربع، وبلغ عدد سكانها أكثر من ١٥٠ ألف نسمة، تحيط بها «حلقة من الضواحي التي لا يمكن تمييزها عنها».

وفي العقود التالية، تسارعت وتيرة النمو العمراني، وبحلول التسعينيات الهجرية، سبعينيات القرن العشرين، كانت الرياض غالباً ما توصف بأنها أكبر ورشة في العالم.

الـوصــول إلــى الـريـاض يحصل الـيـوم جــواً في أغـلـب الأحـيـان، والـــقـــــراب مـن سمائها لــيـلاً يتكشف عـن اســـــعـراض ضوئي مدهش على شاكلة مساحة هائلة من الموزاييك المؤلف من الأبنية المضاءة، ولوحات النيون الملونة التي تنتشر على شبكة من الشوارع والطرق السريعة تتدفق فيها أنهار لا تنقطع من السيارات.

أما من على مستوى الأرض، فإن التطلع إلى التطوير العمراني القائم في العاصمة ويتضمن مشاريع إنشائية ضخمة، قد لا يكون كافياً للسكان والزوّار لتقديم تقييم أو تقدير جذاّب عن هذه الحاضرة، وتشكيل صورة شاملة عنها، أوتخيُّلِ ما ستكون عليه في المستقبل.

ما الذي يجعل مدينة ما جميلة؟ إنها ليست مسألة عناصر جمالية فقط، فهناك مؤشرات أساسية مثل الأمن، توفر التعليم والعناية الصحية والإسكان المقدور عليه، وفاعلية التخطيط الحضري، والبنية التحتية، ونوعية الهواء والمياه النظيفة وغيرها من المزايا، مثل ما إذا كانت هذه المدينة مكاناً صالحاً لإنشاء عائلة فيه، والاستطلاعات التي أجراها المرصد الحضري لمدينة الرياض، الذي تديره الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، أظهرت أن نسبة عالية بلغت ٨٤٪ من السكان يشعرون بالأمان في الشوارع والأماكن العامة، وراضون عن خدمات الماء والكهرباء، كما أظهرت الاستطلاعات أن نسبة كبيرة من السكان تضع تأمين خدمات العناية الصحية والإسكان العيسر وفرص العمل على رأس أولوياتها.

ويتجلّى الجمال أيضاً بالطريقة التي ترتبط بها المدينة مع محيطها. فقد اكتسبت الرياض سمعة عالمية بسبب مشاريعها

البيئية وتنسيق الـمواقـع، وتستمر في العناية بهضبتها الصحراوية المحيطة بها، كما يتبدى ذلك بوضوح من خلال مشاريع تطوير الأودية والواحات. كما أن المدينة تزهو بعمارة متنوعة بالحجم والأسلوب، إضافة إلى عدد من المزايا الأخرى والفضاءات العامة التي تحتفي بالتاريخ والتراث والحداثة والإبتكار. ومن خلال كل هذا، يتشكل محيط عمراني حافل بالتنوع، ويستمر في النمو ليشكل هذا الجزء بالذات من الرؤية التي وضعت للعاصمة كمدينة جميلة.

إن العناصر العمرانية التي تجعل من مدينة ما جميلة ليست بالضرورة ضخمة، فمسجد المدي القائم في مركز الملك عبدالعزيز التاريخي، وهو من مشاريع الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ، يتضمن جمالاً ملحوظاً رغم كونه صغيراً وبسيطاً، فهو يعكس بوضوح التزام التراث الإسلامي بالمقاييس التقليدية للجمال عبر تصميمه الوقور والدافي، في الوقت نفسه، وبمئذنته المربعة المبنية وفق الطراز النجدي بارتفاع ١٨ متراً فوق سقفه المقوّس.

كان للوعي المتزايد في صفوف المعماريين السعوديين في هيئة تطوير الرياض، دوراً ريادياً في إعادة إحياء فن العمارة وفق الطراز النجدي التقليدي، والتأكيد على أن الأمر ممكن من خلال الاعتماد على التقنيات الحديثة.

فبناء مسجد المدي في قلب الرياض، بالإضافة لدوره الأساسي، كان أيضاً مجاللً للتأكيد على أن مادة الطين التقليدية تصلح لبناء هيكل معماري حديث، ومن خلال توافد المصلين عليه خمس مرات يومياً، أخذ هذا المسجد مكانته كنموذج مثالي يحتذي.

تعتمد هذه التقنية العريقة في البناء على تصنيع واستخدام مواد من مصادر محلية. والمادة الرئيسية المستخدمة في مبنى مسجد المدي من أدناه وحتى أعلى مئذنته هي الطوب الطيني المضغوط، وتعززت متانة هذه المادة وثباتها بإضافة ٨٪ من الإسمنت إلى الطين المستخرج محلياً، لتصبح مقاومة لتأثير الماء، وأقدر على تحمل أوزان ثقيلة. وتطلب إنشاء هذا المسجد الف طوبة من مختلف المقاييس والأشكال لبناء الجدران والأعمدة والأقواس، عمل على انتاجها ٢٢٥ عاملاً في ٤٩ يوماً، وتطلبت أعمال التركيب في البناء وتزيينه ٧ أشهر إضافية.

إن البناء بالطين رفيق بالبيئة، فهو يستخدم مادة مستدامة ومتوافرة بكثرة، وإضافة إلى ملاءمته الاقتصادية، فإن الطين فاعل جداً في مجال العزل الحراري، ويمكن استخدامه لبناء أشكال حميلة.

وقد ساهم هذا المشروع في رفع مستوى الاهتمام بإحياء المهارات التقليدية في الرياض، وربط استخدامات الطين التقليدية بالتقنيات الحديثة، بحيث أن المشاريع الكبرى والعديدة التي قامت وتقوم بها الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض مثل برنامج تطوير الدرعية التاريخية، الذي يشتمل على مشروع تطوير حي الطريف الأثري المدرج على قائمة اليونيسكو لمواقع التراث العالمي، إضافة إلى تطوير حي البجيري المقابل، إلى جانب مشروع تطوير حي الدحو في قلب الرياض التاريخي، مما جعل من الرياض رائدة في استخدام مادة الطين في الترميم والبناء.

لقد بـات يُنظر إلـى الـريـاض، على أنها «المدينة الجميلة» في المنطقة، ففي بعض المشاريع التطويرية الكبرى التي تطبع

المدينة بطابعها مثل منطقة قصر الحكم ومركز الملك عبدالعزيز التاريخي، تتردد أصداء التقاليد العمرانية للمدينة الإسلامية بدلاً من التماشى مع أشكال المدن الغربية.

أما حي السفارات فقد أصبح متحفاً مفتوحاً للأساليب والطرز المعمارية في العالم وفن تنسيق المواقع. كما أن الطبيعة تحضر بالشكل الجميل واللائق في أنحاء عديدة من العاصمة من خلال الحدائق الجديدة ومشروع التأهيل البيئي لوادي حنيفة والمشروعات الجاري تنفيذها على روافده التي تقوم عليها الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض. وبموازاة ذلك، يستمر القطاع الخاص بتمويل وإبداع منشآت مدهشة في تصاميمها على خط أفق المدينة المتوسع دائماً.

ففي الملمح العمراني العام للمدينة، نجد الأشكال التقليدية والطرز الإسلامية وعناصر العمارة التقليدية تتناغم مع التصاميم المعاصرة وأحـدث تقنيات البناء، وتتكامل هـذه العناصر في



فرقة الدرعية للعرضة. في عام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م، أدرجت منظمة «يونيسكو» رقصة العرضة على قائمة تراث الإنسانية المعنوى.

تشكيل بيئة مدنية متعددة الألوان، تتكشف عن جمالات آسرة، وتحث على الكلام عنها ومناقشة قضايا المعاصرة والتراث والصلات بالماضى.

غالباً ما تصوّر الرياض نمطياً على أنها مدينة لم تلقى فيها الفنون العناية اللآزمة، وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة، إذ أن في الرياض جماعات حيوية ومتنامية من الفنانين الموهوبين، ومن بينهم عدد كبير من السعوديين، كما أن الساحة الفنية فيها مستمرة على ازدهارها.

يمثل الشعر العربي، وفن الخط، من أطول الفنون عمراً في الرياض. وهناك وعي خاص بأهمية التراث ووجـوب المحافظة عليه، وثمة قيمة كبيرة ما تـزال تُعلّق على التقاليد والجذور التاريخية، وهذا ما يساعد على توليد فرص للتعبير الفني بأشكال عديدة، وقد ساعد انتشار التقنية ووسائل التواصل الدجتماعي على وضع هذا النوع من الفنون وغيره في متناول عدد أكبر من الناس، كما وفّر له إمكانية الوصول إلى العالم الخارجي.

وباتت فنون الشعر والخط والـرسـم والتصوير الفوتوغرافي، رائجة وشعبية في الرياض، وخاصة في صفوف جيل الشبان المتحمسين لمشاركة مجتمعهم في تشكيل سـوق للأعمال الفنية يتسم بالفطنة وينمو باستمرار.

وتستقطب الجامعات أعداداً متزايدة من الطلاب الموهوبين في مجالات عدة من تلك الفنون، وآلاف الطلاب الذين يتابعون دراساتهم في الخارج، اكتسبوا، ويكتسبون اليوم، مزيداً من التجارب والخبرات بفعل تواصلهم مع مراكز وساحات الفنون المختلفة في العالم.

يلعب القطاع الخاص دوراً فاعلاً في مجال الفنون. فصالات العرض في العاصمة تقيم معارض مختلفة تجتذب أعداداً متزايدة

من الزوّار، وأصبح الفن السعودي يحظى بالتقدير ويقتنى ضمن المجموعات، وقد عرض فنانون سعوديون عديدون أعمالهم في مراكز فنية عالمية مثل: لندن، باريس، برلين، نيويورك وبكين، حيث حظيت بترحيب النقاد.

كما عـرض فنانون مـن الـريـاض أعمالهم في جـناح المملكة في بينالي البندقية لعام ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٣م، والجهات السعودية والخليجية المعنية بالفنون تعمل على إقامة مؤسسات خاصة بالفنانين الشبان، وبراعم الأعمال الفنية السعودية التي تنتمي إلى التصوير الفوتوغرافي والرسم والتصميم، وحتى الكتابات الجدارية، تزين اليوم الساحات والأماكن العامة والمراكز التجارية والفنادق ومقرات الشركات وغيرها.

وقطاع الأعمال الصغيرة نسبياً الذي تأسس بمبادرات فردية وريادية من السكان، يحتضن بدوره عناصر فنية وتصميمية لافتة، فالمقاهي والمطاعم وواجهات المحلات ولوحات النيون المضيئة شبه التجريدية ودور الأزياء، تتكشف كلها عن وجود جهود إبداعية ملحوظة. وتشد صالات العرض الزوّار المحليين والأجانب الذي يجدون إلى جانب المعروضات شروحات ومحاضرات عن الخط العربي أو تاريخ الفن.

ويزدهر الفن اليوم بشكل خاص في قطاعات صناعة المنسوجات وتصمم الأزياء والمجوهرات والتصميم الداخلي والعمارة، إضافة إلى نموه المستمر في مجال التصوير الفوتوغرافي الرائج جداً.

وتتغذى كل هذه الأشكال الفنية على الطاقة الإبداعية عند أبناء الرياض، وتصنع واحداً من أكثر المجتمعات الشابة تواصلاً مع العالم، وتساعد على تحقيق تطلع الرياض إلى أن تكون مدينة الجمال.

الصفحة التالية

يسجِّل الفنانون التشكيليون السعوديون حضوراً متزايداً في صالات العرض العالمية. وهنا لوحات الفنان فهد النعيمة في معرض بعنوان «إبل»، أقامه في صالة «نايلة» في الرياض. تصوير مبارك الدوسري.



























١٦ | المدينة الإنسانية

إضافة إلى توفر الأمن والمسكن وفرص العمل، تعتبر الرعاية الصحية والتعليم والتدريب المهني من المستلزمات الأساسية لحسن العيش في أية مدينة عصرية، والنمو السكاني الكبير الذي تواجهه الرياض، وغلبة الطابع الشبابي عليه، يضعانها أمام تحديات كبيرة في مجالي توفير الاحتياجات الأساسية وفرص العمل على حد سواء، فهي واحدة من أسرع مدن العالم نمواً، ومنذ عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٥م، يرتفع عدد سكانها بمعدل يقارب ٨٪ سنوياً، ولم ينخفض إلا في العقد الأخير ليصل إلى ٤٪.

في عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣، كان عدد السكان ١٢٥ ألف نسمة، وكان هـؤلاء في معظمهم من السعوديين الذين يمارسون أعمالاً تقليدية، وكان الأجانب الذين يـزورون المدينة يفضلون ارتداء الثوب العربي والشماغ.

أما اليوم، ورغم أن الزي التقليدي هو الأكثر شيوعاً، فإنه أصبح أكثر تنوعاً من السابق بشكل ملحوظ. إذ أن في العاصمة نحو مليوني مقيم من غير السعوديين، اجتذبتهم المدينة من مختلف البلدان في العالم، يتحدثون بكافة اللغات، إضافة إلى ذلك، تتسم تركيبة الرياض السكانية بغلبة الشباب بالمقارنة بغيرها من عواصم العالم، فالهرم السكاني العمري للسعودينن عريض بشكل لدفت عند قاعدته ليظهر تزايد أعداد الشبان السعوديين، إذ أكثر من ٣٠٪ من السعوديين هم دون سن ١٥ سنة.

بموازاة التحديات البديهية التي يشكلها هذا الواقع، فإن هذه النسبة من السكان الشبان تنطوي على احتمالات مستقبلية إيجابية من خلال تعليمها وتدريبها وتطلعاتها عند وصولها إلى سن العمل، والمدينة تعرف جيداً مستلزمات ذلك، وتخطط لتوفيرها، ففيها نحو ٩٠٠٠ مدرسة و١٠٠ ألف مدرّس لنحو مليوني تلميذ.

وخلال السنوات الخمسين الأخيرة، تم تحقيق إنجازات مهمّة على صعيد تعليم البنات، ليبلغ عدد الطالبات في المرحلة الجامعية عام ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٥م، نحو ١٧٠ ألف طالبة. كما يندرج تطوير الطاقات الإنتاجية للإناث ضمن «رؤية المملكة ٢٠٣٠» التي نصّت على التوجه نحو رفع نسبة مشاركة المرأة في سوق العمل من ٢٢٪ إلى ٣٠ ٪ في المجالات الممكنة ضمن الأطر والقيم الاجتماعية المعمول بها في المملكة، وذلك ضمن سعي الحكومة إلى ردم الهوة ما بين مخرجات التعليم العالي ومتطلبات سوق العمل.

ومن المراكز التعليمية الجديدة في الرياض التي تؤكد ازدياد طلب الإناث للعلم وتلبيها، جامعة الأمير نورة بنت عبدالرحمن التي بنيت وفق أعلى المعايير والمواصفات خلال سنتين وشهرين فقط، علماً أنها أكبر جامعة للإناث في العالم بقدرتها الاستيعابية التي تصل إلى 1٠ ألف طالبة.

تقع هذه الجامعة في شمال شرق المدينة، ويضم مجمعها الذي تبلغ مساحته ٨ كيلومترات مربعة ١٥ كلية، ٥ منها للعلوم الطبية. ولأن الكليات الجامعية للإناث كانت سابقاً موزعة على ثلاث جامعات، فإن افتتاح هذه الجامعة أمّن انتساب ٢٥ ألف طالبة إليها فوراً.

صممت معظم مباني التدريس في هذه الجامعة حول أفنية داخلية تبردها أبراج الهواء. وتحتوي مكتبتها على خمسة ملايين كتاب ونظام تسليم آلي يطال أيـاً منها من على الرفوف، ويوصله إلى القارئة عند أماكن محددة للاستلام، وتحت سطح الأرض، يوجد ٤ كيلومترات من الأنفاق تسمح لعمال الصيانة بالوصول إلى الأنابيب، وكابلات الاتصالات والكهرباء، وتتولى فرق وطواقم من النساء فقط أعمال النظافة والعناية بالحدائق والمرجات الخضراء وحوافها المزهرة.

وبموازاة الصروح الأكاديمية الكبرى مثل جامعة الملك السعود ذات المكانة العالمية وجامعةالإمام محمد بن سعود، فإن قطاع التعليم العالي الخاص ينمو باستمرار، وبـات يتضمن خمس جامعات في الـريـاض، وهــي: جامعة الأمير سلطان؛ جامعة الفيصل؛ الجامعة العربية المفتوحة - فرع الرياض؛ جامعة اليمامة، وجامعة دار العلوم. تضاف إليها ست كليات هي: كليات الرياض لطب الأسنان والصيدلة، كلية المعرفة للعلوم والتكنولوجيا، كلية الفارابي لطب الأسنان، كليات الفيصل، كليات الغد العالمية للعلوم الطبية، كليات عناية الطبية، وكليات الشرق العربي.

ويتوفر التعليم التقني والتدريب المهني من خلال المؤسسة العامة للتدريب التقني والمهني، وتشمل المراكز الخاصة للتدريب كلية الرياض للتكنولوجيا، كلية الاتصالات والمعلوماتية، ومعاهد تدريب تقنى ومهنى للإناث.

ويبلغ إجمالي مؤسسات التدريب الخاصة هذه ٢٧٠ مركز ومعهد للذكور و ٨٨ للإناث. وتعمل هذه المؤسسات التربوية والتدريبية بالتعاون الوثيق مع القطاع الخاص، مثل المعهد العالى للصناعات

الصفحة المقابلة

لطابع الشبابي هو الغالب على أبناء الرياض. إذ تشير الإحصاءات إلى أن نحو ثلث المواطنين فيها هم دون الخامسة عشرة من العمر. ولذا، يندرج التعليم بكل مراحله والإسكان والرعاية الصحية على قائمة الأولويات عند وضع الميزانية العامة. وباحتضانهم القوي للتكنولوجيا المتطوّرة، يشكّل الجيل الشاب في الرياض، من الجنسين، فرصاً واعدة في مجال الدبتكار وتطوير اقتصاد مستقبلي متنوّع.

البلاستيكية، معهد سعودي أوجيه للتدريب، معهد جنرال موتورز للإلكترونيات السعودية والتجهيزات المنزلية.

أما الخدمات الصحية فتتأمن من خلال وزارة الصحة وغيرها من القطاعات الحكومية والقطاع الخاص، ففي العاصمة يوجد ٣٠ مستشفى، وتشمل المستشفيات الحكومية: مدينة الملك فهد الطبية، مجمع الملك سعود الطبي، مستشفى الملك سلمان، مستشفى اليمامة، وغيرها. ومعظم هذه المستشفيات يقدم التشخيص والعلاج المجانى والجراحة للمواطنين.

كما يوجد عدد كبير من مراكز العناية الطبية الأولية في مختلف أرجاء المدينة، وعدد من المرافق الطبية الكبرى الملحقة بجهات حكومية أخـرى مـثـل: مستشفى الملك فيصل التخصصي،

مستشفى القوات المسلحة، مدينة الملك عبدالعزيز الطبية في الحرس الوطني، مستشفى قوى الأمن، مستشفى الملك خالد للعيون، مستشفيات المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية. وإضافة إلى ما تقدم، تحتضن الرياض ١١ عيادة لمكافحة التدخين، ومركز للطب الوقائي، ومختبر مركزي، ومركز لإعـادة التأهيل الطب.

وبصفتها الجامعة الـرائـدة في الـشـرق الأوسـط، أطلقت جامعة الملك سعود «برنامج أوقاف الجامعة» لدعم الأبحاث والمبادرات في مجتمع المعرفة المنشود، ويساعد هذا الوقف في تمويل مشروع توسعة مستشفى الملك خالد الجامعي في جامعة الملك سعود، ويتضمن بناء كليات جديدة للطب، وكلية للصيدلة، وكلية لطب الأسـنـان، في إطـار مساعى



مستشفى الملك خالد التخصصي للعيون الذي افتُتِح عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، هو الأكبر من نوعه في كل الشرق الأوسط، يقدّم خدماته الطبية لسكان المملكة ودول الجوار الخليجي. يحتوي على ٢٥٠ سرير و١٢ غرفة عمليات. وقد أبرم اتفاقية تعاون مع مستشفى جون هوبكنز في الولايات المتحدة لتدريب الجيل المقبل من الروّاد في طب العيون.

المملكة إلى تطوير نظامها الصحي وتوسعته بشكل ممنهج، وإضافة إلى الكليات الجديدة، يتضمن المشروع إنشاء أبنية إدارية وفندقية.

لقد أدى تغير نمط المعيشة والنظام الغذائي في أوساط المواطنين السعوديين إلى التسبب بواحد من أعلى معدلات الإصابة بداء السكري في العالم، ولذا، يعمل «المركز الوطني للسكري» الجديد في الـريـاض، على تحسين نمط معيشة المصابين ومكافحة هذه الحالة من خلال ثلاثة محاور هي: العلاج، الأبحاث، والتوعية.

ويتألف مبنى هذا المركز من ثلاثة أجنحة تستفيد من الضوء الطبيعي حتى أقصى حد ممكن، من خلال البهو الداخلي

الذي يتخذ شكل واحة مفتوحة على ارتفاع ٣ أدوار، تظللها صفيحة السطح التي تؤدي دور المصفاة لضوء الشمس القوى.

ويوفر مركز الأمير نايف للبحوث والعلوم الطبية بجامعة الملك سعود، مبنيين إضافيين وحديثين سيشكلان مرافق للأبحاث من المستوى العالمي، تشمل أبحاث السرطان، وعلم الأحياء الخلوي، وعلم الوراثة، والأمراض السارية وغير ذلك الكثير، ويقع المبنيان في حرمين مختلفين تحت مظلة الجامعة، أحدهما للذكور والآخر للإناث، وسيتضمن كل منهما مختبرات تعليمية متطورة لطلاب الطب. وتم استيحاء التصميم المعماري للمبنى الرئيسي من شكل صخرة منفردة، وتم إنشاؤه على منصة تجذره في وسطه العمراني.



بموازاة الجهود الحكومية لتوفير الرعاية الطبية، ينشط أيضاً القطاع الخاص في المجال نفسه. فمجموعة الدكتور سليمان الحبيب الطبية، ومقرها الرياض، مدرجة من قِبل شركة التصنيف «إبسوس» ضمن أهم ١٠٠ علامة تجارية في المملكة، وهي تدير ثلاثة مستشفيات في الرياض، إضافة إلى عدد آخر في دول مجلس التعاون الخليحي.

وفي وسط المبنى، تقع ساحة العلوم التي تضم بهواً ومقهى ومكتبة وقاعة محاضرات. وما بين المختبرات ووحـدات العمل على الشرفات يوجد اتصال بصري وحركي، وهكذا يدعم تصميم المبنى الاجتماعات واللقاءات غير الرسمية تعزيزاً للتفاعل ولفرص الابتكار، والواجهة المدهشة المائلة إلى الخارج في فرع الإناث، تتضمن فتحات مثلثة تتجمع وتتبعثر بشكل عشوائي، وتردد أصداء العناصر التزيينية في العمارة الطينية التقليدية.

ولمؤسسة الملك فيصل في الرياض جوائزها الخاصة بها، فمنذ عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، وجائزة الملك فيصل العالمية المرموقة تمنح لشخصيات عالمية تقديراً لدورها في خدمة الإسلام، والدراسات الإسلامية، واللغة العربية، والأدب.

وهذه الجائزة التي تشمل عدة اختصاصات هي الأولى من نوعها في العالم العربي في الأزمنة الحديثة، وقد أضيفت إليها جائزة للعلوم بحءاً من عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، وجائزة للطب في عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، مما مكّنها من استقطاب اهتمام عالمي بها. ويمكن لجائزة العلوم أن تشمل الكيمياء والأحياء والفيزياء والرياضيات في إي من دوراتها التي تعقد كل عام.

في عام ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، أنشأت مؤسسة الملك فيصل الخيرية، جامعة الملك فيصل في الرياض، كواحدة من أولى الجامعات البحثية والتعليمية الخاصة وغير الربحية، وتسعى إلى تحقيق مستوى عالمي من التميز.



جامعة الملك سعودية أعرق الجامعات السعودية وأكبرها، تحتضن ٥٠,٠٠٠ طالب.



جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن، افتتحها الملك عبدالله بن عبدالعزيز عام ١٤٣٣هـ / ٢٠١١م. وهي أكبر جامعة نسائية في العالم، تتسع لستين ألف طالبة. ويضمّ مجمّعها 10 كليّة.



تشغل مكتبة الملك سلمان المركزية في جامعة الملك سعود سبعة أدوار، تبلغ مساحتها الإجمالية أكثر من ٥٠٠,٠٠٠ متر مربع، وتستوعب ٤٠٠٠ طالب جالس. أما قاعات المطالعة المضاءة طبيعياً فتعادل مجتمِعة مساحة ملعبي كرة قدم.

نسبة الشباب العالية بين أبناء الرياض مصدر تحديات على صُعد توفير التعليم والتدريب وتأمين الفرص الوظيفية، ولكنها تشكل أيضاً أملاً واعداً بالكفاءات ببلوغ هؤلاء سنّ العمل.

وتأسست من خلال تحالف ضم إلى جانب مؤسسة الملك فيصل، جامعتي هارفارد وكامبريدج، ومعهد ماساتشوشتس للتكنولولوجيا، وجامعة الفضاء العالمية، ومستشفى الملك فيصل التخصصي، ومدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، والهيئة السعودية للمدن الصناعية ومناطق التقنية (مــدن)، وشـركـة الفضاء الفرنسية، ومجموعة طاليس، وشركة أرامكو السعودية وشركة بوينغ.

وتتضمن أعمال توسعة مقر الجامعة، مركزاً للمؤتمرات ومبنى جديداً لكلية الطب، وبـمـوازاة كلية الهندسة التي تحتوي على برامج في الهندسة الميكانيكية والهندسة الصناعية والهندسة الكهربائية، والهندسة المعمارية، وهندسة البرامج، توفر الكلية برامج في علوم الحياة وبرنامجاً رائداً في الصحافة العلمية.

ومن أحدث الإضافات إلى مرافق التدريب في الرياض يمكننا أن نذكر معاهد التدريب على صيانة الطائرات والنقل، إضافة



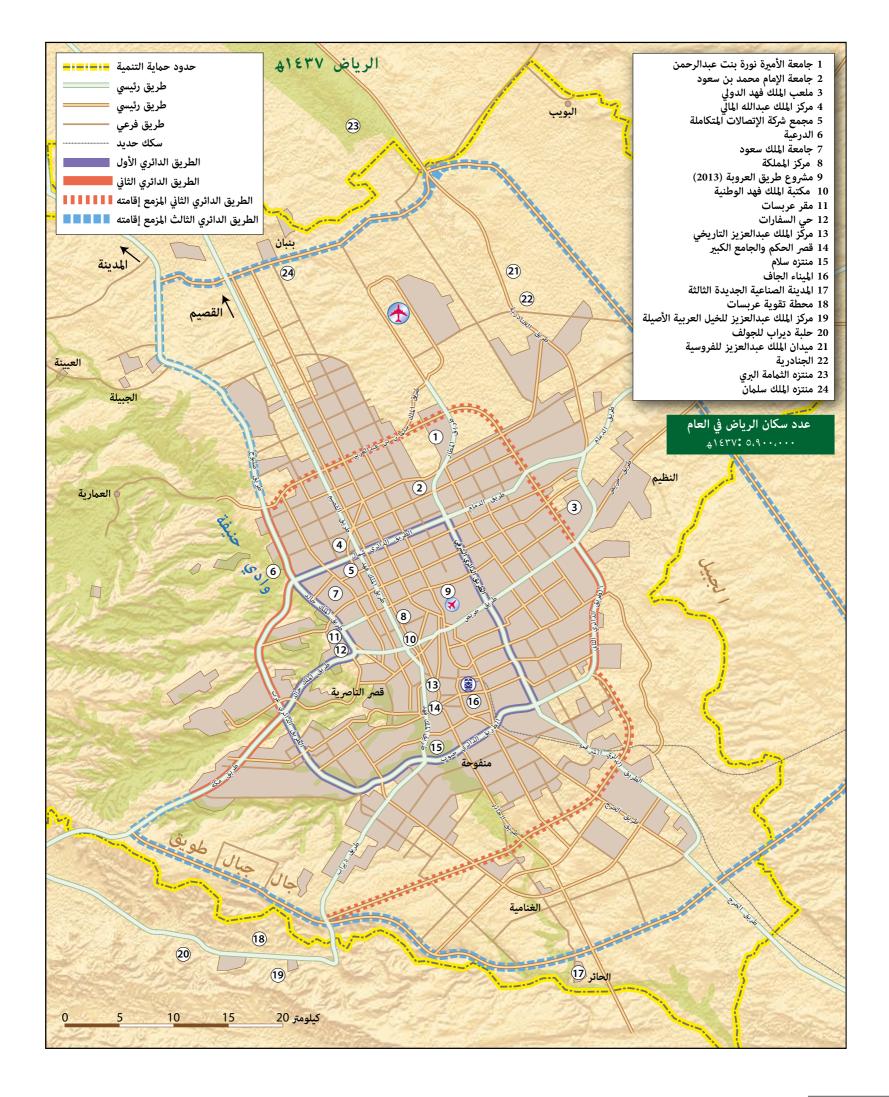
إلى المعهد العالي للتقنية المتقدمة، ويندرج كل هذا في إطار الاستجابة للحاجة إلى تطوير المهارات اللازمة لمل، فرص العمل التى يتيحها النمو الاقتصادي للعاصمة.

تبقى الإشارة إلى أن مجالات الترفيه تلعب أيضاً دوراً يعزز إنسانية المدينة، ففي كافة أرجاء الرياض توجد طرق للمشاة، كما جرت توسعة الأرصفة لتشجيع الناس على المشي، وأنشأت أمانة منطقة الرياض نحو ١٠٠ ساحة بلدية في أحياء المدينة، وزوّدتها

بمرافق رياضية، ومن الأنشطة الترفيهية الموسمية المنتظمة في العاصمة: مهرجان التمور، ومعرض الزهور، وايام التسوق، والمهرجان الزراعي.

وإضافة إلى الاحتفال بعيد الفطر المبارك، وعيد الأضحى، وباليوم الوطني، فإن العاصمة تشهد سنوياً عدداً كبيراً من المهرجانات والفعاليات في مجالات: الفنون البصرية والحرف والشعر والأدب والمسرح والتراث الشعبي.





١٧ | مدينة الدبتكار

قديماً، تمكنت المجتمعات على امتداد وادي حنيفة من التأقلم مع بيئة صحراوية قاسية، وحتى الازدهــار فيها، وفي الأزمنة الصعبة، كان بعض السكان يهاجر بحثاً عن فـرص أفضل في أماكن أخـرى مـن شبه الجزيرة العربية ومـا ورائـهـا، إذ لـم يكن أبناء هذه المجتمعات منعزلين عن العالم، كما تحاول الصور التبسيطية أن تظهرهم. ففي الواقع، كان السكان منفتحين على العالم الخارجي، كما كانوا تجاراً ورحّالة جريئين.

استفادت المنطقة من اتصالاتها بالعالم العربي الواسع وتبادل الأفكار معه، وأتاح انتشار الإسلام ورحلات الحج فرصاً إضافية للحركة وللمزيد من الاتصالات، فأصبحت بعض البلدات مثل: العيينة والدرعية من مراكز العلوم الدينية.

وإضافة إلى ذلك، اتسم الطابع الشخصي لهذه المجتمعات بالصبر على الشدائد والقوة في تحمّل الصعاب ومواجهة المخاطر والقدرات العملية، فمهاراتهم في استخدام الموارد المائية القليلة والموارد الطبيعية المحدودة لإعمار مدنهم، وتطوير الزراعة، وتربية الماشية وتأصيل الخيول والإبل، وصناعة الأدوات المنزلية والسلع التجارية، تؤكد تمتعهم بقدرة متأصلة فيهم على التأقلم والابتكار.

هذه الروح الإبداعية هي اليوم من أبرز العناصر المساعدة على تحقيق رؤية الرياض على المدى البعيد بمشيئة الله، ضمن «رؤية المملكة ٢٠٣٠»، فالعاصمة وضعت نصب عينيها العمل على أن تصبح في القرن الخامس عشر الهجري، الحادي والعشرين الميلادي، مدينة رائدة مجهّزة بكل المقومات اللازمة لذلك.

فمن حرمها الشاسع في قلب العاصمة، تشكل «مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية» رأس الحربة في استراتيجية المملكة الهادفة إلى أن تصبح دولة رائدة في مجالات العلوم والتكنولوجيا واللبتكار بحلول عام ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٥م.

وقد شارك أكثر من ٣٠٠٠ خريج جامعي سعودي في أبحاث أجريت فيها، فبالطابع الشبابي الـذي يغلب على سكانها، وأسواقها المالية الـمـدارة جيـداً، وتوفر الرساميل الـلازمـة، والتركيز على التعليم والتدريب وتوطين الأعمال وتنويع الاقتصاد، أصبحت الرياض بالفعل مدينة رائدة إقليمياً، تتموضع جيداً لأن تتحول إلى واحة معرفية عصرية.

ومن الصروح العلمية والبحثية التي قامت في الرياض مؤخراً «مركز الملك عبدالله للدراسات والبحوث البترولية» الذى افتتحه

خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز في ربيع الآخر ١٤٣٧هـ (يناير ٢٠١٦م)، وهو مؤسسة مستقلة، متخصص في إجراء الأبحاث حول الطاقة في مجالات اقتصادياتها، وسياساتها، وتقنياتها، ووقعها على البيئة.

وقد تولت شركة أرامكو السعودية إنشاء المشروع وإدارتـه، ويعكس هذا المركز المكانة العالمية للمملكة في إنتاج الطاقة وتصديرها، والريادة في الأبحاث المتعلّقة بها والسعي إلى تنويع مصادرها.

ومبنى المركز هو من تصميم المعمارية الراحلة العراقية المولد زها حديد، وبتصميمه باسلوب عصري على شكل شلال من وحدات هندسية متراصة، بات هذا المركز معلماً عمرانياً لافتاً للنظر قرب جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن، التي يجاورها على الطريق المؤدي إلى مطار الملك خالد الدولي.

ويشكل بناء هذا المركز مثالاً للابتكار الملتزم بالبيئة، إذ استوحى مخططه التوجيهي من نموذج «القرية الواحة»، فهو قائم ضمن واحة محمية، حيث برك الماء المعاد تدويره تلطف الجو بشكل طبيعي، وتروي الحدائق والنباتات المحلية ومنها بعض أنواع النباتات الصحراوية المهددة بالانقراض، ويضم المجمع مركزاً للأبحاث، ومرافق للمؤتمرات والاجتماعات، ومركز معرفة الطاقة ومركزحوسبة الطاقة.

وتحت شعاره القائل «إبحث.. فكّر مجدداً.. ابتكر»، يسعى «مركز الملك عبدالله للدراسات والبحوث البترولية» إلى أن يكون رائداً عالمياً في أبحاث الطاقة والاقتصاد والبيئة من خلال برامجه التي تشمل: إنتاج الطاقة، تحولات الوقود وتقنياته، رصد موارد الطاقة وفاعليتها في الاقتصاد، الخيارات أمام مستقبل النقل، إضافة إلى دراسات إقليمية تخاطب الصين وشرق إفريقيا بشكل خاص.

ومن أهداف المركز أيضاً، تطوير الدراسات المتعلقة بالطاقة الشمسية القابلة للاستغلال في المملكة، في إطار البحث عن مصادر دائمة للطاقة تخفف عبء الاتكال المتزايد على الوقود الأحفوري. ولهذه الغاية، أنشأ المركز حديقة شمسية لتوليد الكهرباء في المملكة، يستخدم فيها خلايا شمسية مقاومة للغبار والرمال ويختبرها.

وهذا المشروع هو السبّاق في إطار برنامج المملكة الطموح لتوليد ٢٥ جيغاواط من المحطات الشمسية الحرارية بحلول عام

الصفحة التالية

مركز الملك عبدالله للدراسات والبحوث البترولية، إضافة بارزة إلى المراكز العلمية المعزِّزة للتطوير والابتكار في الرياض. فهذا المركز هو مؤسسة مستقلة تقود بحوثاً في مجال الطاقة وسبل تطوير استخداماتها مستقبلاً. وهيكله الخارجي المصمّ على شكل وحدات هندسية متراصة تتصف بالصلابة والخشونة، ينطوي على داخل أكثر انسيابية وطراوة.





«سابك» التي تتخذ من الرياض مقراً لإدارتها، هي أكبر شركة بتروكيماويات في العالم، يعمل فيها نحو ٤٠٠٠ موظف، ولها مكاتب وفروع وشركات تابعة في ٤٠٠٠ دولة، كما أنها والدبتكار. فالمملكة باتت مؤهية لأن تؤدي دوراً عالمياً في تطوير أحدث عالمياً في تطوير أحدث التقنيات.



1801هـ/ ٢٠٣٢م، إضافة إلى ١٦ جيغاواط من الخلايا «الفلطائية الضوئية»، لتصبح بذلك الدولة الرائدة في استخدام الطاقة الشمسية في الشرق الأوسط.

والخطة الخمسية (للأعوام ٢٠١٥- ٢٠١٩م) بمشيئة الله، تواصل التركيز على بناء كفاءات في مجالات العلوم والتقنية لازمة للابتكار والتجديد في إطار البرنامج الوطني الهادف إلى تنويع الاقتصاد، والتحفيز على الاستثمار وتطوير المشاريع المتوسطة والصغيرة.

وفي إطار هذه الخطة، تم تأسيس «وادي الرياض للتقنية» في جامعة الملك سعود للمساهمة في تحويل المعرفة إلى قيمة اقتصادية. وهذا يتضمن الانطلاق من الاختراعات التقنية إلى ابتكار وتطوير منتجات جديدة للأسواق المحلية والعالمية.

واستناداً إلى «مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية»، تم تسجيل ٢٥٠ براءة اختراع في الرياض خلال عام ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٤م. وهذا العدد هو أقل بشكل ملحوظ مما هو عليه المعدل في البلدان الصناعية، حيث يصل إلى نحو٢٠٠٠ براءة اختراع سنوياً، وأعلاه هو في اليابان التي سجلت ١٧ ألف براءة اختراع في العام نفسه.

ولـذا، فإن الأولـويـة تبقى لتطوير مجتمع معرفي، وتشكيل الظروف التي تحفّز على الابتكار في الرياض، الأمر الذي ستكون له عوائد مجزية على صعيد توفير فرص العمل والأعمال.

يعتبر «وادي الرياض للتقنية» الذي أنشيء بمبادرة من جامعة الملك سعود، رائداً على المستوى الإقليمي، بتطويره للمعرفة العلمية من خلال الأبحاث، وتسريع عجلة الابتكارات، وخلق صناعات تقنية، وتغطي هذه الحديقة العلمية والتقنية مساحة كيلومترين مربعين، ضمن حرم الجامعة الموسَّع، ويتضمن هذا المشروع مقار لشركات ومراكز أبحاث توفر فرص عمل مباشرة أو بشكل غير مباشر، للقوى المحلية والإقليمية والعالمية.

وعند أكتماله في عام ١٤٤٠هـ/ ٢٠٢٠م، سيحتضن وادي الرياض للتقنية بمشيئة الله، ٣٠٠٠ عالم أبحاث، و١٢ ألف خبير في مجال الأعمال، وسيوفر ٥٠٠٠ فرصة وظيفية للكفاءات من الخريجين الجامعيين. وبرعايته للابتكار وريادة الأعمال، سيكون هذا المركز بمثابة حاضنة لمجموعة اختصاصات تشمل: تقنية المعلومات والاتصالات، التقنية الحيوية، الصيدلة، العلوم الطبية، الصناعات الغذائية، الهندسة والتصنيع، الطاقة المتجددة، الكيماويات، والبتروكيماويات.

وتتطلع الرياض أيضاً إلى أن تصبح الأولى إقليمياً في البحث والتطوير الذري، من خلال دورها الريادي في الأبحاث والتطبيقات الناتجة عن علم النانو وتقنياته التي تتطور اليوم بسرعة، وفي هذا الإطار، أطلقت جامعة الملك سعود برنامجاً تطور للدقاً إلى أن أصبح «معهد الملك عبدالله لتقنية النانو» في وادي التقنية في



رئيس مجلس إدارة سابك يترأس جلسة لمنتدى التنافسية الدولي بالرياض، بحضور عدد من كبار وهذا المنتدى الذي يجتذب مشاركين من العاصمة وكافة أنحاء العالم، يركز على الدبتكار والبحوث لتعزيز إطار الاستراتيجية الوطنية الهادفة إلى التحرر من الهادفة إلى النفط.

وتتركز الأبحاث في هذا المركز على قضايا: الطاقة، معالجة المياه، الإتصالات، الطب، الصيدلة، الغذاء، البيئة، ودراسة المواد «النانوية» ومحاكاة البنى النانوية وتشكيلها.

وفي وادي الرياض للتقنية أيضاً، أقامت جامعة الملك سعود مركز «طاقتي»، لإجراء بحوث تتعلق بتقنيات انتاج طاقة بديلة مستدامة، بما في ذلك تطوير توربينات هوائية أفقية وعامودية، وتقنيات جديدة لتوليد الطاقة الشمسية.

ويتولى «مركز كفاءة الطاقة السعودي» نشر الوعي بأهمية الحفاظ على الطاقة وترشيد استخداماتها، فاستهلاك الطاقة في قطاع الصناعة يصل إلى نحو ۲۰٪ من إنتاجها الإجمالي.

وحتى وقت قريب، كان استهلاك الكهرباء مفرطاً في المنازل والأبنية الحكومية والتجارية في العاصمة وفي البلاد ككل، فالمباني تستهلك ٨٠٪ من انتاج الكهرباء في المملكة، ٥٠٪ منها لتكييف الهواء.

ولأن أسعار الطاقة والوقود في المملكة، هي من بين الأدنى في العالم، يشدد المركز على أهمية نشر الوعي وترشيد الاستهلاك وتطوير مصادر للطاقة البديلة، وبدءاً من عام ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٤، بات على مكيفات الهواء أن تحمل «بطاقة كفاءة الطاقة» التي تؤكد جدوى استهلاكها ضمن المستويات المحددة، بـ ٤ نجوم

على الأقل للمكيف من طراز الوحدات المنفصلة، و٣ نجوم للمكيفات من طراز الشباك. وتهدف هذه التدابير إلى تحسين جدوى الاستهلاك، والحد منه ومن دعمه.

لقد تضاعف انتاج الكهرباء في المملكة مرتين خلال ١٥ سنة منذ عام ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ورغم زيادة التعرفة للمستهلك فإنها للا تزال مدعومة، والطلب عليها مستمر في الارتفاع بسبب النمو السكاني والتطوير الصناعي وتنويعه.

وهذا ما دفع المملكة إلى وضع خطة للتوسع في توليد الكهرباء هي الأضخم من نوعها في منطقة الشرق الأوسط، ويطال هذا التوسع بشكل رئيسئ مدينة الرياض التي تضم نحو ربع عدد المشتركين في شركة الكهرباء السعودية البالغ عددهم ٧ ملايين

يعتمد توليد الكهرباء حالياً على الزيت والغاز الطبيعي، ولكن هناك خطط لتنويع الوقود المستعمل من خلال تطوير مصادر للطاقة المتجددة والمستدامة، بما فيها الطاقة النووية، ففي عام ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م، وبموجب مرسوم ملكي، تأسست مدينة الملك عبدالله للطاقة الذرية والمتجددة في الرياض، للتحرر من الاعتماد على المصادر الهيدروكربونية غير المتجددة، عبر تطوير مصادر بديلة تستجيب للطلب المتزايد على الكهرباء والمياه المحلاة.

يتركز العمل بموجب هذه الخطة على تطوير خليط من المصادر النووية والشمسية والرياح والحرارة الأرضية وحتى ما كان يذهب هدراً ويمكن الاستفادة منه لتوليد الطاقة، لتوفير الزيت والغاز للأجيال المقبلة والتصدير وتصنيع البتروكيماويات، ويطمح مركز البحث والتطوير والابتكار إلى انتاج ٥٠٪ من الطاقة الكهربائية في المملكة من مصادر نووية ومتجددة بحلول عام ١٤٥٣هـ/ ٢٠٣٢م.

وفي عام ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، كشفت «رؤية المملكة ٢٠٣٠» أن «مبادرة الملك سلمان للطاقة المتجدة» تهدف إلى تأمين ٩٫٥ جيغاواط من الكهرباء من مصادر متجددة، لتخفيف الاعتماد على إنتاج المملكة من المواد الهيدروكربونية، بهدف توفير أقصى حد ممكن منها للصناعات البتروكيميائية والتصدير.

وثمة جيل جديد من العلماء السعوديين الشبّان، يتلقون اليوم علوماً متطورة وتدريبات في مجال التقنية النووية، في إطار استعدادات المملكة لتأدية دور عالمي في تطوير الموارد البشرية والتقنيات الحديثة، والاستفادة من إمكانياتها في مجالات الطاقة الشمسية والجيوحرارية والنووية.

بعد تأسيسها بموجب مرسوم ملكي في عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، لتحويل الغاز الطبيعي والزيت الذي تنتجه شركة أرامكو السعودية إلى مشتقات بتروكيماوية، نمت الشركة السعودية للصناعات الأساسية (سابك) لتصبح أكبر شركة مساهمة سعودية، وأكبر شركة بتروكيماويات متنوعة الانتاج في العالم، معروفة بأنها «موطن الابتكار».

ويقع مقر أدارة هذه الشركة العملاقة في الرياض، ويعمل فيها أكثر من ٤٠ ألف موظف، ولها مكاتب وتوابع في أكثر من ٤٠ دولة.

كما تؤدي «سابك» أيضاً دوراً ريادياً في البحث والتطوير والابتكار، وأسسّت لهذه الغاية «أكاديمية سابك» التي يضم مجمّعها بجوار المقر الرئيسي نحو ٤٥٠ طالباً ومتدرباً.

فمن ضمن رسالة سابك، تعزيز البحث العلمي والحض على البحاء في مجال علم الكيمياء لتصنيع مشتقات من النفط السعودي تكون ذات مواصفات هي الأفضل عالمياً بكل المقاييس، وتتمتع بأكبر قدرة تنافسية في الأسواق.

وأقامت لهذه الغاية «مركز سابك لتطوير التطبيقات البلاستيكية» في وادي الرياض للتقنية، لدعم الصناعات البلاستيكية وتدريب عملاء الشركة.

ويستضيف هذا المركز ١٢٥ باحثاً ومتدرباً إضافة إلى طاقم العمل، وهو الأكبر لتطوير التطبيقات في الشرق الأوسط، كما أنه رائد في تطوير تطبيقات جديدة للبوليميرات، ويدعم تنويع منتجات سابك بما فيها المطاط الاصطناعي.

وسبق لمنتجات سابك من الـمـواد البلاستيكية، أن حظيت بمكانتها في صناعة السيارات العالمية من خلال ابتكار مساعد على الحد من استهلاك الطاقة والإنبعاثات، وهو مركّب جديد من البوليكاربونات لصناعة نوافذ السيارات، ويسمح هذا المنتج المبتكر بتخفيض وزن النافذة بنسبة ٣٥٪ مما كـان عليه في النماذج الزجاجية السابقة، رغم أنه أسمك منها بنحو ميلليمتر واحد.

وإضافة إلى صناعة الزجاج بالبوليكاربونات، تقدم سابك مجموعة من المركّبات الترموبلاستيكية لكل مجالات الاستخدام الرئيسية



التمور، المحصول الزراعي التقليدي في نجد، تصل اليوم إلى كافة الأسواق العالمية بفعل روح الدبتكار وريادة الأعمال.

في صناعة السيارات، ففي سيارة «فورد فيوجن» لعام ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٣، تم استخدام ٢٠ كيلوغراماً من راتينجات سابك، لتخفيف الـوزن، والاستجابة لشروط حسن الأداء في الهيكل المعدني، والمصابيح الأمامية، وداخل السيارة وخارجها، والكهرباء وغير ذلك من التطبيقات تحت غطاء المحرك.

وبصفتها أكبر شركة طاقة في العالم، تعي شركة أرامكو السعودية أهمية الابتكار، وتشجع موظفيها على الإتيان بأفكار جديدة وابتكارات تحسّن فرص الاستفادة من الثروات الطبيعية في المملكة.

وفي إطار الإحتفالات بعيد الفطر عام ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٤م، قدّمت أرامكو السعودية في الرياض، برنامجها الثقافي «إثراء المعرفة»، وهو عبارة عن معرض كبير للعلوم والفنون يهدف إلى ترويج الثقافة والإبداع لبناء مجتمع المعرفة. واجتذب المعرض الذي أقيم تحت شعار «اكتشاف الماضي - استلهام المستقبل» وتوجه إلى الشباب بشكل خاص، أكثر من مليون زائر إلى مركز المعارض والمؤتمرات في الرياض.

وتضمنت فعاليات البرنامج «خيمة المخترعين» بالتعاون مع» يوتيوب»، والمعرض العالمي الحائز على جوائز عديدة « ألف اختراع واختراع»، ويعكس هذا البرنامج وجود اهتمام مميز بالعلوم والتقنية واللبتكار.

وتشكل التوسعة الكبيرة لـ»واحة الملك سلمان للعلوم» تطوراً يعبّر عن تواصل الدهتمام بالعلوم والتقنية والابتكار وإلهام الشباب السعودي وبناء جيل من الروّاد والمبتكرين. ولهذه الواحة 10 فرعاً (أو واحة فرعية) في أماكن مختلفة حول العاصمة، تتراوح مساحة كل واحدة من هذه الواحات العلمية المجّهزة بمحطات تفاعلية، ما بين ٣٠٠٠ و ٥٠٠٠ متر مربع ، لتشكل بذلك المركز العلمي الأكبر في العالم العربي.

إن هذه التطورات وما يرافقها من تركيز في العاصمة على الابتكار والبحث وتنويع الاقتصاد، تندرج كلها في الجهود المبذولة للتحرر من الاعتماد على النفط . وبمشاريعها ومرافقها العديدة والطليعية للبحث والتطوير، تحتل الرياض الصدارة في عملية تحويل المملكة إلى مجتمع قائم على المعرفة.

برنامج «إثراء المعرفة» الذي تعدّه أرامكو السعودية بهدف التشجيع على الدبتكار والإبداع، جذب أكثر من مليون زائر في الرياض.





۱۸ مدينة الرخاء

في عام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، قامت مؤسستان ماليتان وطنيتان مقرهما الرياض، وهما هيئة السوق المالية، والمؤسسة العامة للتقاعد، بتشكيل «شركة الاستثمارات الرائدة» التي أعلنت إطلاق مشروع طموح يقضي بإنشاء مركز مالي. وما من مشروع مشابه له على هذا المستوى من الضخامة والتعقيد سبق وأن جُرِّب تنفيذه في أي مكان من العالم بمثل هذه المهلة القصيرة المعطاة لهذا المشروع. حتى أن بعض المراقبين من خارجه كانوا يرون أنه غير قابل للتنفيذ.

ومع ذلك، فقد شمخت مجموعة ناطحات سحاب فوق خط الأفق في الجزء الشمالي من العاصمة، إنه «مركز الملك عبدالله المالي»، الذي أعيدت هيكلته في عام ١٤٣٧ه/٢٠١٦م ضمن «رؤية المملكة ٢٠٣٠» ليكون مقراً لصندوق الاستثمارات العامّة، أكبر صندوق سيادي في العالم، ما سيجعل منه بيئة «رؤية لكبريات الشركات المالية والاستثمارية. وتضمنت «رؤية المملكة ٢٠٣٠» العمل على تحويل المركز إلى منطقة خاصة ذات لوائح وإجراءات تنافسية، ومنها أن يكون منطقة مستثناة من تأشيرات الدخول ومربوطة بصالة الوصول في مطار الملك خالد الدولي مباشرة عن طريق قطار الرياض. إضافة إلى إعادة ترتيب وتوزيع المساحات في المركز لزيادة النسب المخصصة للسكن والمناطق الخدمية مقابل المكاتب، وزيادة عدد الفنادق التي تحتاج إليها مدينة الرياض. بشكل خاص.

وتزامن انتهاء مرحلة البناء الرئيسية للمركز مع قرار بفتح شركة السوق المالية السعودية (تداول) أمام المستثمرين الأجانب بدءاً من عام ١٨٣٥هـ/ ٢٠١٥م. وتبلغ رسملة السوق في تداول نحو ١٨٧٥ مليار ريال سعودي (٥٠٠ مليار دولار أمريكي)، وتفوق قيمة تداول الأسهم سنوياً هذا الرقم، مما يجعلها أكبر سوق على الإطلاق ومن دون منافس قريب في كل منطقة الشرق الأوسط وشمال

والتدابير التحريرية التي كانت منتظرة بلهفة، ستأتي بالمزيد من الرساميل الأجنبية للاقتصاد السعودي، مما سيعود بالمزيد من الفائدة على الرياض، ويؤمن المزيد من السيولة للشركات السعودية المزدهرة أصلاً. فبتوجيه من وزارة التجارة والاستثمار، تم تضمين «رؤية المملكة ٢٠٣٠» العمل على إنشاء أسواق مالية مفتوحة أمام العالم لاستقطاب الرساميل وتحفيز النمو، بما يعزز من قدرات المملكة التنافسية، ويزيد من ريادتها في مجال إدرة الأصول والتمويل والاستثمار.

الـريـاض هي عاصمة الـقـوة الاقـتصادية في العالم العربي، فالاقـتصاد الـسـعـودي يمثل ربـع إجـمالي الـنـاتـج الـعـام في المنطقة، والمملكة هي من ضمن «مجموعة العشرين» التي تضم الاقـتصادات الكبرى في العالم، ومنذ عام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، أصبحت عضواً في منظمة التجارة العالمية، ومن مقرها في مدينة الرياض، توجه مؤسسة النقد السعودي بحكمة نظاماً مالياً قوياً، نجح ، بحمد الله، في تلافي الضغوط التي طرأت مؤخراً على أسواق الإقراض إقليمياً وعالمياً، من دون المشاكل التي واجهت الدقتصادات الكبرى الأخرى، وغيرها من دول الجوار.

يعكس رخـاء مدينـة الـريـاض، قـوة المملكة عـمـومـاً ومتانة المحافظة على النظام النقدي، الذي لطالما دعّم سلامة قطاعها المالي، وإلى جانب القطاع المالي، هناك تطوير استراتيجيات في قطاعات: التعليم، الصحة والرعاية، التخطيط العمراني، البيئة، النقل، البنى التحتية، وكلها من الدلائل على نمو الرياض وتنوّع اقتصادها.

ومشاريع البنى التحتية الضخمة التي جعلت من الرياض موقع واحدة من أكبر ورش الإنشاءات في العالم، ما كان لها أن تقوم لولا، فضل الله، ثم قدرة الأسواق المحلية في المدينة ونظامها المصرفي على جمع نسبة ملحوظة من التمويل اللازم.

وقد حظيت هذه القدرة المدعومة بالخبرة بتقدير «المنتدى الاقتصادي العالمي» الذي صنّف المملكة كأفضل مركز مالي من البن دول مجلس التعاون الخليجي، كما أن الرياض هي من أكبر المراكز المالية المتوافقة مع الشريعة الإسلامية، بسوق تفوق قيمة عقودها ٣,٧٥ تريلون ريال (تريليون دولار أمريكي) سنوياً.

إن هذا النوع من الفطنة والخبرة في النظام المالي السعودي، الذي يتجلى بوضوح في الرياض، ليس من النوع الذي يمكن بناؤه في سنوات قليلة. إنه يتطلب عملاً جاداً وموثوقاً من المسؤولين، وحداً عالياً من الثقة في صفوف المستثمرين، تضرب جذورها عميقاً في التاريخ، وصولاً إلى الفطنة والاستقامة والتقاليد التي لطالما طبعت التجارة المحلية وريادة الأعمال منذ القِدم.

ومركز الملك عبدالله المالي الذي بلغت تكلفته نحو ٣٠ مليار ريال، (٨ مليارات دولار أمريكي)، هو حصيلة تخطيط دقيق يهدف إلى إنشاء مجمع في غاية التطور، مرن بما يكفي ليتماشى مع كل تطور للحق في مجال التقنية والاتصالات. ولم يحصل أن اطلق مشروع بمثل هذه الضخامة والأهمية دفعة واحدة.

الصفحة المقابلة

. أناس متعددو الجنسيات يستريحون في أحد مقاهي الرياض، ويظهر خلفهم برج المملكة الأيقوني. فالرياض هي عاصمة القوة الاقتصادية للدول العربية، والمملكة هي عضو في مجموعة العشرين التي تضم الاقتصادات الكبرى في العالم.







البهارات المختلفة والأعشاب ومنكّهات القهوة العربية متوافرة في متاجر وأسواق عديدة في مختلف أرجاء العاصمة.

يبقى رخاء الرياض ونموّها الاقتصادي على تماس مع تقاليد التجارة المحلية وإدارة الأعمال. فمتاجر الذهب الكثيرة تجتذب السعوديين والوافدين على حدّ سواء، ويلقى الذهب من عياري ١٨ و٢٢ قيراطاً رواجاً كبيراً في صفوف النساء ولدفع المهور. كما أن الرجال يحرصون في المناسبات الرسمية على ارتداء المشلح التقليدي الموشّى عند حافته بخيوط الذهب. وهنا متجر يعرض الملابس الرجالية التقليدية.



يشترط الرخاء الاقتصادي وجود الثقة في صفوف ومؤسسة النقد العربي السعودي توجه بحكمة وحذر القطاع المصرفي تجاوز الضغوط العالمية الأبعاد والوصول إلى والعالمية. والعالمية.

> والنتيجة هي هيكل عملاق ومتكامل ليكون مركزاً للمال والأعمال، أقرب إلى المدينة القائمة بحد ذاتها، ويسمح للمملكة بتعزيز دورها الممّيز والكبير في عالم المصرفية الإسلامية وغيرها، وما من مركز مالي عالمي آخر يوفر ما يوفره هذا المركز من إسكان آمن للعاملين في القطاع المالي إضافة إلى الخدمات اللازمة لهم.

> تبلغ مساحة هذا المركز 1,1 كيلومتر مربع، وإضافة إلى المساحات المكتبية، يضم هذا المركز فنادق وإسكاناً لنحو ١٢ ألف شخص، ومتاجر ومطاعم، ومتحفاً تفاعلياً للأطفال، وقاعات عرض، ورافق للمؤتمرات والترفيه، ومبنى مدهشاً يحتوي على حوض الأسماك، وقبة الفراشات لعدد من أندر أنواع الفراشات في العالم.

كما يوجد في المركز ٧ مساجد، لكل منها تصميمه المعماري المميز والخاص، وقد فاز أحدها بجائزة المركز الأوروبي للعمارة والتصميم والدراسات العمرانية.

وبأدواره الـ W وارتفاعه البالغ ٣٨٥ متراً، يهيمن برج «هيئة السوق المالية» بعمارته المميزة على الأبـراج الـ ٥٩ التي يضمها مركز

الملك عبدالله المالي. ومن الأبراج البارزة الأخرى «المركز التجاري العالمي» المؤلف من ٦٧ دوراً، وبرج مصرف دول مجلس التعاون الخليجي بأدواره الـ ٥٣ وارتفاعه البالغ ٢٤٠ متراً، ومبنى «تداول» المؤلف من ٤١ دوراً بارتفاع ٢٠٠ متر.

وقد وضع تصوّر هذا المركز ليكون مدينة عصرية مستدامة تكتفي بالحدود الدنيا من التنقل بالسيارات، فمن مواقف السيارات المنتشرة في أنحاء المركز، والتي تستوعب ١٢ ألف سيارة، يمكن للناس أن يستقلوا عربات القطار المعلق (مونوريل) التي تعمل على سكة من خط واحد، إلى ٦ محطات تربط المركز بشبكة قطار الرياض عبر محطة مركز الملك عبدالله المالى الرئيسية في المدينة.

كما تتصل معظم مباني المركز ببعضها من خلال ممرات علوية مكيفة الهواء، تسمح للناس بالتنقل المريح في أرجاء المجمع والاستمتاع بالمناظر المدهشة كما تبدو من فوق.

وأضافة إلى ذلك، يوجد ٢٦٣ مصعداً و٩٠ سلماً متحركاً لتأمين حركة الناس ما بين كل مستويات المبانى، والممرات العلوية التي يبلغ عددها نحو ١٠٠، تستحضر ذكرى الممر العلوي الطيني القديم الذي كان يصل ما بين جامع الإمـام تركي بن عبدالله وقصر الحكم.

ومن أبرز عناصر تميّز هذا المركز على مستوى التخطيط العمراني، هو في كونه أكبر مشروع منفرد في العالم لجهة تركيزه على الشأن البيئي، باستخدامه كل التقنيات المتوافرة لإعادة تدوير المياه، وتوليد الكهرباء من الطاقة الشمسية.

وتستخدم كل المباني الزجاج العالي الفاعلية والتظليل الشمسي، وإضافة إلى ألواح الطاقة الشمسية العالية الأداء لتوليد الكهرباء والحماية من أشعة الشمس، فإن الهواء المستهلك في الداخل يستغل في التبريد الأولي للهواء الآتي من الخارج، مما يخفّض بشكل كبير الطلب على الكهرباء للتكييف، الـذي هـو سبب استهلاكها الكبير في المباني الأقدم من هذه.

ولكن التركيز في هذا المشروع هو طبعاً على العمل المفيد الذي يمكّن الرياض من الاستمرار في تأدية دورها الريادي في عالم المال في الشرق الأوسط، فمن أبرز مكوّنات المركز هناك قاعة المبادلات في شركة السوق المالية السعودية ذات التصميم الفائق التطور، حيث يوجد أكثر من ١٦٠ شركة مسجلة في هذه السوق، ومن المتوقع أزدياد الاهتمام الخارجي بها بعد فتحها أمام المستثمرين الأجانب.

ومـن بين كل الأسـواق المالية الكبيرة في المنطقة، تزهو «تـداول» بحضور الشركة السعودية للصناعات الأساسية (سابك) أكبر منتج للبتروكيماويات في العالم، و»مصرف الراجحي» أكبر مقرض إسلامي في العالم، و»شركة المراعي»، أكبر شركة في العالم لصناعة الألبان ومشتقاتها، و»شركة الكهرباء السعودية» وهي أكبر شركة كهرباء في دول مجلس التعاون الخليجي. وكـل المقرات الرئيسية لهذه الشركات العملاقة تقع في الرياض.

ولكن ما قد لا يراه غير القلائل من زوار مركز الملك عبدالله المالي، لا يقل أهمية بكثير عما تقدم، ففي قلب الموقع يوجد مركز البيانات، الذي ينتمي إلى المستوى الرابع وهو الأعلى، على صعيد الأمان ومعالجة البيانات وتخزينها. ويحتوي هذا المركز على طاقة مساندة، وفائضاً من وصلات تبادل البيانات، ونظاماً أمنياً صارماً، ومراقبة بيئية قوية على شكل تكييف الهواء ومكافحة

وبفضل وجود خدمة «الـواي فاي» أينما كان، فسيكون بامكان الـنـاس أن يستمتعوا بالإنترنت الفائق السرعة، وأن يقوموا بأعمالهم ويتصلوا ببعضهم أينما كانوا ضمن المركز المترابط ببعضه ببعضه مادياً والكترونياً.

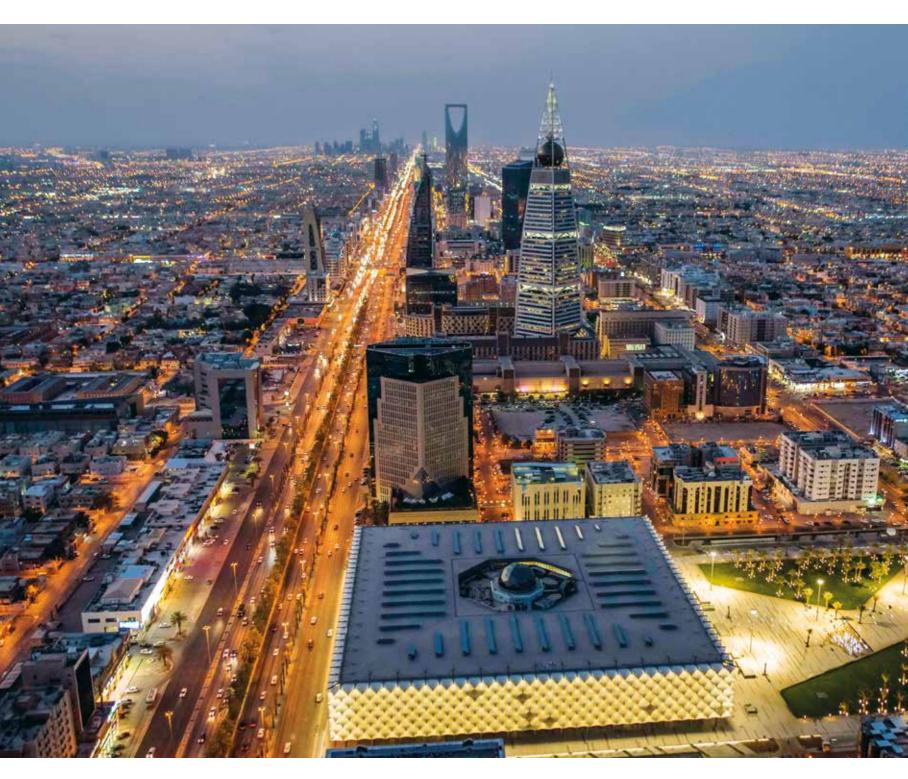
وتدير شركة الاستثمارات الرائدة، تطوير مشروع آخر في إطار استراتيجية المملكة لتنويع اقتصادها والتحول إلى مجتمع معرفي، ألا وهـو «مجمع تقنية المعلومات والاتصالات» القريب من مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية. وكما أن مركز الملك عبدالله المالي سيجعل من الرياض أكبر مركز مالي في المنطقة، فإن هذا المجمع سيجعل من الرياض عاصمة إقليمية لتقنية المعلومات والاتصالات وخدماتها، إضافة إلى التعليم والبحث والابتكار في قطاع يعتبر اليوم حاسماً لتحقيق القدرة التنافسية.

وسيعتمد المجمع على المجتمع الشبابي المتعلم والمبدع الذي ترعرع في عصر الانترنت وتبنى التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي. كما سيجتذب الشركات الرائدة في مضمار تقنيات المعلومات والاتصالات من أنحاء العالم. وسيخصص مبنيين كحاضنتين للأعمال التقنية الخاصة بالمشاريع السعودية الجديدة المتوسطة والصغيرة.

وكما هو حال مركز الملك عبدالله المالي الواقع على بعد كيلومترين إلى الشمال، سيكون لمركز تقنية المعلومات والاتصالات مركز بيانات من المستوى الرابع، يصل زمن التعطل فيه إلى الصفر، ومزود بشبكة من كابلات الألياف البصرية تؤمن الحد الأقصى من سرعة الاتصال، وتتلاءم مع الأجيال المقبلة من التقنيات لسنوات عديدة مقبلة.

ويتركز هذا المجمع في ٤ أبراج، ويتضمن نظاماً لتكرير المياه، وإنـارة ذات استهلاك منخفض من الطاقة، وتكييف هواء منخفض الاستهلاك أيضاً، وتم تلبيس الأبـراج المكعبية الشكل بطبقة مخرمة من الألومنيوم الذهبي اللون تعكس الأشعة البنفسجية وتخفّض وقع الشمس على المبنى بنسبة ٦٠٪.

وتحتوي المدينة الصناعية الأولى في الرياض، التي تأسست عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٠ بمحاذاة محطة سكة الحديد، على ٥٠ مصنعاً. والمدينة الصناعية الثانية التي أنشئت بعدها بثلاث سنوات لتأمين الأراضي اللازمة للصناعات الجديدة، تغطى مساحة ٢٠



تتصدر مكتبة الملك فهد الوطنية هذه الصورة الجوية للخط الذي تقوم عليه معظم ناطحات السحاب في الرياض، والممتد شمالاً من العليّا حتى مركز الملك عبدالله المالي. ويعود معظم التطور العمراني هذا إلى ثمانينيات القرن العشرين الميلادي وما بعدها.

في إطار تعزيز دور القطاع الخاص في التنمية الوطنية وتنويع الدقتصاد أربعة مناطق صناعية الثانية المدينة الصناعية الثانية مجموعة من النشاطات الصناعية المتنوعة تلبي المتزايدة التنويات المتزايدة والبقليمية، وأيضاً في الأسواق المحتملة أرجاء العالم، العالم، الغالم، الغالم، الخاص العالم، الخاص الخاص العالم، الخاص التحملة أرجاء الحمل الخاص العالم، المحلوا العالم، المحلوا المحتملة أرجاء



الصفحة المقابلة

الرياض هي العاصمة الأكثر حيوية ورخاء في المنطقة. وفي هذه اللقطة من شمال شارع العليّا التجاري، يظهر إلى اليسار أحد أقدم فروع مكتبة جرير. فقد تأسست هذه الشركة عام ۱۳۹۹هـ / ۱۹۷۹م، ومن ثم راحت تنمو بسرعة مذهلة في كل الاتجاهات لتصبح بائع التجزئة الأكبر للكتب والإلكترونيات في المنطقة. فالشركة المدرجةً في سوق الأسهم، تمتلك اليوم ١٠ فروع في العاصمة، و١٦ فرعاً في مناطق أخرى من المملكة، و٥ فروع في دول مجلس التعاونُ الخُليجي.

كيلومتراً مربعاً جنوب شرقي العاصمة على طريق الخرج. أما اليوم فإن الهيئة السعودية للمدن الصناعية ومناطق التقنية (مدن) التي تأسست عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، بهدف تطوير وتشغيل المدن الصناعية ومناطق التقنية ، بالتعاون مع القطاع الخاص، تقفز بتطلعاتها فوق هاتين المدينتين، عبر العمل على توسعة دور القطاع الخاص في التنمية الوطنية، حيث يجري إنشاء ع مناطق صناعية تغطي مساحة ٧ كيلومترات مربعة بجوار المدينة الصناعية الثانية، وتحتضن مجموعة من النشاطات الصناعية المتنوعة لإمداد الأسواق السعودية والإقليمية، وأيضاً الأسواق المحتملة في ما أبعد من ذلك.

يوجد اليوم أكثر من ٣٠ مدينة صناعية في المملكة، والمدينة الصناعية الثالثة في الـريـاض الـجـاري إنشاؤها هي اللـحـدث، ومشروعها هو الوحيد من نوعه، إذ وضع بالتعاون مع الإدارة العامة للسجون عبر وزارة الداخلية.

فالمصانع ١٢٠ التي تخطط (مدن) لإنشائها في ضاحية الحائر جنوبي العاصمة، تأتي في إطار شراكة تسمح بتشغيل السجناء،

وتكسبهم مهارات وخبـرات عملية تساعدهم على إصـلاح أنفسهم والـعـودة إلـى الانـدماج في أوساطهم الاجتماعية، وتشكل نموذجاً يحتذى ليس في المملكة فقط، بل في أماكن أخرى من العالم.

ولتقديم الدعم للقطاع الصناعي المتنامي بسرعة في الرياض، أسست جامعة الملك سعود في عام ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٢م، «معهد التصنيع المتقدم» فكلية الهندسة في الجامعة وقسم الهندسة الصناعية فيها، يحظيان بشهرة في العالم العربي بوصفهما مركزين للتميز في التصميم الهندسي والتصنيع، وسيخدم المعهد الزبائن من الصناعيين، ويؤمن التدريب المعرّز والأبحاث اللرّزمة للبتكار الحلول دعماً للتصنيع والتصميم ومعالجة المواد.

وفي قطاع التجزئة المتنامي باستمرار، تتولى الرساميل الخاصة إقامة المجمعات التجارية الكبرى عبر أرجاء المدينة، وتتيح هذه الـعـوامـل مجتمعة نـمـوأ سريعاً لقطاعات الصناعة والتجارة والخدمات في الرياض، وتوفر المزيد من فرص العمل، وتساعد على تحقيق تنوع اقتصادي أكبر متمركز في العاصمة.

الصفحة التالية

قام مركز الملك عبدالله المالي فوق أرض كانت خالية عند التخوم الشمالية للرياض. وبات بأبراجه التسعة والخمسين يهيمن على خط أفق المدينة.









١٩ | الواحة العصرية

يقع مفهوم «الوحة العصرية» في صميم رؤية الرياض مدينةً مستدامة، ويستمد هذا المفهوم مضمونه من المعنى التقليدي لكلمة الواحة بوصفها بيئة خضراء ينعم سكانها على مدار السنة بالماء اللاّزم لوجود المراعي والعناية بالنخيل والزراعات الأخرى.

ولكن مفهوم الواحة المعاصرة يمتد إلى ما هو أبعد من المعنى الحرفي للكلمة، فمفردة الواحة موجودة في كل اللغات الأوروبية تقريباً، ومؤلفو المعاجم يشيرون إلى أن نصف استخداماتها في اللغة الإنكليزية مثلاً، هي مجازية، حيث تعني بيئة لطيفة وهادئة، وملجاً من صخب المدينة والحركة المحمومة فيها.

ولـذا، فإن مفهوم الـواحـة المعاصرة، لا ينحصر في المعنى التاريخي للكلمة وجـذورهـا ونظام الأوديـة الطبيعي الـذي كان يغذيها، ولكنه يتضمن محتوى أوسع من ذلك، لبصبح أقرب إلى التعبير عن ملاذ يعكس الثقافة الإسلامية والتراث العربي ويلتزم بهما، ويذّكر المواطنين بجذورهم القديمة عندما كان الإنسان والطبيعة واحداً، وهو مفهوم يجسد تعاليم القرآن الكريم والمبادى، والتقاليد العربية الأصيلة في احترام البيئة والطبيعة.

ولكن التطور العمراني كان من الضخامة بحيث أنه أثر سلباً على هذه العلاقة القديمة ما بين الإنسان والطبيعة، التي ظلت صامدة حتى وقت قريب نسبياً.

ففي العاصمة معمّرون يذكرون نشأتهم في المدينة القديمة وضواحيها، ويؤكدون أنه قبل الشوارع المسفلتة والكهرباء وباقي المستلزمات الحديثة، كان الناس على تماس كبير بالطبيعة. فبساتين النخيل المروية والحقول المحيطة بالرياض كانت استراحات ممتعة، تحتوى بالإضافة إلى صفوف النخيل، على مساحات يختلط فيها إخضرار الحدائق بألوان الأزهاروالأشجار على امتداد سواقى المياه التى تتعرج بين البساتين.

ولكن كل ذلك راح يتراجع أمام زحف العمران، حتى أنه بحلول السبعينيات الهجرية/ خمسينيات القرن العشرين، لم يكن قد بقي الكثير من ذلك الحزام الأخضر الزمردي الذي كان في الماضي يلف مدينة الرياض، فمع توحيد البلاد، تسارعت وتيرة العمران الذي ترافق مع استتباب الأمن والاستقرار، ما خلق الظروف الملائمة لاجتذاب سكان البادية والقرى والبلدات الصغيرة إلى الرياض للإقامة فيها.

فهنا بامكانهم أيضاً أن يستفيدوا من الخدمات العامة والمرافق الحديثة في المدينة النامية ذات الفرص الكثيرة للتجارة والعمل.

كان الملك عبدالعزيز، رحمه الله، يهوى الخروج من حدود المدينة للتنزه في البساتين المجاورة والصحراء في ما ورائها، إما مشياً وإما راكباً، وكانت بساتين الشمسية على بعد كيلومترات قليلة من الأسوار من وجهاته المفضّلة للتخييم، يقصدها عبر بوابة الشمسية ومجرى وادي البطحاء الرملي، وللرحلات الأبعد من ذلك، كان يذهب راكباً، ويتجه شرقاً عبر بساتين النخيل، ثم الصحراء، فالبساتين المعروفة تقليدياً بالباطن على وادي حنيفة.

واليوم، ما تزال الذاكرة الجماعية لسكان الرياض تختزن في باطنها حب الأماكن المفتوحة، وتدفعهم إلى القيام بالكثير من الرحلات للتنزه والتخييم في رحاب الطبيعة، ولكن المسافات إلى الصحراء الأصيلة والجميلة خارج حدود المدينة، صارت بمرور الزمن أطول بكثير من السابق، من هنا نمت الحاجة إلى وجود حدائق ومتنزهات ضمن المدينة المتوسعة.

كانت حديقة الفوطة غربي المربع، من أوائل الفضاءات العامة في الضواحي الجديدة، وعلى مسافة بضعة كيلومترات شمالاً هناك حديقة جبل أبو مخروق، وهي عبارة عن تلة قمعية الشكل ذات حفرة طبيعية عند قمتها، وكان هذا المعلم الطبيعي المعروف يستخدم قديماً كمرقب. وقد نجا هذا الجبل الصغير الذي بات يعرف باسم عين الجمل، من اجتياح العمران وجرافاته، وأصبح متنزهاً غربي حديقة الحيوانات في الرياض التي كانت قد تأسست عام ١٩٧٧هـ/ ١٩٥٧م، وأعيد تجهيزها لاحقاً في ضاحية الملز لإيواء الحيوانات الجديدة.

منذ تأسيسها، أدركت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، الحاجة إلى حماية البيئة ومراقبة التلوث في المدينة، فرّكزت اهتمامها على معالجة قضايا تلوث الهواء والانبعاثات والنفايات الصناعية وتلوث المياه الجوفية ووقع حركة السير والنشاط الصناعي على نوعية البيئة في المدينة. وتضمنت المشاريع الكبرى التي نفذتها الهيئة في المدينة عبدحدائق ومتنزهات ومناظر طبيعية متكيفة مع الظروف الصحراوية، فازت بجوائز إقليمية وعالمية إضافة إلى ترحيب السكان بها، ومن أمثلة هذه المشاريع: حي السفارات، منطقة قصر الحكم، مركز الملك عبدالعزيز التاريخي، متنزه مسلام، الجزء الأوسط من طريق الملك فهد، وادي حنيفة، الدرعية التاريخية، متنزه الثمامة، طريق الملك عبدالله، التقاء طريقي أبي بكر الصديق وطريق العروبة.

وبحلول عام ١٤٢٠هــ/ ٢٠٠٠م، تضمنت الرؤية التي وضعت لمستقبل الرياض عناصر عديدة تأخذ العامل البيئى بالحسبان،

الصفحة المقابلة

الرياض وغيرها من المدن والبلدات المطلّة على وادي حنيفة اشتهرت تاريخياً بأنها واحة تُعنى بزراعة النخيل والمحاصيل الزراعية. واليوم، يشكّل مفهوم الواحة العصرية جزءاً رئيساً من رؤية الرياض لتكون مدينة مستدامة





الصفحة السابقة

يشكل منتزه سلام واحة عصرية في قلب الرياض، تستقبل عائلات المدينة الستمتاع بلطف ظلال أشجارها. وهذا المنتزه الذي قامت على أعمال الذي قامت على أعمال مدينة الرياض، يضم بحيرة الصطناعية تبلغ سعتها المياه، أي ما يوازي سعة طريق الملك فهد بالأشجار المغروسة على امتداده الحدود الغربية للمنتزه.

بالتطلع من بوابة دخنة باتجاه ميدان دخنة المغروس بالنخيل والمواجه للمحكمة العليا والمحكمة الجزائية، فإن كل المباني الظاهرة هي من مشاريع الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض.

وتحرص على أن تكون العاصمة واحة جديدة: جميلة، إنسانية، قريبة من الطبيعة ومستدامة لما فيه خير الأجيال المقبلة.

المشروع الأول الكبير في مجال إعادة تأهيل البيئة الذي عملت عليه الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، كان برنامج التأهيل البيئي لوادي حنيفة، الذي يعد أكبر مجرى مائي وأطول وادي في منطقة الرياض، وكان لقرون عديدة مصدراً للحياة للمجتمعات التي قامت من حوله، فالدرعية قامت على ضفتيه، كما قامت الرياض بجانب رافده وادى البطحاء.

ولكن توسع المدينة خارج أسوارها أدى في أواخر السيعينيات الهجرية، خمسينيات القرن العشرين، إلى تحول وادي البطحاء إلى مصرف للمياه المستعملة، تحيط الأبنية التجارية بمجراه على الجانبين، وفي مطلع القرن الهجري الجديد/الثمانينيات الميلادية، تمت تغطية هذا المجرى، ولكن توسع الرياض كان يشير إلى أن وادي حنيفة بات في دائرة الخطر بسبب تمدد العمران في اتجاهه.

ففي عام ١٤٢٠هــ/ ٢٠٠٠م، كان وادي حنيفة بطوله البالغ ١٢٠ كيلومتراً، قد أصبح أكثر تلوثاً في معظم أجزائه. وأدركت الهيئة

ما ينطوي عليه تأهيل هذا الـوادي وتطوير مـوارده لمصلحة المدينة، فبدأ العمل بفرض رقابة صارمة على مصادر تلويث الوادي، ومن ثم شرعت في تنفيذ برنامج طموح، تم بموجبه رفع النفايات والركام وتنظيف بطن الوادي وإعادة تأهيل النظام البيئي الحساس فيه، وتصميم منظره العام بحيث بات يوفر أماكن للتنزه، وأخرى للزراعة، إضافة إلى تضمينه نظاماً في غاية التطور للمعاجة الحيوية للمياه.

فبموجب مشروع تأهيل الوادي، تم إنشاء ٩ حدائق عامة على امتداد مجراه، وعدد من البحيرات الاصطناعية، وسلسلة من ممرات المشاة، وسبل متعددة للتنزه، في الوقت الذي جرى فيه رفع أكثر من نصف مليون متر مكعب من النفايات والركام من بطن الوادي، لتحل محلها أكثر من ٣٠ ألف شجرة، و٥٠ ألف شجيرة مختارة جميعها من النباتات المحلية. وفي عام ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م، نالت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض للمرة الرابعة جائزة الآغا خان للعمارة، وكانت هذه المرة لعملها على إعادة تأهيل وادي حنيفة وتطويره، وكانت هذه المرة الأولى التي تمنح فيها هذه الجائزة لمشروع بيئي.

وجاء في حيثيات منح الجائزة: «إن هذا المشروع يعكس اتجاه مد التطور العمراني السريع الذي أسقط المساحات العامة في



مدن عديدة من العالم الإسلامي ضحية الاستباحة وغيرها من الممارسات التي تحرم السكان من مواردها، وهذا ما يحصل دائماً على حساب القيم البيئية والأنظمة البيئية الحساسة».

وتضيف الحيثيات: «إن مشروع تطوير وادي حنيفة، يؤكد بثقة وجود خيار بيئي بديل للتطوير العمراني، إنه يظهر كيف أن مكاناً يمثّل ظاهرة طبيعية، وأصبح بفعل العمران مكباً للنفايات ومكاناً خطراً، وندبة على وجه المدينة العاصمة، يمكن أن يتبدل حاله بفعل التخطيط الملتزم بالقيم الاجتماعية، وتصميم المناظر وفق بنية تحتية تتسم بسعة الخيال، لقد منحت الجائزة لهذا المشروع لرؤيته وإصراره على تطوير بيئة مستدامة، فمن خلال استخدام تصميم المنظر الطيعي العام كبنية تحتية بيئية، تمكن المشروع من إعادة تأهيل قدرة الأنظمة الطبيعية على تقديم الفيضانات، وتوفير موطن للتنوع الحيوي، وخلق مجالات للترفيه والتربية والتجارب الجمالية، ليصبح وادي حنيفة بذلك أطول حديقة في أية مدينة من العالم.

وركّـزت المرحلة الثانية من هذا المشروع البيئي على إعادة تأهيل روافد وادى حنيفة البالغ عددها ٤٠ رافداً، من أشهرها:

وادي لبن، ووادي نمار، اللذين أنهت الهيئة تأهيلهما وفقاً للمواصفات والمعايير التي جرى بموجبها تأهيل مجرى الوادي الرئيسي، في الوقت الـذي يتواثل فيه العمل على تأهيل وادي البطحاء، وعدد من الروافد الأخرى، وعند اكتمال كافة مراحل البرنامج، سيكون هناك المزيد من المساحات الخضراء والمرافق الترفيهية، وسيضخ المزيد من الهواء النقي في أحواء الرياض.

ومن مشاريع الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، هناك أيضاً مشروع متنزه الثمامة البري الذي تبلغ مساحته ٣٧٥ كيلومتراً مربعاً، وتحده جبال العرمة. فالثمامة متنزه شعبي منذ زمن طويل. وهي اليوم منطقة محمية، تضم منتجعات رفيقة بالبيئة، ومخيمات للشبان، ومناطق تخييم للعائلات، وفيها أيضاً مطار نادي الطيران السعودي، ومرافق مركز الملك عبدالعزيز للخيول العربية الأصسية، ومركز الملك خالد لأبحاث البيئة، وحديقة سفاري تحتضن حيوانات من الجزيرة العربية، وحديقة للرحلات البرية، ومركز للزوار لتعريفهم بالحياة الصحراوية ونشر الوعي البيئي.

وبناء على النجاح الشعبي والترحيب العام الذي لقيته المساحات الخضراء في المشاريع الأولى، دشنت الهيئة العليا لتطوير مدينة

تحدّث الرحّالة الأوائل الذين زاروا الرياض قديماً، عن خط ذي لون أخضر زمردي كان يطالعهم عند اقترابهم من تخوم المدينة. أما اليوم، فإن الحدائق والمتنزهات الجميلة والأودية التي أعيد تأهيلها، تؤمن بيئة خضراء يستمتع بها السكان.



الرياض مشروعاً أخضر فريد من نوعه في الرياض عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ألا وهو «متنزه سلام» الذي شكّل واحة في قلب الرياض الصاخب، وتضمن بحيرة تغطي أكثر من ثلث مساحته الإجمالية البالغة ٣١٣ ألف متر مربع، وأكثر من ١٠٠٠ نخلة، و١٠ آلاف نبتة مائية، و١٩٠٠ شجرة للتظليل، و١٠٠ ألف شجيرة.

في عام ٣٤١هـ/ ٣٠١٣م، افتتح متنزه الملك عبدالله بجوار إستاد الأمير فيصل بن فهد الرياضي في حي الملز، كان مضماراً لسباق الخيل في السابق . ويضم هذا المشروع الذي قامت به أمانة منطقة الرياض، نافورة مياه مضاءة، ومساحات للنشاطات العامة، بما فيها احتفالات العيد وعـروض الفلكلور الشعبي، ومسرح للأطفال.

كما تشمل مشاريع «تخضير» الرياض الأخـرى، تدشين متنزه الملك سلمان في ضاحية بنبان الشمالية عام ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م وإنشاء ١٠٠٠ ساحة عامة، وتصميم مساحات شاسعة من الحدائق وتشجيرها وتأهيل الحدائق القائمة، و وإنشاء حدائق عامة جديدة في مختلف أرجاء المدينة.

وتشير إحصاءات «المرصد الحضري لمدينة الرياض» إلى أن نسبة الأراضي المخصصة للترفيه والتنزه والحدائق في الرياض، بلغت

١٣ متراً لكل شخص، وهي أعلى من تلك الموجودة في معظم المدن الكبرى.

ومن المشاريع البيئية والتجميلية الكبرى الجاري تنفيذهافي العاصمة، «مشروع حدائق الملك عبدالله العالمية، الذي تقوم عليه أمانة منطقة الرياض في الجزء الجنوبي الغربي من العاصمة، ويتضمن هذا المشروع الطموح إنشاء أكبر حديقة يتم التحكم في درجات الحرارة بها في العالم، وذلك من خلال تبني تقنيات حديثة للطاقة المتجددة وحفظ المياه، وتخفيض كلفتها البيئية حتى الحدود الدنيا.

وقد صمّمت هذه الحدائق للطلاع الزوّار على التغيرات التي طرأت على مكونات الغطاء النباتي في شبه الجزيرة العربية عبر العصور الجيولوجية، وخلال الفترات المناخية المختلفة التي عرفتها المنطقة قديماً. كما سيكون هناك فضاء مغلق يسمح للطيور بالطيران الحر، مع ملجأ خاص بالطيور الغريبة، وحديقة مائية، وحديقة على شكل متاهة، وحديقة «طبية» مصممة لعرض الخصائص العلاجية للنباتات، بما فيها ما كان يستخدم قديماً في الطبابة التقليدية.

وتحاذي حدائق الملك عبدالله العالمية سلسلة جبال طويق الرائعة بالقرب من الجزء المعروف تقليدياً باسم العارض، وثمة مشروع



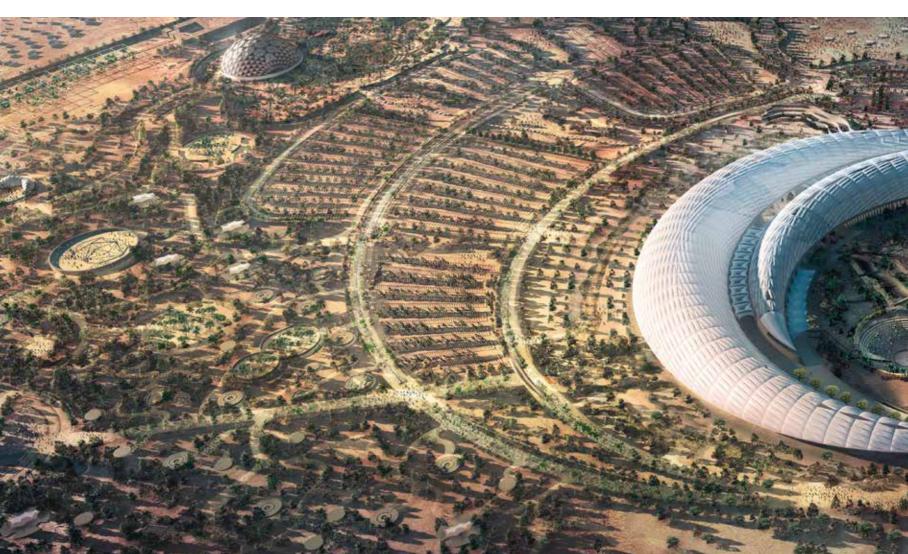
تم إقراره مؤخراً من الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض للإقامة متنزه وطني باسم «متنزه العارض الوطني» بطول ٥٠ كيلومتراً ومساحة تصل لأربعة ألاف كيلومتر مربع على امتداد الجروف

الشاهقة التي يبلغ ارتفاعها ٣٠٠ متر، ومن قممها حتى أسفل منحدراتها الحادة.



قسم من جبال طويق يبلغ طوله ٥٠ كيلومتراً، سيكون جزءاً من متنزه وطني غرب مدينة الرياض.

حدائق الملك عبدالله العالمية، من مشاريع بلدية الرياض، ويراد لها أن تكون موضعاً عالمياً لفهم مسار التغير المناخي وتبعاته ودراسته، إضافة إلى كونها معرضاً ضخماً للثروة البيئية في شبه الجزيرة العربية.





۲۰ | ترمیم العاصمة الأولی

بعد سقوط الدرعية عام ١٣٣٣هــ/١٨١٨م، ولفترة قصيرة، كانت هناك محاولة لإعادة إعمارها، غير أنها انتهت بالتدمير المنهجي للمدينة عام ١٣٣٦هــ/١٨٦١م. ومنذ ذلك الحين، وباستثناء بعض المحاولات المحدودة لإعادة بنائها التي لم يكتب لها النجاح، ظلت عاصمة الدولة السعودية الأولى مهجورة لأكثر من قرن ونصف من الزمن. ولكن أعيدت زراعة الوادي الخصيب والأراضي التي يسهل ريّها.

وباستثناء تغير الأحـوال بفعل جفاف ضرب المنطقة نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، بقي المزارعون والتجار يعيشون في أنحاء متفرقة من القرى الصغيرة والمزارع في الدرعية،وخلال زيارته لها عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٧م، قدر فيلبي عدد سكانها آنذاك بسبعة آلاف نسمة.

وفيما كانت الرياض تنمو وتتوسع، كانت الدرعية تنمو بدورها في ظلها، فقد جاءتها بعض العائلات السعودية التي أعادت بناء القسم الشرقي من حي الطُريف بمحاذاة بساتين النخيل على امتداد الـوادي، ولم يكن هناك أي نقص في مواد البناء، حيث أعيد تدوير الطين الموجود في ركام الأبنية لصناعة طوب جديد، وكذلك استخدمت أخشاب الأسقف والأبواب القديمة، ولاحقاً، تم مدّ بعض الخطوط الكهربائية إلى الأبنية، كما كانت هناك تغييرات عشوائية مثل: تركيب أبواب معدنية، وأقفال حديثة بدل الأبواب التقليدية التي كانت من الخشب المزخرف، والأقفال الأصلية التي صار يسعى وراءها هواة جمع التحف.

فوق الهضبة الواقعة على الضفة الغربية لـوادي حنيفة، بقي حي الطُريف خالياً، ومع أن العديد من أبنيتها تهدم تماماً بمرور الزمن، فإن الشكل العام للمباني الكبرى، والطرق والممرات بقي واضحاً، إضافة إلى وضوح النسيج العمراني العام للمدينة، وبمحاذاة اللـُطلال لجهة الشرق، نمت مدينة عصرية صغيرة، وأصبحت مقر إمارة الدرعية، التي تدير عدداً من البلدات التاريخية في وادى حنيفة مثل: العيينة والجبيلة.

في عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، أجري اختبار فريد من نوعه، وهو تأسيس «مركز التطوير الاجتماعي» الـذي أقيم في الـطرف الشمالي لحي البجيري التاريخي، بدعم من الأمم المتحدة، ومشاركة وزارات: التربية، والصحة، والزراعة (البيئة والمياه والزراعة حالياً)، وكان والشؤون الاجتماعية (العمل والشؤون الإجتماعية حالياً)، وكان هذا المشروع ريادياً قي إطار أول برنامج وطني للتطوير الاجتماعي يركز على تعليم البالغين، ومحو الأمية، والطب الوقائي والصحة العامة وتحسين الزراعة.

وكان نجاح هذا البرنامج في الدرعية كبيراً وملحوظاً إلى درجة دفعت إلى تطبيقه في مختلف أنحاء المملكة، من خلال إنشاء ٣٧ مركزاً مشابهاً في العقود الأربعة التالية.

في عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، وضِع حي الطريف تحت إدارة الوكالة العامة للآثار بموجب نظام الآثار الصادر عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٧٢م، وبعد ذلك بخمس سنوات كانت آخر البيوت في الطُريف قد خلت من السكان الذين اقتصر حضور بعضهم على زيارات متقطعة من باب الحنين إلى بيوتهم الطينية، وما كان قد تبقى من المدينة القديمة شمل حي الطريف والقرى المقابلة على الجهة الأخرى من الـوادي بما فيها حي البجيري وبعض البيوت حول مسجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وقد حافظت هذه المناطق، وغيرها من المواقع القريبة منها على طابع البيئة الزراعية المميز في الوادي، من خلال بساتين النخيل والحدائق التي بقيت تشكل حزاماً أخضر حول العاصمة القديمة، يذكّر بقوام الحياة فيها خلال ماضيها العاصف باللـُحداث.

في عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، وتحت قيادة وإدارة ومتابعة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز،حفظه الله، حينما كان أميراً لمنطقة الرياض ورئيساً للهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، صـدرت الموافقة السامية على إطلاق «برنامج تطوير الدرعية التاريخية» تحت إشراف الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض.

وانطلق مشروع الترميم وإعـادة التأهيل للحفاظ على التراث التاريخي لموقع الدرعية، وتحويل المنطقة إلى موقع للسياحة التاريخية والثقافية المستدامة، وتولت الهيئة مسؤولية إعداد الدراسات والتنفيذ بالتنسيق مع كل من: الهيئة العامة للسياحة والـتراث الوطني، ودارة الملك عبدالعزيز، ومحافظة الدرعية

تطلبت حماية الموقع التاريخي وإنعاش النشاط الاقتصادي المحلي في المنطقة، وضع مخطط للمحافظة عليها بشكل مستدام، يبرز أهمية المدينة التاريخية وعمارتها الأصلية. وشمل مشروع الترميم مساحة ١,٦ كيلومترات مربعة، لم تقتصر على المباني الأصلية، بل حافظت أيضاً على شبكة الطرق والسبل القديمة.

وأتت الدراسات والجهود الكبيرة في هذا المشروع بثمارها. ففي عام ١٤٣٠هـ/٢٠١م، جرى تسجيل حى الطُريف ضمن قائمة مواقع

الصفحة المقابلة

. بدأ برنامج ترميم الدرعية التاريخية وتطويرها عام ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، بهدف تحويلها إلى وجهة رئيسة للسياحة الثقافية. وقد أعطى حسن التخطيط وتنفيذ الأعمال ثماره: ففي عام ١٤٢١هـ / ٢٠١٠، أعلنت منظمة اليونيسكو عن إدراج حى الطريف في الدرعية على قائمة مواقع التراث العالمي.





الصفحة السابقة

الدرعية كما تبدو للناظر إليها عبر وادي حنيفة باتجاه الرياض. وتظهر في هذه الصورة الأسوار الدفاعية، وعلى مسافة متوسطة إلى اليسار يرتفع أكبر علم للمملكة تبلغ مقاييسه P × ۲۵ متراً.

التراث الثقافي العالمي التابعة لمنظمة اليونيسكو، وكان ذلك بعد سنتين على تسجيل «مدائن صالح» التي كانت أول موقع تاريخي سعودي يُسجل على هذه القائمة.

وبموجب هذا المشروع، سيكون حي الطُريف الذي تبلغ مساحته نحو ٣٠٠ ألف متر مربع، مركزاً للتراث الحي، وسيضم ٥ متاحف ومـركـزاً للستقبال الــزوار، يمكن الــوصــول إلـيــه إمــا مــن ضفة الوادي الغربية، وإما من حي البجيري عبر جسر الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

ومن مقومات المشروع ترميم واجهات المباني القديمة في الطُريف التي ستُجهز من الداخل لتكون متاحف مزوّدة بأحدث تقنيات العرض المتحفية لمحتوياتها المخصّصة لمواضيع محددة تتعلق بالدولة السعودية الأولى.

فمتحف الدرعية الذي يقام في «قصر سلوى» التاريخي المرمّم، مخصص لعرض تاريخ الدولة السعودية الأولى من خلال الأفلام والصور والمنتجات الحرفية القديمة وقاعة تفاعلية، وعلى مقربة منه، يوجد موقع جامع الإمام محمد بن سعود الذي تكشفت عنه الحفريات الأثرية، وأظهرت أبعاده الحقيقية.

وبجوار القصر، سيضم «بيت المال» المعاد ترميمه بجدرانه السميكة متحفاً لما كانت عليه الشؤون المالية والاقتصادية في الدولة السعودية الأولى، ويعرض بالتفصيل ما كانت عليه وسائل جباية الزكاة والعملات المستعملة آنذاك، والأوزان والمقاييس المعتمدة، وأيضاً جهود الحكام السعوديين في تثبيت مقاييس النقد والصرف.

ويستحضر «متحف الخيول العربية» الأصيلة ذكرى الإسطبل الشهير الـذي كـان للإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد، ويظهر أهمية الحصان العربي في الحياة اليومية وفي الحروب، فالخيول التي أسرت عند سقوط الدرعية ونُقلت إلى القاهرة، شكلت نواة الاسطبل الذي كان لمحمد علي باشا. ومن مصر، صُدّرت هذه الخيول إلى أوروبا وأمريكا الشمالية، حيث ما تزال حتى اليوم تتناسل وتحظى بعناية المربين الذين صاروا يعرفون أصولها الحقيقية. واليوم، يحتفظ مركز الملك عبدالعزيز للحصان العربي الأصيل في ديراب جنوبي الرياض، بسجلات للخيول العربية، ويشرف على برامج وطنية في المملكة للحفاظ على سلالات هذه الخيول التاريخية الأصيلة مناقاة والمسلكة للحفاظ على سلالات هذه الخيول التاريخية الأصيلة

وفي جوار قصر ثنيان بن سعود، وضمن بعض الأبنية الملاصقة له، يقام متحف مخصّص للتاريخ العسكري والحربي في تلك الفترة، يعرض أسلحة وتجهيزات عسكرية، ويعطي لمحة عن المعارك الكثيرة التي جرت في الفترة الحافلة بالأحداث، بين عامي ١٧٤١هــ/١٧٤٤ و٣٣١هــ/١٨١٨م، وهو تاريخ حصار الدرعية الذي آل إلى سقوط الدولة السعودية الأولى. كما يقع بجوار هذا المتحف «بيت العرضة»، الرقصة الشعبية والتقليدية في المملكة، والتي أدرجتها منظمة اليونيسكو في عام ١٤٣٥هــ/ ٢٠١٥م على قائمة التراث المعنوى العالمي.

وثقة متحف للحياة اليومية في قصر عمر بن سعود والمباني المجاورة، لعرض ما كانت عليه الحياة والعادات والتقاليد من خلال معروضات كانت تستخدم في الحياة اليومية، وتعود إلى زمن ازدهـار العاصمة القديمة، كما سيكون في الموقع مركز لدراسة تاريخ الدرعية وأصولها.

واستناداً إلى ما تقوله منظمة اليونيسكو، فإن حي الطُريف في الدرعية التاريخية هو «متحف بارز للاستيطان الإنساني التقليدي في بيئة صحراوية، ويعبر عن مرحلة مهمة من تاريخ الاستيطان في الهضبة الوسطى من شبه الجزيرة العربية، عندما أصبحت الدرعية في القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، عاصمة الدولة الناشئة آنذاك»، وإضافة إلى ذلك، فإن الطرق المجدّدة بعناية والبيوت الطينية المرممة بدقة وأمانة لما كانت عليه، تتكشف عما كانت عليه من الداخل.

إن أعمال الترميم والتطوير في هذا المشروع، نجحت بحمد الله، في تحويل الدرعية إلى أكبر موقع تراثي في المملكة تحيط به المتنزهات والحدائق، ويستحضر ذكرى الزمن الذي كانت فيه هذه المدينة مترامية الأطراف ومزدهرة وسط واحتها الغنّاء.

على الضفة الأخرى من الوادي، يقع حي البجيري الذي كان مركزاً للعلوم الدينية والدعوة الإصلاحية في أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وبداية القرن التالي. وفي إطار برنامج تطوير الدرعية التاريخية، بات حي البجيري بمثابة بوابة الزائرين إلى حي الطريف، بعد أن جرى تطويره ليشتمل على حدائق وميداناً عاماً، ومصطبات على امتداد الوادي، ومطاعم ومتاجر، وقاعات تراثية، إضافة إلى مؤسسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومسجدين أحدهما مجدّد، والآخر تاريخي مبني بالطوب ومرمّم، وتبرز أبنية المؤسسة بجدرانها الحجرية الضخمة، ضمن محيطها الذي يحتوى على أبنية أصغر في البجيرى.

أعيد بناء هذا الحي باستخدام مواد بناء محلية تشكل توليفة متناغمة من حجر الرياض الجيري، والطوب وخشب الإثل، وقد حدد المخطط التوجيهي لبرنامج تطوير الدرعية التاريخية، الهدف من هذا المشروع على أنه إيجاد فضاء يخلو من حركة المركبات، حيث يمكن للمشاة أن يسترخوا، وأن يتلمسوا شيئاً من شخصية حي البجيري بوصفه مركزاً للعلوم الدينية، ومدخلاً لحى الطريف.

وقد بدأ العمل في المشروع عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧ م، فأزاح العمّال كميات ضخمة من الأبنية والركام وأشجار النخيل والأعشاب البرية قبل البدء بالبناء، وبعد افتتاحه تحت رعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز في جمادى الآخرة من عام ١٣٣٦هـ/ أبريل ٢٠١٥م، بات حي البجيري يوفر لزائريه إطلالة رائعة على العاصمة القديمة وأبنيتها الطينية وأطلال قصرها فوق مصطبات الضفة المقابلة من الوادي.

ويحظى التراث الثقافي الحي في المملكة باحتفاء سنوي منذ عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، في «مهرجان الجنادرية للثقافة والتراث» الذي يقام في قرية الجنادرية شمالي الرياض، في المكان الذي تجاوره منذ عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م حلبة لسباق الإبل.

ومنذ انطلاقة هذا المهرجان، كانت الدرعية حاضرة دائماً فيه. ففي دورته الأولى شاركت فرقة شعبية من الدرعية أدت العرضة السعودية وبعض الأناشيد الشعبية تحت علم راية سعودية عملاقة، ولا يزال الكثيرون يذكرونها حتى اليوم، كما قدمت الدرعية في هذا المهرجان معروضات أثـارت اهتماماً واسعاً وأسرت ألباب الحضور، ألا وهي «السواني» التقليدية التي كانت تسخّر الجمال لسحب المياه من الآبـار قبل وصـول المضخات العاملة بالديزل إلى المنطقة.

وإضافة إلى العروض الثقافية في هذا المهرجان، فهو يتضمن أيضاً أمسيات شعرية ومحاضرات تلقيها نخبة من المثقفين الضيوف، كما أن التطور والتحديث يحضر في الأجنحة التي تستضيف جهات مثل: مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، وأرامكو السعودية وسابك. كما تستفيد وزارة الصحة من هذا الحدث لإطلاق حملات التوعية الصحية، وتقديم بعض الخدمات مجاناً للعامة، مثل الكشف عن مستويات السمنة وفحوص داء السكرى والنظر.

وقد كبر مهرجان الجنادرية بمرور السنوات ليصبح مهرجاناً شعبياً للاحتفاء بتراث المملكة وثقافتها، بحيث صار يستقطب فى كل



واحدة من دوراته السنوية أكثر من مليون زائر من المواطنين والأجانب، يقصدونه للاستمتاع بسباقات الهجن والأمسيات الشعرية والأناشيد والفلوكلور الشعبي، إضافة إلى معارض الحِرف التقليدية مثل: حياكة البسط والخزفيات والملابس التراثية والطبخ.

ويتكامل برنامج تطوير الدرعية التاريخية مع مشروع آخر من مشاريع الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، ألا وهو مشروع التأهيل البيئي لوادي حنيفة الذي سبقت الإشارة إليه، ويشكل موقع التراث العالمي إضافة جديدة ملائمة لمدينة الرياض التي تمددت حتى وصلت إلى تخوم الدرعية، والتي تدين بأسسها لأولئك الذين مهدوا الطريق لقيام الدولة السعودية الحديثة.

لقد مرّ قرنان هجريان على سقوط عاصمة الدولة السعودية الأولى. واليوم، ومن أعالي قلعتها في حي الطُريف، يمكن للمرء أن يوجه بصره صوب الشرق عبر وادي حنيفة، ليطالع مشهد الراية السعودية المهيبة خفّاقة فوق سارية يبلغ ارتفاعها المتراً، وخلفها الأبراج الحديثة في المدينة المجاورة، حاضرة الرياض كما هي في القرن الخامس عشر الهجري/ الواحد والعشرين الميلادي.

سنوياً منذ عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.وإضافة إلى إعادة تمثيل بعض التقاليد، يحتفي هذا المهرجان بالحِرف اليدوية القديمة، ويعرض الكثير من منتجاتها. وهنا حِرفي نجدي يزيّن نعلاً من الجلد.

المهرجان الوطني للتراث والثقافة في الجنادرية، يقام

الصفحة التالية

برنامج تطوير الدرعية التاريخية هو ثمرة خطة طموحة للمحافظة بشكل مستدام على المعنى التاريخي للمدينة، وهويتها المعمارية الأصلية. فهو يحفظ الطابع الأصلي للمباني، ويتمسك بالإبقاء على شبكة الدروب والممرات التي تشبه المتاهة، كما كانت. ويظهر جسر الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي يربط حي البجيري بحي الطريف.







۲۱ الرياض تتحرك

على كل المدن النامية بسرعة أن تواجه التحدي المتمثل في تفاقم ازدحـام السير في شوارعها، والرياض ليست استثناءً، فشبكة الطرق التي يبلغ مجموع أطوالها أكثر من ٢٠٠٠ كيلومتر وتشمل الطريق الدائري والطرق السريعة والشوارع الفرعية، تغطي كل مناطق التطوير العمراني وتحيط بها، كما تصلها بالطرق الوطنية السريعة إلى كافة أنحاء المملكة.

في عام ١٤٣٣هـ/ ١٠١٣م، تم تدشين مشروع امتداد طريقي أبو بكر الصديق والعروبة عبر أرض مطار الرياض القديم وميدان الأمير سطام بن عبدالعزيز في نقطة تقاطعهما، وتضمن هذا المشروع مفاهيم جريئة في التخطيط والتصميم، فنحو نصف مليون سيارة تعبر هذين الطريقين السريعين يومياً، وتمر بالقرب من قاعدة الملك سلمان الجوية في الرياض، التي كانت مصدر إلهام لرمز الطيران المتمثلة في صفوف المجسمات التجريدية المستخدمة في إطار الجانب التزييني من هذا المشروع، مضافة إلى الإدارة الذكية لحركة السير وأنظمة المراقبة الحديثة التي صممتها ونفذتها الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض،، والتي ساعدت وتساعد في ضمان انسياب السير والحد من الاختناقات المرورية، ولكن مع أكثر من ٨ ملايين رحلة بالسيارة يومياً، تم المرورية، ولكن على طرق الرياض يصبح واضحاً وضخماً.

تبلغ نسبة استخدام وسائل النقل العام في مدينة الرياض ٢٪ فقط من حجمها العام، فالسكان يعتمدون على سياراتهم الخاصة للذهاب إلى المدارس ومراكز التسوق والتنزه، وأوقات العمل في المكاتب الحكومية والذهاب إلى المدارس والعودة منها، وبدء عمل المؤسسات التجارية الخاصة وانتهائه، تعني أن ساعات الذروة في حركة السير تمتد على طول النهار والليل، فيمضي كثير من سكان العاصمة ما معدله نحو ساعتين يومياً في حركة السير، وهم يقودون بسرعة معدلها ٤٠ كيلومتراً في الساعة.

وإضافة إلى الإزعاج الناجم عن الاختناقات المرورية، فإنها أيضاً ذات كلفة اقتصادية واجتماعية مرتبطة بمعدلات حوادث السير المرتفعة والتلوث، فكلّما ازداد عدد السيارات على الطرق، كلّما زادت مخاطر وقوع الحوادث، كما أن الانبعاثات من السيارات والشاحنات العالقة في الازدحامات المرورية هي من أكبر مصادر تلوث الهواء والبيئة، وذات وقع سيء على الصحة العامة.

ويكمن جزء من العمل على تخفيض مستوى التلوث في تحسين المقاييس المتعلقة بالانبعاثات من السيارات، وأيضاً تحسين

نوعية الوقود، الأمر الذي يمكنه أن يخفض الانبعاثات بنسبة ٩٠٪، أما الجزء الثاني من الحل، فيكمن في تخفيف الاعتماد على السيارات الخاصة من خلال تطوير النقل العام بشكل فاعل.

في عام ١٣٧٣هــ/ ١٩٥٣م، كان هناك أقل من ٢٠٠ كيلومتر من الطرق المقبدة في المملكة، أما اليوم فيوجد أكثر من ٥٢ ألف كيلومتر من الطرقات السريعة، ومع توسع الطرق السريعة، نما عدد السيارات، ففي عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، كان هناك 1٠ ألف عربة آلية مسجلة في المملكة، وخلال السنوات الـ ١٥ التالية، كان عدد السيارات الخاصة يرتفع بنسبة ٣٠٪ سنوياً، حتى وصل إلى ٤ ملايين سيارة في عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

واليوم يوجد نحو ٧ ملايين سيارة مسجلة في المملكة، واستناداً إلى «المرصد الحضري بمدينة الرياض» في عام ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٤م، كان هناك ٢٧٤ سيارة لكل ١٠٠٠ مواطن، أي أكثر بكثير من المعدل العالمي البالغ ١٧٦.

في خطوة رائدة ومبكرة للحد من الاختناقات المرورية، تأسست في الرياض عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م الشركة السعودية للنقل الجماعي (سابتكو) في إطار تعاون القطاع الخاص والحكومة على تأمين النقل بالحافلات في المدينة، وراحت ١٦٥ حافلة زرقاء وبرتقالية وبيضاء تجوب شوارع المدينة، فقبل ذلك، كان النقل العام في العاصمة مقتصراً على الحافلات الصغيرة المملوكة من أفراد وسيارات الإجرة والحافلات التابعة للشركات لنقل عمّالها دون غيرهم. وفيما أثبتت خدمات (سابتكو) شعبيتها ونجاحها في النقل عبر المدن وراحت تتوسع، كان نجاح خدمتها داخل الرياض محدوداً، ويعود ذلك جزئياً إلى نقص في البنية التحتية اللازمة لتفعيل هذه الخدمة.

لقد كان مقدراً أن تبقى السيارات الخيار الوحيد المتاح للتنقل، وكان من الواضح أنه تحت ضغط النمو السكاني وتوسع المدينة، فإن تحسين الطرقات وبرامج التطوير وحدها، ومهما كانت ضخمة وطموحة، لن تؤمن حلاً مستداماً للاختناقات المرورية في العاصمة، والنتائج الحتمية التي ستترتب على ذلك ستكون ازدياد التكاليف الإقتصادية والاجتماعية لهذه الاختناقات، والمزيد من التلوث والحوادث.

فالرياض باتت تحتاج بسرعة إلى حل جذري، يتمثل في وضع خطة متكاملة للنقل العام لا تكتفي بشق شبكة طرق إضافية وحديثة وبنظام ذكي للنقل، بل تؤمن أيضاً نقلاً عاماً متعدد الوسائل، يساعد على تغيير الطريقة التي يتحرك بها الناس في مدينتهم.

الصفحة المقابلة

. صورة جويّة للازدحام في حي البطحاء. فبعض السكان يمضون نحو ساعتين يومياً في التنقل بسيارات يبلغ معدّل سرعتها ٢٧ كيلومتلراً في الشماعة. الأمر الذي يؤكد الحاجة إلى نظام نقل مشترك. وسيخدم البطحاء الخط الأول (الأزرق) من قطار الرياض وخدمات الحافلات ذات المسار المخصص (BRT).

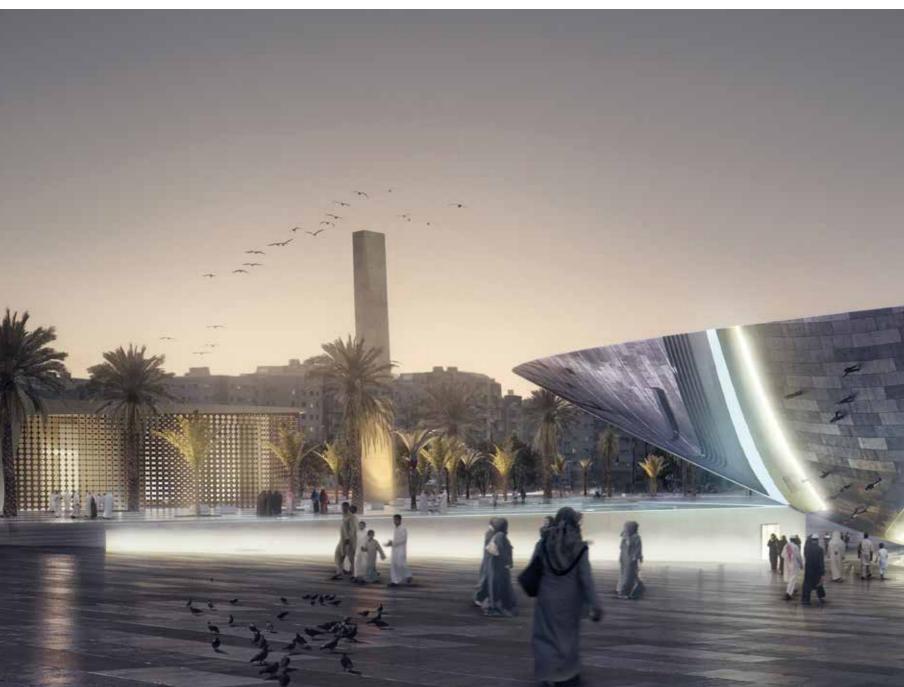


يسار والصورة المقابلة محطة قطار الرياض في مركز الملك عبدالله المالي المحاذية لطريق الملك فهد، حيث تتقاطع الخطوط الثلاثة: الأصفر والأزرق والأرجواني. وتتصل هذه المحطة عبر جسر ر. . علوي بقطار على سكة من خط واحد يلف المركز بأسره.

اسفل محطة القطار ذات الملمح المستقبلي في منطقة قصر الحكم. والمظلة الفولاذية عند مدخلها تسمح بوصول الضوء الطبيعي إلى خطي القطار تحت سطح الأرض، كما أنها تظلل الساحة







وهكذا، في عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، بدأ المختصون والمخططون في الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، بوضع مخطط لبرنامج نقل عام في العاصمة، في إطار مخططها الدستراتيجي الشامل.

في الثاني من جمادى الآخرة ١٤٣٣هــ/ ٢٠١٢م، وافق مجلس الــوزراء على مشروع الملك عبدالعزيز للنقل الـعام بمدينة الرياض – القطار والحافلات، وبمكانة الرياض كمركز إداري واقتصادي وما ينطوي عليه ذلك من تحفيز على الاستثمار، أدرك المخطّطون أن تحقيق وقع حقيقي في هذا المجال، يتطلب تصميم شبكة نقل عـام، وبنائها وتشغيلها، بحيث تكون ملائمة وفاعلة، وقبل كل شيء جذابة، فلكي ينجح نظام النقل الجديد هذا، عليه أن يكون مقنعاً لسكان المدينة بتقديم الخدمة الرفيعة، فيقبلون على استخدامه بكل طيبة خاطر وبشكل منتظم.

يعتبر تأسيس نظام نقل فعّأل وسريع وآمـن، يغطي المدينة بالكامل، نقطة تحول فعلي وكبير، إذ يتضمن «مشروع قطار الرياض» العملاق إنشاء شبكة من ٦ خطوط للقطار، بطول ١٧٦ كيلومتراً، تشمل:

- الخط الأزرق: محور شارع العليا البطحاء بطول ٣٨ كم.
- **الخط الأحمر:** محور طريق الملك عبدالله بطول ٢٥,٣ كم.
- **الخط البرتقالي:** محور طريق المدينة المنورة بطول ٤٠,٧ كم.
- **الخط الأصفر:** محور طريق مطار الملك خالد الدولي بطول ٢٩,٥ كم.
- **الخط الأخضر:** محور طريق الملك عبدالعزيز بطول ١٢,٩ كم.
- الخط البنفسجي: محور طريق عبدالرحمن بن عوف -طريق الشيخ حسن بن حسين بن على بطول ٢٩,٧ كم.

وتخدم شبكة قطار الرياض، ٨٥ محطة - من بينها ٤ محطات رئيسية، هي: محطة مركز الملك عبدالله المالي، ومحطة قصر الحكم، ومحطة العليا، والمحطة الغربية - تتكامل مع خدمات الحافلات السريعة عبر المدينة، التي ستكون لها مساراتها الخاصة بها، وتستجيب لاحتياجات المواطنين.

ولتنفيذ هذا المشروع بخطوطه الـ ٦، تأسست ٣ إئتلافات يضم كل منها عدد من كبريات الشركات العالمية، فإئتلاف «الرياض نيو موبيليتي» يعمل على تنفيذ الخط الأطول، وهو الخط الـ ٣ البرتقالي البالغ ٤٦ كيلومتراً، ويمر عبر محطة قصر الحكم الرئيسية.

ويعمل إئتلاف «فاست» على تنفيذ الخطوط الثلاثة الأصفر والأخضر والبنفسجي (١٥٥٤٤)، فيما يتولى إئتلاف «باكس» تنفيذ الخطين الأزرق والأحمر (١ و٢).

ومن إجمالي أطوال شبكة الخطوط هذه، يوجد ٦٠ كيلومتراً تحت سطح الأرض، هي إما مغطاة بعد بنائها عند مستوى السطح، وإما في أنفاق محفورة عميقاً بواسطة سبع آلات عملاقة (TBM) لحفر الأنفاق العميقة. أما القسم الأكبر من الخطوط فيمتد فوق جسور علوية وجزء بسيط يمتد على سطح الأرض. ومعظم المحطات الخمس والثمانين مبنية فوق سطح الأرض، و٢٩ منها.

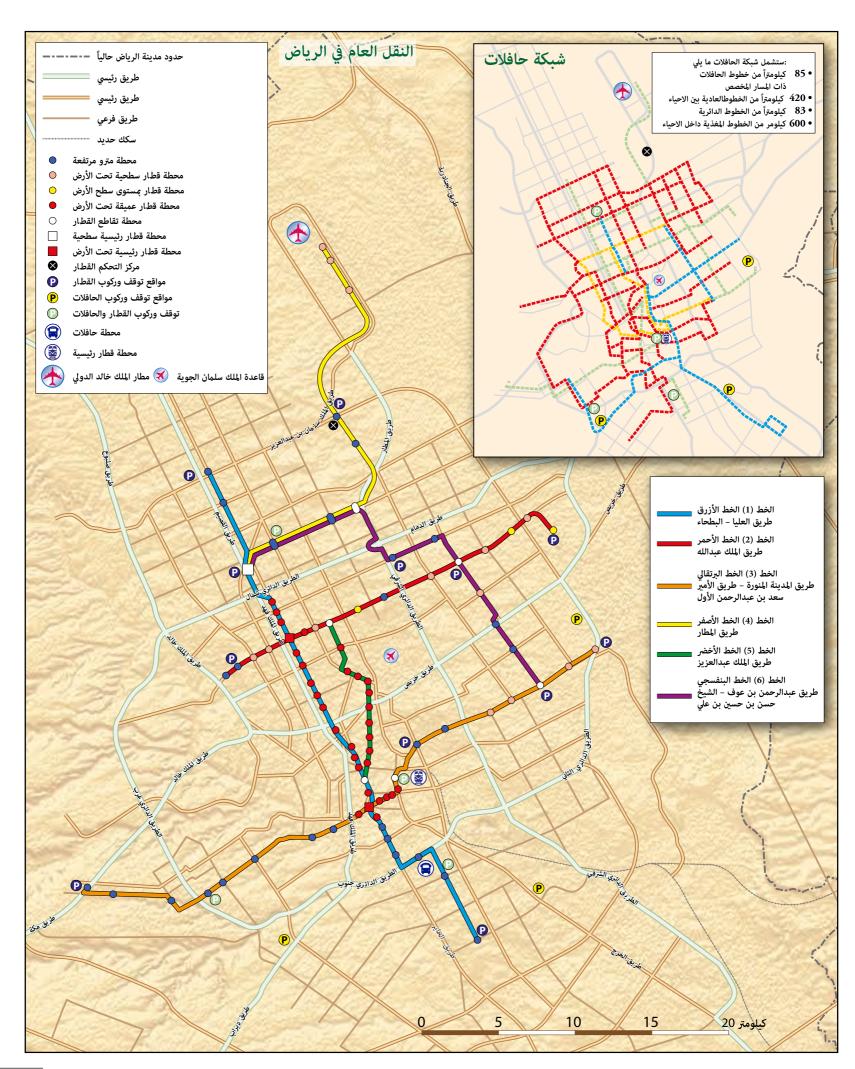
وفي المناطق المركزية في العاصمة، يوجد ٢٧ محطة عميقة تحت السطح، و١٤ محطة على أعماق قليلة، وتبلغ مقاييس كلٍ من معظم المحطات ٣٠٠ متر طولاً و١٠٠ متر عرضاً، وهي مكيفة بالكامل، وكذلك العربات، وتأخذ كل التصاميم بعين الاعتبار متطلبات ذوي الاحتياجات الخاصة، كما تتضمن المحطات مواقف للسيارات، تسمح للركاب بركن سياراتهم فيها بأمان، ريثما يعودون للحقاً اليها.

وتتكامل محطات قطار الرياض، مع ٤ مستويات من شبكات الحافلات التي تمد القطار بالركاب، تشمل: خطوط الحافلات ذات المسار المخصص: بطول ٨٥ كم، وخطوط الحافلات العادية بطول ٤٠٥ كم، وخطوط الحافلات العادية بطول ٤٠٥ كم، وخطوط الحافلات المغدّية داخل الأحياء وتتضمن ٧٠ خطأ بخدمة منتظمة.

وتعمل القطارات على هذه الخطوط ال٦ من دون سائقين، إذ تدار أبياً وعن بعد من «مركز التحكم والشغيل» - الذي يجري إنشائه بجوار جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن، على الخط الأصفر الذي يربط مطار الملك خالد الدولي بمركز الملك عبدالله المالي-والقطارات مصممة لنقل ٢٨٥٠٠ راكب في الساعة، وللعمل ١٨ ساعة يومياً، مع القابلية للتوسعة حتى ٢٤ ساعة.

ومـن المتوقع أن ينتقل نحو ربـع الذين يستخدمون سياراتهم الخاصة حالياً، إلى الاعتماد على نظام القطار والحافلات.

ولمشروع الملك عبدالعزيز للنقل العام في الرياض، فوائد مهمة في التخفيف من الازدحام المروري والانبعاثات الضارة، ويسمح للناس بالتنقل بسلاسة أينما كانوا في المدينة، فقدرة الطلاب



تشكل شبكة الحافلات
جزءاً رئيساً من مشروع
الملك عبدالعزيز للنقل
وهي تتضمن نظام
الحافلات ذات المسار
المخصص، والحافلات
والحافلات العادية،
والحافلات العادية،
والحافلات العادية،
وستسمح هذه الحافلات
للسكان بالوصول إلى
محطات القطار بسهولة
وسرعة بعد أن يكونوا
قد ركنوا سياراتهم في
الماقف.

مثلاً على الوصول إلى مدارسهم وجامعاتهم بسهولة وسرعة وبوسيلة آمنة وزهيدة التكلفة ستنعكس إيجاباً على مخرجات التعليم.

إن «التطوير الموجّه للنقل العام» داخل المدن من أهم الركائز الداعمة لنجاح هذا القطاع، فمن خلال تعزيز التنمية الموجّهة للنقل بالقرب من محطات مشروع الملك عبدالعزيز للنقل العام، يمكن لنظام النقل أن يجذب الركاب وأن يتيح فرصاً وموارد جديدة ويطور مجتمعات مستدامة وقابلة للحياة داخل مدننة الرباض.

وسيساعد استخدام شبكة النقل العام على قيام تجمعات حيوية ومستدامة في محيط الشبكة، بفعل وجـود المتاجر والفرص التجارية في المحطات وفي محيطها.

وللدلالة على مقاييس هذا المشروع، يشار إلى أن تنفيذه يتطلب 1٠٠ ألف طن من الفولاذ، و٤,٣ مليون متر مكعب من الخرسانة، وعلى مستوى الصناعة المحلية، فهو يوفر فرصاً لتوريد الإسمنت والحصى والبترول المكرّر والمنتجات اليلاستيكية والمطاطية، فالاعتماد على المنتجات المحلية وتوفير فرص العمل من الجوانب الاستراتيجية في هذا المشروع، ونحو ربع الوظائف الجديدة هي ضمن سجلات عمل الشركات العاملة في الإئتلافات الثلاثة. فنسبة كبيرة من أعمال بناء المشروع وتجهيزه هي من مصادر محلية، وتشمل أعمال الهندسة المدنية، وحفر الأنفاق، ومد الجسور، وحتى السكة نفسها.

وإضافة إلى المدخلات مثل: الإسمنت والحصى والفولاذ والسيراميك والـزجـاج، ثمة حاجة إلى الكثير من التجهيزات الكهربائية والميكانيكية والخبرات اللـّـزمة لتركيبها وصيانتها،



كما سيكون هناك طلباً محلياً على متخصصين في الشؤون المالية، وخدمات الأعمال وتقنية المعلومات والاتصالات، والدعم اللوجيستي والتصنيع، مما سيوفر فرصاً كبيرة أمام الشباب السعودي للتدرب وتنمية مهارات جديدة في الأعمال التي يتطلبها المشروع.

كما تتطلب شبكة الحافلات منتجات وخدمات تشمل: التصميم الهندسي لتنفيذ أعمال تحويل الخدمات، وبناء الجسور والمحطات والمواقف، وتركيب تجهيزات الأنظمة الذكية في المشروع.

وعند بدء التشغيل، بمشيئة الله، ستوفر الشبكة فرص عمل محلية طويلة الأمد، فدراسات الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، تظهر أن قطاع الأعمال القائم في المملكة، يمكنه أن يزيد من

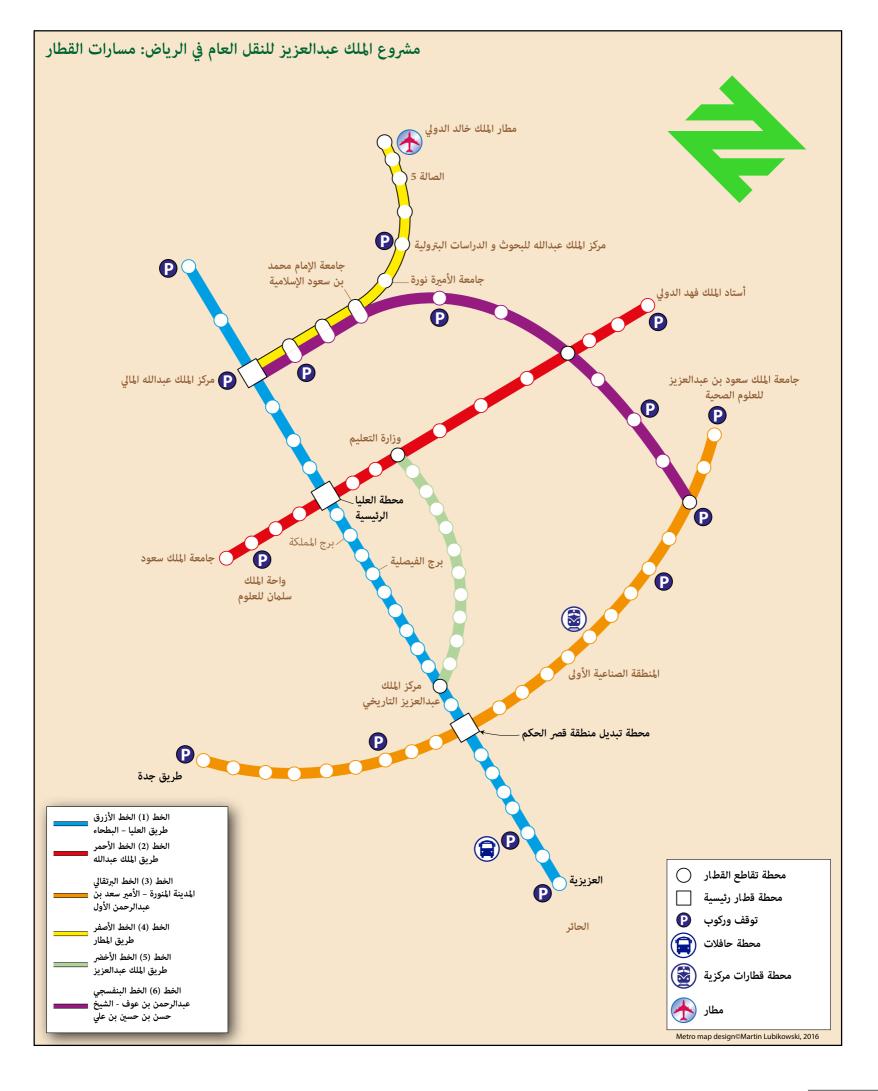
طاقته وخبرته وحضوره في العاصمة، إذ أن نصف الأعمال التشغيلية في المشروع على الأقل، سيكون من قبل قطاعات محلية تشمل: التصنيع، وتركيب العربات وصيانتها، والإمداد، وغير ذلك من النشاطات.

منذ زمـن طويل، والـريـاض تحتل مرتبة متقدمة، لجهة عدد الخريجين الكفوئين من أبنائها الشبّان، وينصبّ التركيز حالياً على استقطاب كفاءات سعودية مؤهلة لشغل الوظائف في المشروع، ، وهذا ما يجري العمل عليه حالياً من خلال ضخ المزيد من الجهود في مجال التدريب وتوطية الخبرة والمهارات الللّـزمة لبناء هذا المشروع وتشغيله.

وبفعل نحو ٢٠ سنة من الـدراسـات والتخطيط والاستعدادات لتنفيذ مشروع الملك عبدالعزيز للنقل العام في الرياض، قدمت

يتضمن مشروع قطار الرياض تشغيل ۱۹۰ قطاراً آلياً (من دون سائق) وما مجموعه ٤٧٠ عربة ركّاب. فكل قاطرة ستقطر ثلاث أو أربع عربات وفق أنظمة زيادة القدرة على الإسراع في الانطلاق والتوقف.





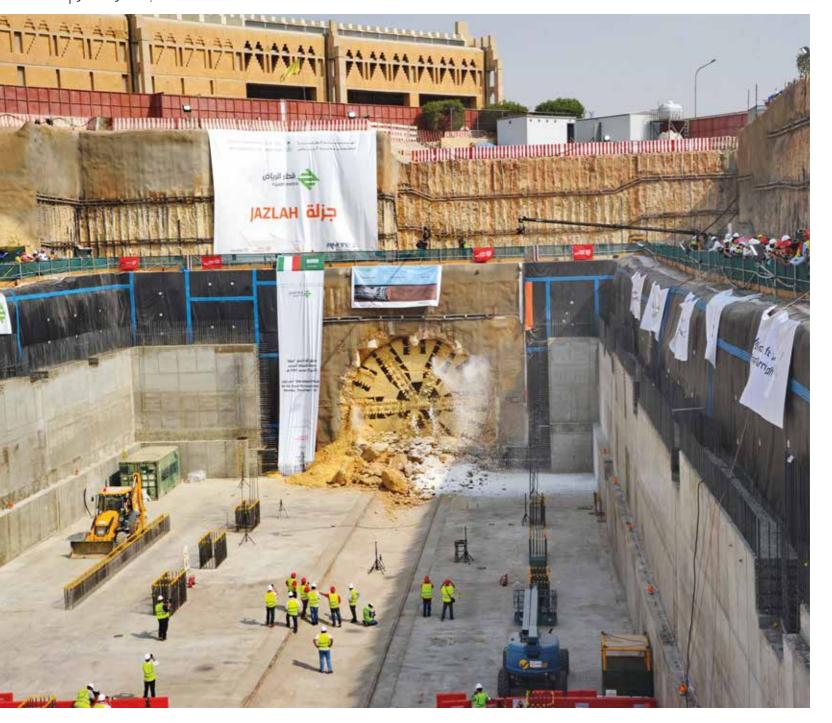
الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، خبراتها المكتسبة من هذا المشروع، لمختلف مشاريع النقل العام الجاري التحضير لها في كل من مدن: مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة وحاضرة الدمام.

وعلى المستوى التخطيطي في المدينة، حرصت هيئة تطوير الرياض على أن يتكامل مشروع النقل العام مع خططها لتطوير مناطق أوسع من العاصمة، على رأسها منطقة وسط المدينة،

,وإطلاق مشاريع لتطوير الضاحيتين الجديدتين في شمال وشرق المدينة.

فكما أن مشروع النقل العام يشكل شبكة تعزز من ربط أجزاء العاصمة بعضها ببعض، وتحسن من ظروف العيش والحركة والعمل فيها، فإن برنامج تطوير وسط المدينة سيغيّر من المنطقة المركزية في المدينة من خلال تطويرها بمقاييس لم يسبق لها مثيل في العالم العربي.

واحدة من سبع آليات حفر الثنفاق الضخمة، وقد أسميت «جزلة»، تحفر باتجاه الغرب في محطة قطار الرياض المجاورة لمحطة الحديدية، في إطار العمل على إنشاء الخط البرتقالي الذي يبلغ طوله آليات الحفر العملاقة هذه، أعطيت اسماً من خلال مسابقة مفتوحة للعموم.





٢٢ العاصمة المستقبلية

أدى تطوير قصر الحكم، القلب التاريخي للمدينة المسوّرة، وقصور المربع المجاورة له خارج السور التي احتضنها مركز الملك عبدالعزيز التاريخي، إلى وضع مقاييس جديدة للتطوير العمراني، وشكّل هذان المشروعان مصدر إلهام للمخططين والمعماريين ليبتكروا تصاميم جريئة للمشاريع الكثيرة في العلم، وق

ولكن هذين المشروعين الرياديين للا يغطيان إلا مساحة صغيرة من العاصمة. فاليوم، ومع مشروع النقل العام الذي سيشكل شبكة عابرة لمختلف أرجاء المدينة التي يبلغ عدد سكانها أكثر من ٦ ملايين نسمة، تظهر الحاجة إلى تحسين وتطوبر مساحة أوسع في وسط المدينة والأحياء النامية بسرعة في الضواحي.

فالمنطقة المركزية باتت محدّدة اليوم بحدود أوسع بعدة مرات من حدود المدينة المسوّرة القديمة، وكل المناطق العامرة في الضواحي اليوم كانت صحراء خالية حتى سنوات قليلة مضت.

خلال العقود الأولى التي قاد فيها الملك عبدالعزيز، رحمه الله، توحيد المملكة انطلاقاً من العاصمة، كان التطوير العمراني محدوداً، إذ كانت الأولوية آنذاك لتأسيس الدولة، وترسيخ الأمن والاستقرار. وفي السنوات التي تلت مسيرة توحيد البلاد، أصبحت الرياض محط الاهتمام، وفقدت أسوارها وظيفتها بفعل توسع المدينة السريع إلى خارج حدودها القديمة.

وفي البدء، قضى هذا التوسع على الكثير من بساتين النخيل والأراضي الزراعية التي كانت تحيط بالمدينة التاريخية، وفي عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، بعد نصف قرن من حكم الملك عبدالعزيز، تلقى التطوير العمراني الحديث دفعاً كبيراً إلى الأمام بعد تزايد ايرادات الدولة من النفط الذي كان وقوداً للصناعة والنقل والزراعة والتنمية المدنية، ومـورداً جديداً ومجزياً للمملكة.

ولكن مع توسع المدينة، كانت الرقعة القديمة في الوسط تكبر باستمرار، فقد جذبت المساكن الجديدة في الضواحي الناهضة الكثير من السكان السعوديين، وتـرك هؤلاء وراءهم ملكيات عقارية سرعان ما أصبحت صيانتها باهظة التكاليف.

كما أن تجزئة وتعقيدات الملكيات العائلية للمباني القديمة والعقارات الصغيرة، أعاقت إمكانية إعادة تأهيلها بسهولة، وأدى ابتعاد السكان عن الوسط إلى ظهور تدفق غير منضبط وخاصة من العمالة الوافدة ذات المداخيل المتدنية لاتخاذ هذه المباني المتدهورة أماكن للسكن مقابل إيجارات زهيدة، ومن دون أي تفكير بإصلاحها.

وفي التسعينيات الهجرية/ سبعينيات القرن العشرين، كانت عائلات سعودية كثيرة تعود في جذورها إلى المدينة التاريخية القديمة قد غيرّت مساكنها، وبعضها تنقل في مساكن جديدة عدة مرات. واليوم، يبلغ معدل سكان المنزل الواحد في الرياض آ أشخاص، وهو من بين الأعلى في العالم، إذ أنه يعادل نحو ضعفي ما هو عليه في العواصم الغربية، وثلاثة أضعاف المعدل في طوكيو.

إن نجاح مشاريع الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض مثل: إنشاء حي السفارات الجديد بالكامل، وتطوير قصر الحكم، ومركز الملك عبدالعزيز التاريخي، وما صاحب هذا النجاح من تقدير عالمي، أدى إلى تحقيق تقدم كبير في مجال التطوير الحضري والتخطيط في المدينة،و وساهم في وقف تراجع أهمية منطقة الوسط، وعكس مسارها لتستعيد مكانتها التاريخية، وتمارس دورها الريادي في قلب الرياض النابض بالحياة، وأعطى قوة دافعة لإعادة تطوير العديد من المناطق القديمة في المدينة.

وقد وفّر مشروع الملك عبدالعزيز للنقل في الرياض، فرصة للمضي أبعد في تطوير منطقة وسـط الـمـديـنـة، فسلاسة الوصول إلى المنطقة المركزية في المدينة سيسرع عملية تحديثه كما يجعلها تستقطب الكثيرين ليعودوا اليها،

فالمواطنون يريدون حماية وتعزيز هذا القلب التاريخي الحي بذكريات ماضيهم، ففوائد الإبقاء على الصلات مع الماضي واضحة، فمع الرؤية المتعددة الأوجه الموضوعة للرياض وبطموحاتها إلى أن تصبح عاصمة مزدهرة تمثل بلادها على المستوى الإقليمي والعربي والعالمي، يحتاج سكانها وزوارها إلى أن يكونوا على علم بتراثها وتقاليدها وتاريخها.

أصبح الآن لهذه المنطقة المركزية مستقبل جديد، إنها قيد إعادة التأهيل وتجديد حيويتها، وستتماشى إعادة التطوير هذه مع رؤية

الصفحة التالية

يظهر مبنى المجدول على اليسار ويتكون من ٥٤ دور ومن خلفه يبدو مركز الملك عبدالله المالى.





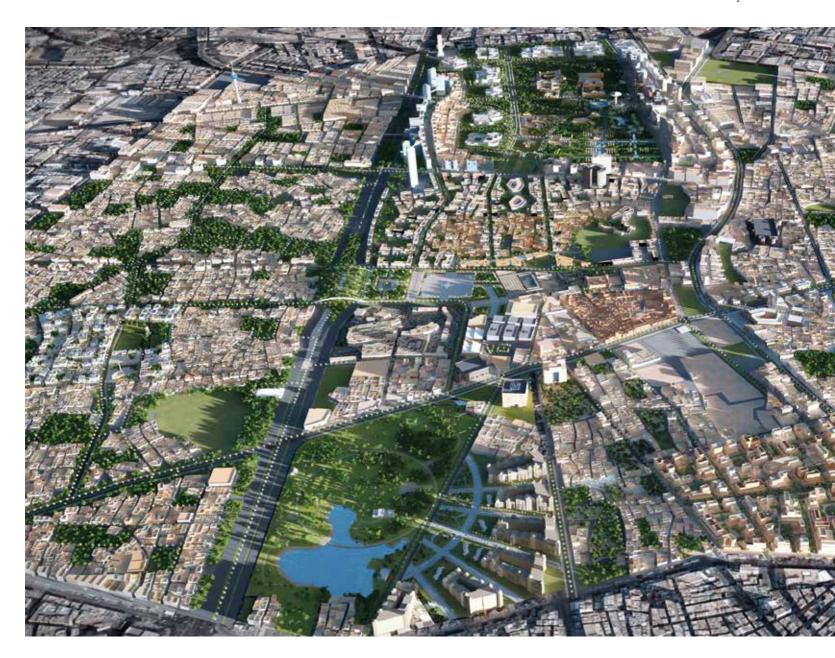
برنامج تطوير وسط مدينة الرياض الطموح يغطي مساحة 10 كيلومتراً مربعاً، ويمتد لعشرين عاماً. وسيوفر الإسكان اللائق والجذّاب للمواطنين والمقيمين على حدٍّ سواء. كما يشمل هذا البرنامج تعزيز النشاط التجاري بجوار خطّي القطار الجديدين.

المدينة المستقبلية التي رسمها المخطط الاستراتيجي الشامل لتطويرها، وستدعّم بالاستراتيجيات الوطنية الخاصة بالإسكان والسياحة.

تبلغ مساحة برنامج تطوير وسط مدينة الرياض، ١٥ كيلومتراً مربعاً، ويتطلب تنفيذه ٢٠ عاماً ويشارك فيه القطاع الخاص، وهو

سيؤمن إسكاناً لائقاً وجذاباً لسكان الرياض ، وسيشتمل على مشاريع لتأهيل المباني التراثية وتجديد الأسواق العديدة النابضة بالحياة.

وحي الدحو التاريخي الواقع في جنوب وسط المدينة القديم، ويضم العديد من الأبنية الطينية، يخضع حالياً بـدوره لعملية



ترميم بوصفه منطقة تراثية حية، تستفيد من الخبرات المستقاة من ترميم حي الطُريف.

ومن ضمن مشاريع الفضاءات العامة في الوسط، هناك واحد يهدف إلى شق مسار سياحي – ثقافي عبر الأســوار والبوبات والأســواق القديمة، يهدف إلى تطوير منطقة الظهيرة الواقعة

في شمالي الوسط لتستعيد ألقها كمنطقة تجارية شهيرة بين سكان الرياض وزوارها منذ عدة عقود.

فالتجديد الأكبر الذي يحمله الخطوط الأزرق والأخضر والبرتقالي للقطار العابرة للمنطقة، وخطوط الحافلات الجديدة، سيحفز التنمية الاقتصادية في هذه المنطقة، فمن المرتقب ازدهـار

سيسمح تطوير المناطق المحيطة بمحطات القطار في العاصمة بإيجاد مناطق منتعشة ذات بُنى تحتية ومرافق للتسوق وفضاءات عامة تتمحور حول نظام النقل العام الجديد، لتسهيل الوصول إليها.





خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز يتقبل تحية مواطن فتي في الدرعية عام ١٣٦٦هـ/ من المبين عبد التقاليد والتراث في الرياض والتراث في الرياض الصديثة، يؤكد خادم الحرمين الشريفين أن الجيل الناشيء هو عماد مستقبل المملكة الملا

الأعمال التجارية المتركزة على امتداد خطوط القطار الثلاثة ومحطاتها. ويشمل هذا محطة قصر الحكم الرئيسية ذات التصميم المميز، القائمة في ميدان مـزروع بالنخيل تحيطه سواقى الماء.

فمن الخارج، تأخذ هذه المحطة شكل مظلة من الفولاذ المصقول الذي يوجه الضوء عبر بهو سفلي إلى الخطوط المرئية من أنابيب زجاجية،وعلى مستوى الأرصفة في الأسفل، توجد حديقة تحت الأرض داخل المحطة.

فالقطار سيوفر وسيلة لتخفيف الازدحام السكاني في منطقة الوسط التاريخي ذات الكثافة السكانية العالية، ومحطة قصر الحكم وغيرها من المحطات لن تكون فقط معالم عمرانية عصرية، بل ستشّكل هي نفسها فضاءات عامة مفعمة بالحيوية ليستمتع بها سكان الرياض.

وعلى غرارمشروع النقل العام، فإن التجديد العمراني المرتقب على هذا المستوى، يوفر فرصاً اقتصادية كثيرة للقطاع الخاص، والمجتمع سيجد أمامه وفراً في الفرص الوظيفية والتجارية، ومجالات لتحسين انتاجيته، وحوافز عديدة على الدبتكار وريادة الأعمال، والنتيجة ستكون تحسناً ملموساً في مستوى المعيشة

إن نواة هذه الواحة وشبكة الفضاءات المفتوحة، ستشجع حركة المشاة، وسيصار إلى تجديد شبكة الشوارع والأسواق المتنوعة في هذه النواة بحيث تعكس مكانتها في القلب التاريخي للرياض، فالمتاحف المحلية والمراكز التراثية، والفنادق الفاخرة والمطاعم والمقاهي والمساحات الخضراء والمرافق الشبابية تدخل كلها في صميم المخطط التوجيهي لبرنامج تطوير المنطقة، إذ تقضي الرؤية التي تقود هذا العمل إلى خلق منطقة ذات سمعة عالمية، يستمتع بها الجميع كواحة عصرية تشكل قلباً جديداً للعاصمة بمشيئة الله

وعند اكتمال هذا المشروع، سيتشكل بفعله مجتمع محلي مستدام في قلب المدينة، بوصفه مكوّناً أساسياً من مكوّنات واحة العاصمة الوطنية، كما سيبرز للعالم صورة الثقافة السعودية ونمط العيش فيها.

من المشاريع الملحوظة الجاري تنفيذها في العاصمة هناك مقر المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية (عربسات) في حي

السفارات، المحتوي على حديقة داخلية، المعبر في تصميمه العصري عن رؤية عربسات لوصل العالم العربي ببعضه البعض وبالعالم الخارجي.

وإضافة إلى ناطحات السحاب الـ 09 في مركز الملك عبدالله المالي، يرتفع حالياً المزيد من الأبراج في المساحة الواقعة ما بين طريق الملك فهد وشارع العليا، لتتكامل مع برجي الفيصلية والمملكة. ومنها «برج الرياض»، ثالث أعلى ناطحة سحاب في العاصمة، و»أبراج العليا» المتصلين التابعين للمؤسسة العامة للتأمينات اللجتماعية.

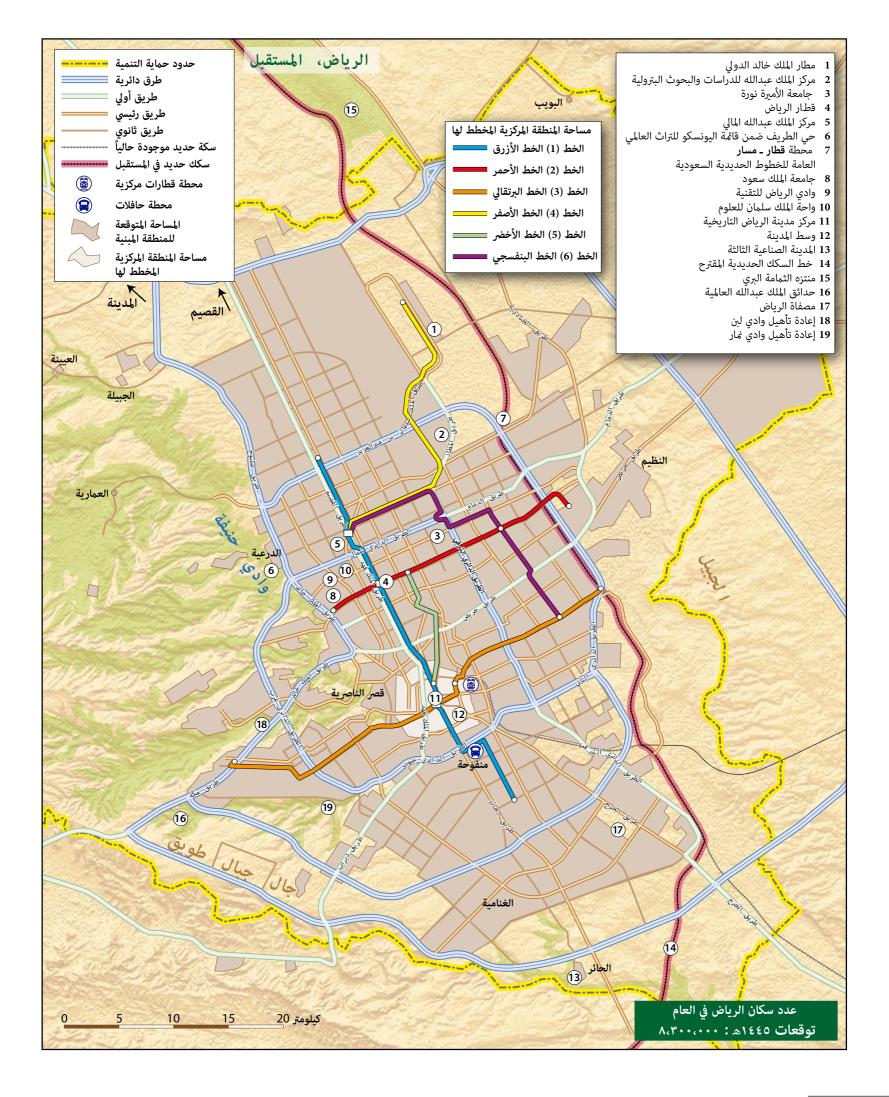
وفي إطار تعزيز قطاع المواصلات في الرياض، يعتزم مطار الملك خالد الدولي رفع طاقته الاستيعابية السنوية من 10 مليون مسافر إلى ٣٥ مليوناً، وهذا ما استدعي إنشاء محطة خامسة فيه تبلغ طاقتها الاستيعابية ١٢ مليون مسافر سنوياً، إضافة إلى تطوير المحطات الأولى والثانية والثالثة والرابعة.

ويتصل المطار بالخط الأصفر من خطوط قطار الرياض ليرتبط بذلك مباشرة بمركز الملك عبدالله المالي الذي أعيدت هيكلته في عام ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م ضمن «رؤية المملكة «٢٠٣٠ «.

ويترادف تطوير شبكة المؤسسة العامة للخطوط الحديدية في المملكة، مع تطوير مدينة الرياض لشبكة طرقها وبرنامجها للنقل العام وتوسعة المطار، وتتضمن مشاريع المؤسسة، مشروع سكة حديد الشمال - الجنوب الذي أوشــك على ربــط الـريــاض بمنطقة الـحـدود الشمالية بالمملكة، إلى جانب دراسة مشروع الجسر البري الذي يصل الرياض بمدينة جدة على شاطئ البحر الأحمر، إضافة إلى مشروع تطوير سكة الحديد القائمة التي تصل العاصمة بالخليج العربي.

فالجسر البري سيجعل من مدينة الرياض، مركز اتصال بين حركة النقل بين شرق المملكة وغربها، سيكون وسيلة شحن لنقل الركاب من الحجاج والمعتمرين، وسيعزز من موقع الرياض الدستراتيجي ودورها.

أما قطار الشمال- الجنوب الذي يبلغ طوله ٢٤٠٠ كيلومتر، وهو للركاب والشحن، فينطلق من الرياض، ويمر بمطار الملك خالد الـدولـى، ثم بالمدينة الصناعية الجديدة في سدير، فمناطق:



القصيم، وحائل، والجوف، وصولاً إلى الحديثة قرب الحدود مع الأردن، وهو أطول قطار في العالم يتبنى نظام مراقبة القطارات الأوروبي.

إلى ذلك، تتجه الرياض بسرعة إلى أن تصبح مدينة ذكية بالكامل ، معتمدة في ذلك على بنيتها التحتية في مجال تقنية المعلومات والاتصالات المتطورة فيها حالياً، وأيضاً على اندفاع الجيل الشاب صوب التقنيات الحديثة.

فالرياض اليوم هي حاضرة يحلو العيش فيها، وواحة معاصرة ومزدهرة، تنهض بوصفها مركزاً مالياً واقتصادياً نابضاً بالحياة، وحاضنة للابتكارات والتقنية المتطورة وريادة الأعمال، تستند على الخبرات في التخطيط التي تراكمت خلال عقود من الزمن، وعلى مهارات الشبان من أبنائها المفعمين بالحيوية والطاقات، فيما تبقى متجذرة في ماضيها وتراثها، وعلى احترامها لتاريخها وتراثها العريق، وللأجيال السابقة التي ساعدت على تطويرها لتصبح هذه الواحة المعاصرة في قلب شبه الجزيرة العربية.



مكتبة الملك فهد ، يتميز جزء منها بتصميم هندسي مميز يأخذ شكل الخيمة العربية التقليدية.

الصفحة التالية من الجسر العلوي في برج المملكة، يتراءى للناظر مشهد الرياض ذات الملمح المستقبلي. فقد نهضت العاصمة كمدينة تنعم بالرخاء ويحلو العيش فيها، وأصبحت موطن نشاط اقتصادي ومالي ذا موقع استراتيجي، وواحة تجسّد مفهوم الدبتكار والريادة.









حقوق الصور

كل الصور المنشورة في هذا الكتاب هي من مكتبة الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، باستثناء ما يلى:

- مبارك الدوسري: ١٦٤ ١٦٥
 - ثامر الحسن: ١٥٨
 - كمال الكمال: ١٠٦
- عبدالله السياري: ۲۰۲، ۲۰۸ ۲۰۹
- أرامكو السعودية: ۷۷، ۸۲، ۸۵، ۹۰، ۹۰، ۹۷؛ ت. ف. والترز ۵۱-۸۲،۵۰، ۹۲؛ إيللو (القرصان) باتيجيللي ۸۳
 - المكتبة البريطانية: ٤٦
 - محسن دجعانی: ۱۱، ۲۶ ۲۵
 - جيجي غراسو: ١٠
 - روجر هاریسون: ۲۸، ۲۹
 - جانس هارتمان وألكسندر كرونر: ١٣٥
 - فیلیب هوکنز: ۲۱
 - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية: ٣٢
 - مركز الشرق الأوسط، كلية سانت أنطوني، أوكسفورد: سير أندرو رايان ٦٦، ٧٨، ٧٩؛ سير جورج راندل ٦٧؛ هاري سانت جون فيلبي ٣٤ - ٣٥، ٤٤ - ٤٥، ٥٧ (ب)؛ هـ. فـ. ويكلي ٤٠ - ٤١
 - حاتم عویضة: ۱۷۸ ۱۷۹
 - الجامعة الأمريكية في القاهرة، الكتب النادرة والمجموعات الخاصة، حسن فتحي: ٣٩، ٤٨
 - الجمعية الجغرافية الملكية، لندن ٦٨؛ كابتن وليم شكسبير ٥٨ ٥٩، ٦١، ٦٢ ٦٣، ٦٤، ٨٨؛
 جيرالد دو غوري ٥٥، ٧٠ ٧١، ٧٤، ٥٧، ٨٠؛ لفتاننت كولونيل ليشمان ٥٦
 - سابك: ۱۸۱، ۱۸۱
 - إيللينر ويتكر: ١٧

